الفعل وظهوره بين الناس بل لو صادف هذا المنكر في خلوة وجب المنع منه وهذا لا يسمى معصية
في حق المجنون اذ معصية لا عاصي بها محال فلفظ المنكر ادل عليه واعم من لفظ المعصية وقد ادرجنا
في عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا يختص الحسبة بالكباير بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالاجنبية
واتباع النظر للنسوة الاجنبيات كل ذلك من الصغاير ويجب النهي عنها وفي الفرق بين الصغيرة
والكبيرة نظر سياتي في كتاب التوبة ان شاء الله الشرط الثاني ان يكون موجودا في الحال وهو
احتراز عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فان ذلك ليس الى الآحاد وقد انقرض المنكر واحتراز
عما سيوجد في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة الحال انه عازم على الشرب في ليلته فلا حسبة عليه الا
بالوعظ وان انكر عزمه عليه لم يجز وعظه ايضا فان فيه اساءة الظن بالمسلم وربما صدق في قوله
وربما لا يقدم لعايق وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهي ان الخلوة بالاجنبية معصية ناجزة وكذا
الوقوف على باب الحمام وما يجري مجراه الشرط الثالث ان يكون ظاهرا للمحتسب بغير تجسس فكل من ستر
معصية في داره واغلق بابه لا يجوز ان يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن
بن عوف رضي الله عنهما فيه مشهورة وقد اوردناها في كتاب آداب الصحبة وكذلك روي ان عمر رضي الله عنه
تسلق دار رجل فرآه على حالة منكرة فانكر عليه فقال يا امير المؤمنين ان عصيت الله من وجه فقد عصيت
الله من ثلاثة اوجه فقال ما هي فقال قد قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال واتوا
البيوت من ابوابها وقد دخلت من السطح وقال لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على
اهلها وما سلمت فتركه عمر رضي الله عنه وشرط عليه التوبة ولذلك شاور الصحابة على المنبر وسالهم
عن الامام اذا شاهد بنفسه منكرا فهل له اقامة الحد فاشار علي الى ان ذلك منوط بعدلين فلا
يكفي فيه واحد وقد اوردنا هذه الاخبار في بيان حق المسلم من كتاب آداب الصحبة فلا نعيدها
فان قلت فما حد الظهور والاستتار فاعلم ان من اغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول
عليه بغير اذنه لتعرف المعصية الا ان يظهر في الدار ظهورا يعرفه من هو خارج الدار كاصوات
المزامير والاوتار اذا ارتفعت بحيث جاوز حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسرها
ولذلك اذا ارتفعت اصوات السكارى بالكلمات المالوفة بينهم بحيث يسمعها اهل الشوارع فهذا
اظهار موجب للحسبة فاذن انما يدرك مع تخلل الحيطان صوت او رايحة فاذا فاحت روايح
الخمر فان احتمل ان يكون من الخمور المحترمة فلا يقصد بالاراقة وان علم بالقرينة انها فاحت لتعاطيهم
الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد تستر قارورة الخمر في الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهي

فاذا راي فاسق وتحت ذيله شي لم يجز ان يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة فان فسقه لا يدل على
ان الذي معه خمر اذ الفاسق يحتاج ايضا الى الخل وغيره ولا يجوز ان يستدل باخفائه وانه لو كان
خلا لما اخفاه لان الاغراض في الاخفاء مما يكثر وان كانت الرائحة فائحة فهذا محل النظر والظاهر
ان له الاحتساب لان هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم في امثال هذه الامور وكذلك العود
ربما يعرف شكله اذا كان الثوب الساتر له رقيقا فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت
دلالته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد امرنا بان نستر ما ستر الله وننكر على من ابدى لنا صفحته
والابداء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة البصر وتارة
بحاسة اللمس ولا يمكن ان يخصص ذلك بحاسة البصر بل المراد العلم وهذه الحواس ايضا تفيد العلم
فاذن انما يجوز ان يكشف ما تحت الثوب اذا علم انه خمر وليس له ان يقول ارني لاعلم ما فيه فان
هذا تجسس ومعنى التجسس طلب الامارات المعرفة فالامارة المعرفة ان حصلت واورثت المعرفة
جاز العمل بمقتضاها فاما طلب الامارات المعرفة فلا رخصة فيه اصلا الشرط الرابع ان يكون كونه
منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفي ان ينكر على الشافعي
اكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا للشافعي ان ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكر
وتناوله ميراث ذوي الارحام وجلوسه في دار اخذها بشفعة الجوار الى غير ذلك من مجاري الاجتهاد
نعم لو راى الشافعي شافعيا يشرب النبيذ وينكح بلا ولي ويطا زوجته فهذا في محل النظر والاظهر
ان له الحسبة والانكار اذ لم يذهب من المحصلين احد الى ان المجتهد يجوز له ان يعمل بموجب اجتهاد
غيره ولا ان الذي ادى اجتهاده في التقليد الى شخص راه افضل العلماء ان له ان ياخذ بمذهب
غيره فينتقد من المذاهب اطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فاذن
مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة الا انه يلزم من هنا
امر اغمض منه وهو ان يجوز للحنفي ان يعترض على الشافعي اذا نكح بغير ولي بقول الفعل في
نفسه حق ولكن لا في حقك فانت مبطل بالاقدام عليه مع اعتقادك ان الصواب مذهب الشافعي
ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك وان لم يكن صوابا عند الله وكذلك الشافعي يحتسب على
الحنفي اذا شاركه في اكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول اما ان تعتقد ان الشافعي اولى بالاتباع
ثم تقدم او لا تقدم عليه على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا الى امر اخر في المحسوسات وهو ان يجامع
الاصم مثلا امراة على قصد الزنا وعلم المحتسب ان هذه امراته زوجها ابوه منه في صغره لكنه ليس

يدري وعجز عن تعريفه ذلك لصممه او لكونه غير عالم بلغته فهو في الاقدام مع اعتقاد انها اجنبية عاص
ومعاقب عليه في الدار الآخرة فينبغي ان يمنع منه مع انه زوجته وهو بعيد من حيث انه حلال
في علم الله تع قريب من حيث انه حرام عليه بحكم غلطه وجهله ولا شك في انه لو علق طلاق زوجته
على صفة في قلب المحتسب مثلا من مشية او غضب او غيره وقد وجدت الصفة في قلبه وعجز
عن تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن فاذا رآه يجامعها فعليه المنع
اعني باللسان لان ذلك زنا الا ان الزاني غير عالم به والمحتسب عالم بانها طلقت منه ثلاثا وكونهما
غير عاصيين لجهلهما بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرا ولا يتقاعد ذلك عن زنا
المجنون وقد بينا انه يمنع منه فاذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وان لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو
عاص به لعذر الجهل فيلزم من عكس هذا ان يقال ما ليس بمنكر عند الله وانما هو منكر عند
الفاعل لجهله لا يمنع منه وهذا هو الاظهر والعلم عند الله فيحصل من هنا ان الحنفي لا يعترض
علي الشافعي فيه لكون المعترض عليه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه وهذه مسايل فقهية
دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة وانما افتينا فيها بحسب ما ترجح عندنا في الحال ولسنا نقطع
بخطاء المخالف فيها ان راى راى انه لا يجري الاحتساب الا في معلوم علي القطع وقد ذهب اليه
ذاهبون وقالوا لا حسبة الا في مثل الخمر والخنزير وما يقطع بكونه حراما ولكن الاشبه عندنا
ان الاجتهاد يوثر في حق المجتهد اذ يبعد غاية البعد ان يجتهد في القبلة ويعترف بظهور القبلة عنده
في جهة بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ولا يمنع عنه لاجل ظن غيره اذ ربما يظن غيره اذ ربما
يظن غيره ان الاستدبار هو الصواب ورأي من يري انه يجوز لكل مقلد ان يختار من المذاهب
ما اراد غير معتد به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب اليه اصلا فهذا مذهب لا يثبت وان ثبت فلا يعتد
فان قلت فاذا كان لا يعترض علي الحنفي في النكاح بلا ولي لانه يري انه حق فينبغي ان لا يعترض على المعتزلي
في قوله ان الله لا يري وقوله ان الله لا يري وقوله ان الخير من الله والشر ليس من الله وقوله كلام الله تع مخلوق
وعلي الحشوي في قوله ان الله جسم وله صورة وانه مستقر على العرش بل على الفلسفي في قوله الاجساد
لا تبعث وانما تبعث النفوس لان هولاء ايضا ادي اجتهادهم الي ما قالوه وهم يظنون ان ذلك
هو الحق فان قلت بطلان مذهب هولاء ظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث ايضا
ظاهر وكما ثبت بظواهر النصوص ان الله يري والمعتزلي ينكرها بالتاويل فكذلك ثبت بظواهر النصوص
مسايل خالف فيها الحنفي كمسيلة النكاح بلا ولي ومسيلة شفعة الجوار ونظايرها فاعلم ان المسايل

ينقسم الي ما نتصور ان يقال فيها كل مجتهد مصيب وهي احكام الافعال في الحل والحرمة وذلك هو
الذي لا يعترض علي المجتهدين فيه اذ لا يعلم خطاها قطعا بل ظنا والي ما لا يتصور ان يكون المصيب
فيها الا واحدا كمسئلة الروية والقدر وقدم الكلام ونفي الصورة والجسمية والاستقرار عن الله تعالي
فهذا مما يعلم خطاء المخطي فيه قطعا فلا يبقي لخطائه الذي هو جهل محض وجه فاذن البدع كلها
ينبغي ان تحسم ابوابها وينكر علي المبتدعين بدعهم وان اعتقدوا انها الحق كما يرد علي اليهود والنصاري كفرهم
وان كانوا يعتقدون ان ذلك حق لان خطاهم معلوم علي القطع بخلاف الخطاء في مظان
الاجتهاد فان قلت فمهما اعترضت علي القدري في قوله الشر ليس من الله اعترض عليك القدري
ايضا في قولك الشر من الله وكذلك في قولك ان الله يري وفي ساير المسايل اذ المبتدع محق عند
نفسه والمحق مبتدع عند المبتدع وكل من يدعي انه محق وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم الاحتساب
فاعلم انا لاجل هذا التعارض نقول ننظر الي البلدة التي فيها اظهرت تلك البدعة فان كانت
البدعة غريبة والناس كلهم علي السنة فلهم الحسبة عليه بغير اذن السلطان وان انقسم البلد
الي اهل البدعة والي اهل السنة وكان في الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للآحاد الحسبة في
المذاهب الا بنصب السلطان فاذا راي السلطان الراي الحق ونصره واذن لواحد ان يزجر المبتدعة
عن اظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره فاما ان يكون باذن السلطان لا يتقابل وما يكون من
جهة الآحاد فيتقابل الامر فيه وعلي الجملة فالحسبة في البدع اهم من الحسبة في كل المنكرات
ولكن ينبغي ان يراعي فيه هذا التفصيل الذي ذكرناه كيلا يتقابل الامر ولا ينجر الي تحريك الفتنة
بل لو اذن السلطان مطلقا في منع كل من يصرح بان كلام الله مخلوق او ان الله لا يري او انه مستقر
علي العرش مماس له او غير ذلك من البدع تسلط الآحاد علي المنع منه ولم يتقابل الامر فيه وانما يتقابل
عند عدم اذن السلطان فقط الركن الثالث المحتسب عليه وشرطه ان يكون بصفة
يصير الفعل الممنوع عنه في حقه منكرا واقله يكفي في ذلك ان يكون انسانا ولا يشترط مكلفا اذ بينا
ان الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وان كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا اذ بينا
ان المجنون لو كان يزني بمجنونة او ياتي بهيمة وجب منعه منه نعم من الافعال ما لا يكون منكرا
في حق المجنون كترك الصلوة والصوم وغيره ولكنا لسنا نلتفت الي اختلاف التفاصيل فان
ذلك ايضا مما يختلف فيه المقيم والمسافر والمريض والصحيح وغرضنا الاشارة الي الصفة التي بها يتهيا
لتوجه اصل الانكار عليه لا ما بها يتهيا للتفاصيل فان قلت فاكتف بكونه حيوانا ولا يشترط

كونه انسانا فان البهيمة لو كانت تفسد زرعا لانسان لكنا نمنعها منه كما نمنع المجنون من الزنا واتيان
البهيمة فاعلم ان تسمية ذلك حسبة لا وجه له اذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله صيانة
للممنوع عن مقارفة المنكر ومنع المجنون عن الزنا واتيان البهيمة لحق الله وكذا منع الصبي عن شرب
الخمر والانسان اذا اتلف زرع غيره منع منه لحقين احدهما حق الله تعالى فان فعله معصية والثاني
حق المتلف عليه فهما علتان تنفصل احديهما عن الاخرى فلو قطع طرف غيره باذنه فقد وجدت
المعصية وسقط حق المجني عليه باذنه فثبتت الحسبة والمنع باحدى العلتين والبهيمة اذا اتلفت
فقد عدمت المعصية ولكن ثبت المنع باحدى العلتين ولكن فيه دقيقة وهي انا لسنا نقصد باخراج
البهيمة بل حفظ مال المسلم اذ البهيمة لو اكلت ميتة او شربت من اناء فيه خمر او ماء مشوب بخمر
لم نمنعها منه بل يطعم كلاب الصيد الجيف والميتات ولكن مال المسلم اذا تعرض للضياع
وقدرنا على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا حفظا للمال بل لو وقعت جرة لانسان من علو وتحته
قارورة لغيره فيدفع الجرة لحفظ القارورة لا لمنع الجرة فانا لا نقصد منع الجرة وحراستها من ان
تصير كاسرة للقارورة ونمنع المجنون من الزنا واتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبي لا صيانة
بالبهيمة المأتية او الخمر المشروب بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتنزيها له من حيث انه
انسان محترم فهذه لطائف دقيقة لا يتفطن لها الا المحقق فلا ينبغي ان يغفل عنها ثم
فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر اذ قد يتردد في منعهما من لبس الحرير وفي غير ذلك وسنشير
اليه في الباب الثالث فان قلت فكل من راى بهائم قد استرسلت في زرع انسان فهل
يجب عليه اخراجها وكل من راى مالا لمسلم اشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه ام لا
فان قلتم ان ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي الى ان يصير الانسان مسخرا لغيره طول
عمره وان قلتم لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال
الغير فنقول هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه ان نقول مهما قدر على حفظه من الضياع
من غير ان يناله تعب في بدنه او خسران في ماله او نقص في جاهه وجب عليه ذلك فذلك القدر
واجب في حقوق المسلم بل هو اقل درجات الحقوق والادلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة
وهذا اقل درجاته وهو اولى بالايجاب من رد السلام فان الاذى في هذا اكثر من الاذى
في رد السلام بل لا خلاف في ان مال الانسان اذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة
لو تكلم بها لرجع الحق اليه وجب عليه ذلك وعصى بكتمان الشهادة فبقي معنى ترك الشهادة ترك كل

دفع لا ضرر على الدافع فيه فان كان عليه تعب وضرر في مال او جاه لم يلزمه ذلك لان حقه مرعي في
منعه بدنه وفي ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه ان يفدي غيره بنفسه نعم الايثار مستحب وتجشم
المصاعب لاجل المسلمين قربة فاما ايجابها فلا فاذن ان كان يتعب باخراج البهايم عن
الزرع لم يلزمه ولكن اذا كان لا يتعب بتنبيه صاحب الزرع وهو نايم لم يلزمه ذلك فاهمال
تنبيهه بالتنبيه كاهمال تعريف القاضي بالشهادة وذلك لا رخصة فيه ولا يمكن ان يراعى فيه
الاقل والاكثر حتى يقال ان كان لا يضيع من منفعته في مدة استعماله باخراج البهايم الا مد
درهم وصاحب الزرع يفوته مال كثير فيرجح جانبه لان الدرهم الذي له هو يستحق حفظه كما يستحق
صاحب الالف حفظ الالف فلا سبيل للمصير الى ذلك فاما اذا كان فوات المال بطريق هو معصية
كالغصب او قتل عبد مملوك للغير فهذا يجب المنع فيه وان كان فيه تعب ما لان المقصود حق
الشرع والغرض دفع المعصية وعلى الانسان ان يتعب نفسه في دفع المعاصي كما عليه ان يتعب
نفسه في ترك المعاصي والمعاصي كلها في تركها تعب وانما الطاعة كلها ترجع الى مخالفة النفس
وهي غاية التعب ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه ما ذكرناه من درجات المحذورات
التي يخافها المحتسب وقد اختلف الفقهاء في مسئلتين يقرب من غرضنا احديهما ان
الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضايعة والملتقط مانع من الضياع وساع في الحفظ والحق
فيه عندنا ان نفصل ونقول ان كانت اللقطة في موضع لو تركها فيه لم يضع بل يلتقطها من
يعرفها او ترك كما لو كان في مسجد او رباط يتعين من يدخله وكلهم امناء فلا يلزمه الالتقاط
وان كان في مضيعة نظر فان كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت بهيمة ويحتاج الى علف
واصطبل فلا يلزمه ذلك لانه انما يجب الالتقاط لحق الملك وحقه بسبب كونه انسانا محترم
والملتقط ايضا انسان وله حق في ان لا يتعب لاجل غيره كما لا يتعب غيره لاجله وان كان
ذهبا او ثوبا او شيئا لا ضرر عليه فيه الا مجرد تعب التعريف فهذا ينبغي ان يكون في محل الوجهين
فقايل يقول التعريف والقيام بشرطه فيه تعب فلا سبيل الى الزامه ذلك الا ان يتبرع
فيلتزم طلبا للثواب وقايل يقول ان هذا القدر من التعب مستصغر بالاضافة الى مراعاة
حقوق المسلمين وينزل هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فانه لا يلزمه السفر الى
بلد اخرى الا ان يتبرع به فاذا كان دار القاضي في جوار داره وكان التعب بهذه الخطى
لا يعد تعبا في غرض اقامة الشهادة واداء الامانة وان كان في الطرف الاخر من البلد واخرج

اليه في الهاجرة وعند شدة الحر فهذا يقع في محل الاجتهاد والنظر فاذن الضرر الذي ينال الناس
في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في انه لا يبالي به وطرف في الكثرة لا يشك في انه لا يلزم
احتماله ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون ابدا في محل الشبهة والنظر وهي من المشتبهات المزمنة
التي ليس في مقدور البشر ازالتها اذ لا علة تفرق بين اجزائها المتقاربة لكن المتقي ينظر فيه
لنفسه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه فهذا نهاية الكشف عن هذا الاصل الركن ا
نفس الاحتساب وله درجات وآداب اما الدرجات فاولها التعرف ثم التعريف ثم
النهي بالوعظ والنصح ثم السب والتعنيف ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب ثم ايقاع الضرب وتحقيقه
ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالاعوان وجمع الجنود اما الدرجة الاولى وهي التعرف ونعني
به طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه وهو التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي ان يسترق السمع
على دار غيره ليسمع صوت الاوتار ولا ان يستنشق ليدرك رائحة الخمر ولا ان يمس ما في ثوبه
ليعرف شكل المزمار ولا ان يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره نعم لو اخبره عدلان ابتداء
من غير استخبار بان فلانا يشرب الخمر في داره او في داره خمر اعده للشرب فله اذ ذاك ان يدخل
داره ولا يلزمه الاستئذان ويكون تخطي ملكه بالرجل للتوصل الى دفع المنكر ككسر راسه بالضرب
مهما احتاج اليه وان اخبره عدلان او عدل واحد وبالجملة من تقبل روايته لا شهادته ففي جواز
الهجوم على داره بقولهم فيه نظر واحتمال والاولى ان يمتنع لان له حقا في ان لا يتخطى داره
بغير اذنه ولا يسقط حق المسلم عما ثبت عليه حقه الا بشاهدين فهذا اولى بان يجعل منه
مردا وقد كان نقش خاتم لقمان الستر لما عاينت احسن من اذاعة ما ظننت الدرجة الثانية
التعريف فان المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله واذا عرف انه منكر تركه كالسوادي يصلي
ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم ان هذا لجهله بان ذلك ليس بصلوة ولو رضي بان لا يكون
مصليا لترك اصل الصلوة فيجب تعريفه باللطف من غير عنف وذلك لان في ضمن التعريف
نسبة الى الجهل والحمق والتجهيل ايذاء وقلما يرضى الانسان بان ينسب الى الجهل بالامور
لا سيما بالشرع ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب اذا نبه على الخطا والجهل
وكيف يجتهد في مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة من ان تنكشف عورة جهله والطباع
احرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية لان الجهل قبح في صورة النفس
وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوأتين يرجع الى صورة البدن ثم هو غير ملوم عليه

لانه خلقه لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في اختياره ازالته وتحسينه والجهل ممكن
ازالته وتبديله بحسن العلم فلذلك يعظم تالم الانسان بظهور جهله ويعظم ابتهاجه في
نفسه بعلمه ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره واذا كان التعريف كشفا للعورة مؤذيا للقلب
فلا بد وان يعالج دفع اذاه بلطف الرفق فيقول له ان الانسان لا يولد عالما ولقد كنا جاهلين
بامور الصلوة فعلمنا العلماء ولعل قريتك خالية عن اهل العلم او عالمها مقصر في شرح الصلوة
وايضاحها انما شرط الصلوة الطمانينة في الركوع والسجود فهكذا يتلطف به ليحصل التعريف
من غير ايذاء فان ايذاء المسلم حرام محذور كما ان تقريره على المنكر حرام وليس من العقلاء
من يغسل الدم بالدم او بالبول ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور
الايذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على التحقيق واما اذا وقعت على
خطائه في غير امر الدين فلا ينبغي ان ترده عليه فانه يستفيد منك علما ويصير لك عدوا الا اذا
علمت انه يغتنم العلم وذلك عزيز جدا الدرجة الثالثة النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله وذلك
فيمن يقدم على الامر وهو عالم بكونه منكرا او فيمن اصر عليه بعد ان عرف كونه منكرا كالذي يواظب
على الشرب او على الظلم او على اغتياب المسلمين او ما يجري مجراه فينبغي ان يوعظ ويخوف بالله
تعالى ويورد عليه الاخبار الواردة بالوعيد فيها ويحكي له سيرة السلف وعادة المتقين وكل ذلك
بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر اليه نظر المترحم عليه ويرى اقدامه على المعصية
معصية على نفسه اذ المسلمون كنفس واحدة وههنا آفة عظيمة ينبغي ان يتوقاها فانها مهلكة
وهو ان العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف
الادلال واظهار التميز بشرف العلم واذلال صاحبه بالنسبة الى خسة الجهل فان كان الباعث
هذا فهذا المنكر في نفسه اقبح من المنكر الذي يعترض عليه ومثال هذا المحتسب مثال من
يخلص غيره عن النار باحراق نفسه وهو غاية الجهل وهذه مزلة عظيمة وغائلة هائلة
وغرور للشيطان يتدلى بحبله كل انسان الا من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته
فان في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة احديهما من جهة دالة العلم والاخرى من جهة
دالة الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع الى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية
الى الشرك الخفي وله محك ومعيار ينبغي ان يمتحن به المحتسب نفسه وهو ان يكون امتناع ذلك
الانسان عن المنكر بنفسه او باحتساب غيره احب اليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحسبة

شاقد علم نقله على نفسه وهو يود ان يكفى تغيره فليحتسب فان باعثه الدين وان كان اتعاظ ذلك
العاصى بوعظه وانزجاره بزجره احب اليه من اتعاظه بوعظ غيره فما هو الا متبع هوى نفسه ومتوسل
الى اظهار جاه نفسه بواسطة حسبته فليتق الله فيه وليحتسب اولا على نفسه وعند هذا يقال
له ما قيل لعيسى عليه الصلوة والسلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى
منى وقيل لداود الطائى ارايت رجلا دخل على هؤلاء الامراء فامرهم بالمعروف ونهاهم عن
المنكر قال اخاف عليه السوط قال انه يقوى قال اخاف عليه السيف قال انه يقوى قال اخاف
عليه الداء الدفين العجب الدرجة الرابعة السب والتعنيف بالقول الغليظ وذلك يعدل اليه
عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادى الاصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول ابراهيم
صلوات الله عليه اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون ولسنا نعنى بالسب الفحش بما فيه
نسبة الى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل ان يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله يا فاسق
يا احمق يا جاهل الا تخاف الله يا سوادى يا غبى وما يجرى هذا المجرى فان كل فاسق فهو احمق
وجاهل ولولا حمقه لما عصى الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو احمق والكيس من شهد له
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ولهذه الرتبة ادبان احدهما ان لا يقدم عليه الا
عند الضرورة والعجز عن اللطف والثانى ان لا ينطق الا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق
لسانه الطويل بما لا يحتاج اليه بل يقتصر على قدر الحاجة فان علم ان خطابه بهذه الكلمات
الزاجرة ليست تزجره فلا ينبغى ان يطلقه بل يقتصر على اظهار الغضب والاستحقار له والازدراء
بمحله لاجل معصيته وان علم انه لو تكلم ضرب ولو اكفهر واظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه
ولم يكف الانكار بالقلب بل يلزمه ان يقطب وجهه ويظهر الانكار به الدرجة الخامسة التغيير
باليد وذلك ككسر الملاهى واراقة الخمر وخلع الحرير من راسه ودفعه من الجلوس على مال
الغير واخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله واخراجه من المسجد اذا كان جالسا وهو جنب
وما يجرى مجراه ويتصور ذلك فى بعض المعاصى دون بعض فاما معاصى اللسان والقلب
فلا يقدر على مباشرة تغييره وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصى وجوارحه الباطنة
وفى هذه الدرجة ادبان احدهما ان لا يباشر بيده ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك
فاذا امكنه ان يكلفه المشى فى الخروج عن الارض المغصوبة والمسجد فلا ينبغى ان ياخذ

ويجر واذا قدر ان يكلفه اراقة الخمر وكسر الملاهي وحل دروز الحرير فلا ينبغي ان يباشر بنفسه فان
في الوقوف على حد الكسر نوع عسر فاذا لم يتعاط بنفسه كفي الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه في فعله
الثاني ان يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج اليه وهو ان لا ياخذ بلحيته في الاخراج ولا برجله
اذا قدر على جره بيده فان زيادة الاذى فيه مستغنى عنه وان لا يمزق الثوب الحرير بل يحل دروزه
فقط ولا يحرق الملاهي والصليب الذي اظهره النصارى بل يبطل صلاحها للفساد بالكسر وحد
الكسر ان يصير الى حال يحتاج في استيناف اصلاحه الى تعب يساوي تعب الاستيناف من الخشب
ابتداء وفي اراقة الخمر يتوقى كسر الاواني ان وجد اليه سبيلا فان لم يقدر عليها الا بان يرمي ظروفها
بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر اذ صار حائلا بينه وبين الوصول الى الخمر
ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالضرب والجرح ليتوصل الى اراقة الخمر فلا تزيد حرمة ملكه في الظروف
على حرمة نفسه ولو كان الخمر في قوارير ضيقة الرؤس ولو اشتغل باراقتها طال الزمان وادركه الفساق
ومنعوه فله كسرها فهذا عذر وان كان لا يحذر ظفر الفساق ومنعهم ولكن يضيع فيه زمانه وتتعطل
عليه اشغاله فله ان يكسرها فليس عليه ان يضيع منفعة بدنه وغرضه من اشغاله لاجل ظروف الخمر
وحيث كانت الاراقة متيسرة بدون الكسر فكسره لزمه الضمان فان قلت فهلا جاز الكسر لاجل الزجر
وهلا جاز الجر بالرجل في الاخراج عن الغصب ليكون ابلغ في الزجر فاعلم انما يكون عن المستقبل والعقوبة
يكون على الماضي والدفع عن الحاضر الراهن وليس الى آحاد الرعية الا الدفع وهو اعدام المنكر فما زاد
على قدر الاعدام فهو اما عقوبة على جريمة سابقة او زجر عن لاحق وذلك الى الولاة لا الى الرعية
نعم الوالي له ان يفعل ذلك اذا رأى المصلحة فيه واقول له ان يامر بكسر الظروف التي فيها الخمور
زجرا وقد فعل ذلك في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم تاكيدا للزجر ولم يثبت نسخه ولكن كانت
الحاجة الى الزجر والفطام شديدة فاذا رأى الوالي باجتهاده مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك
واذا كان هذا منوطا بنوع اجتهاد دقيق لم يكن لآحاد الرعية فان قلت فليجز للسلطان زجر الناس
عن المعاصي باتلاف اموالهم وتخريب دورهم التي فيها يشربون ويعصون واحراق اموالهم التي
بها يتوصلون الى المعاصي فاعلم ان ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجا عن سنن المصالح
ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع فيها وكسر ظروف الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة وتركه بعد ذلك
لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخا بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها فانما جوزنا ذلك للامام بحكم
الاتباع ومنعنا آحاد الرعية لخفاء وجه الاجتهاد فيه بل نقول لو اريقت الخمور اولا فلا يجوز كسر الاواني

بعدها بل جاز كسرها تبعا للخمر فاذا خلت عنها فهو اتلاف مال الا ان يكون ضارية للخمر لا يصلح الا لها
وكان الفعل المنقول عن العصر الاول كان مقرونا بالمعنيين احدهما بشدة الحاجة والآخر بتبعية الخمر
التي هي مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لا سبيل الى حذفهما ومعنى ثالث وهو صدوره عن صاحب الامر
لعلمه بتادية الحاجة الى الزجر وهو ايضا مؤثر فلا سبيل الى الغاية فهذه تصرفات دقيقة فقهية يحتاج
المحتسب لا محالة الى معرفتها الدرجة السادسة التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا او لاكسرن
راسك ولاضربن رقبتك ولآمرن بك وذلك ينبغي ان يقدم على تحقيق الضرب اذا امكن تقديمه والادب
في هذه الرتبة ان لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لانهبن دارك ولاضربن ولدك ولاسبين زوجتك
وما يجري مجراه بل ذلك ان قاله عن عزم فهو حرام وان قاله من غير عزم فهو كذب نعم اذا تعرض لوعيده
بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه الى حد معلوم يقتضيه الحال وله ان يزيد في الوعيد على ما
هو عزمه الباطن اذا علم ان ذلك مما يقمعه ويردعه وليس ذلك من الكذب المحذور بل المبالغة
في مثل ذلك معتاد وهو في معنى مبالغة الرجل في اصلاحه بين شخصين وتاليفه بين الضرتين
وذلك مما رخص فيه للحاجة وهذا في معناه فان القصد به اصلاح ذلك الشخص والى هذا المعنى اشار
بعض الناس انه لا يقبح من الله تعالى ان يتوعد بما لا يفعل لان الخلف في الوعيد كرم وانما يقبح ان يعد بما لا
يفعل وهذا غير مرضي عندنا فان الكلام القديم لا يتطرق اليه الخلف وعدا كان او وعيدا وانما
يتصور هذا في حق العباد وهو كذلك اذ الخلف في الوعيد ليس بحرام الدرجة السابعة مباشرة الضرب
باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر
الحاجة في الدفع فاذا اندفع المنكر ينبغي ان يكف والقاضي يرهق من ثبت عليه الحق الى الاداء بالحبس
فان اصر المحبوس وعلم القاضي قدرته على اداء الحق وكونه معاندا فله ان يلزمه الاداء بالضرب على التدريج
كما يحتاج اليه وكذا المحتسب يراعي التدريج فان احتاج الى شهر سلاح وكان قدرته على دفع المنكر
بشهر السلاح وبالجرح فله ان يتعاطى ذلك كما لو قبض فاسق مثلا على امراة او على مزمار وهو يضرب به
وبينه وبين المحتسب نهر حايل او جدار مانع فياخذ قوسه ويقول له خل عنها او لارمينك فان لم يخل عنها
فله ان يرمي وينبغي ان لا يقصد المقتل بل الساق والفخذ ويراعي فيه التدريج وكذلك يسل السيف
ويقول اترك هذا المنكر او لاضربنك فكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق في ذلك
بين ما يتعلق بخاص حق الله تعالى وما يتعلق بالادميين وقالت المعتزلة ما لا يتعلق بالادميين
فلا حسبة فيها الا بالكلام او بالضرب ولكن للامام لا للآحاد الدرجة الثامنة ان لا يقدر عليه

بنفسه ويحتاج فيه الى اعوان يشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق ايضا من اعوانه ويودي الى ان
يتقابل الصفان ويتقاتلا فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه الى اذن الامام فقال قايلون لا يستقل
آحاد الرعية بذلك لانه يودي الى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد وقال آخرون لا يحتاج
الى الاذن وهو الاقيس لانه اذا جاز للآحاد الامر بالمعروف واوايل درجاته تجر الى ثوانيه وقد ينتهي لا محالة
الى التضارب والتضارب يدعو الى التقاتل فلا ينبغي ان يبالي بلوازم الامر بالمعروف ومنتهاه تجنيد
الجنود في رضا الله تعالى ودفع معاصيه ونحن نجوز للآحاد من الغزاة ان يجتمعوا ويقاتلوا من ارادوا من
فرق الكفار قمعا لاهل الكفر فكذلك قمع اهل الفساد جائز لان الكافر لا باس بقتله والمسلم ان
قتل فهو شهيد فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه لا باس بقتله والمحتسب ان المحق قتل مظلوما
فهو شهيد وعلى الجملة فانتهاء الامر الى هذا من النوادر في الحسبة فلا يغير به قانون القياس بل يقال
كل من قدر على دفع منكر فله ان يدفع ذلك بيده وسلاحه وبنفسه وباعوانه فالمسألة اذن محتملة كما
ذكرناه فهذه درجات الاحتساب فلنذكر آدابها **بيان آداب المحتسب** وقد ذكرنا
تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات ولنذكر الآن جملها ومصادرها فنقول جميع آداب المحتسب
مصدرها ثلث صفات في المحتسب العلم والورع وحسن الخلق اما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها
ومجاريها ليقتصر على حد الشرع فيه والورع ليردعه عن مخالفة معلومه فلا كل من علم عمل به بل ربما يعلم
انه مسرف في الحسبة وزايد على الحد الماذون شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض وليكون كلامه
ووعظه مقبولا فان الفاسق يهزا به اذا احتسب ويورث ذلك جراة واما حسن الخلق ليتمكن
من اللطف والرفق وهو اصل الباب واساسه والورع والعلم لا يكفي فيه فان الغضب اذا هاج لم
يكف مجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم
الورع الا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصبر المحتسب على ما اصابه
في دين الله والا فاذا اصيب عرضه او نفسه بشتم او ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل
بنفسه بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم فهذه الصفات الثلثة بها يصير الحسبة من
القربات وبها تندفع المنكرات فان فقدت لم يندفع المنكر وربما كانت الحسبة ايضا منكرا لمجاوزة
حد الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم لا يامر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق
فيما يامر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يامر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يامر فقيه فيما ينهى عنه وهذا
يدل على انه لا يشترط ان يكون فقيها مطلقا بل فيما يامر به وكذا الحلم وقال الحسن البصري اذا كنت ممن

يامر بالمعروف فكن من احسن الناس به والا هلكت وقد قيل لا الم المرء على فعله وانت منسوب
الى مثله من ذم شيئا واتى مثله فانما يزري على عقله ولسنا نعني بهذا ان الامر بالمعروف يصير ممنوعا
بالفسق ولكن يسقط اثره عن القلوب بظهوره للناس وقد روي عن انس قال قلنا يا رسول الله
لا نامر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل
مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله واوصى بعض السلف بنيه
وقال ان اراد احدكم ان يامر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق
بالثواب لم يجد مس الاذى فاذن من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر وتقليل العلائق
حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة فقد روي عن بعض المشايخ
انه كان له سنور وكان ياخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئا من الغدد لسنوره فراى على القصاب
منكرا فدخل الدار اولا واخرج السنور ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب لا
اعطيك بعدها شيئا لسنورك فقال ما احتسب عليك الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع منك
وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع عن الخلق لا يقدر على الحسبة ومن طمع في ان يكون قلوب الناس عليه
طيبة والسنتهم بالثناء عليه مطلقة لم تتيسر عليه الحسبة قال كعب لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك
بين قومك قال حسنة قال ان التورية تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته
عند قومه فقال ابو مسلم صدق التورية وكذب ابو مسلم ويدل على وجوب الرفق ما استدل به
المامون اذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله تعالى من هو خير
منك الى من هو شر مني وامر بالرفق فقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى فليكن اقتداء
المحتسب في الرفق بالانبياء صلوات الله عليهم وقد روي ابو امامة ان غلاما شابا اتى النبي صلعم
فقال يا نبي الله اتاذن لي في الزنا فصاح به الناس فقال صلى الله عليه وسلم اقربوه ادن فدنا حتى
جلس بين يديه فقال صلى الله عليه وسلم اتحبه لامك فقال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس
لا يحبونه لامهاتهم اتحبه لابنتك قال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم اتحبه لاختك
فزاد ابن عوف انه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحدة لا جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم
يقول كذلك الناس لا يحبونه وقالا جميعا في حديثهما اعني ابن عوف والراوي الآخر فوضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شيء
ابغض اليه منه يعني من الزنا وقيل للفضيل بن عياض ان سفيان قبل جوائز السلطان

فقال الفضيل ما احد منهم الا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان يا ابا علي ان لم يكن من الصالحين
فانا لنحب الصالحين وقال حماد بن سلمة ان صلة بن اشيم مر على رجل قد اسبل ازاره فهم اصحابه ان ياخذوه
بشدة فقال دعوني انا اكفيكم فقال يا ابن اخي ان لي اليك حاجة قال وما حاجتك يا عم قال احب ان ترفع
من ازارك فقال نعم وكرامة فرفع ازاره فقال لاصحابه لو اخذتموه بشدة فقال لا ولا كرامة وشتمكم وقال
محمد بن زكريا الغلابي شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد يريد منزله واذا في طريقه
غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة وجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس عليه يضربونه فنظر اليه
ابن عائشة فعرفه فقال للناس تنحوا عن ابن اخي ثم قال الي يا ابن اخي فاستحيى الغلام فجاء اليه فضمه الى
نفسه ثم قال له امض معي فمضى معه حتى صار الى منزله فادخله الدار وقال لبعض غلمانه بيته عندك
فاذا افاق من سكره فاعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى ياتيني به فلما افاق ذكر له ما جرى
فاستحيى منه وبكى وهم بالانصراف فقال الغلام قد امر ان تاتيه فادخله عليه فقال له اما استحييت
لنفسك اما استحييت لشرفك اما ترى من ولدك فاتق الله وانزع عما انت فيه فبكى الغلام منكسا راسه
ثم رفع راسه وقال عاهدت الله عهدا يسالني عنه يوم القيامة اني لا اعود لشرب النبيذ ولا لشيء
مما كنت فيه وانا تائب فقال ادن مني فقبل راسه وقال احسنت يا بني وكان الغلام بعد ذلك يلزمه
ويكتب الحديث وكان ذلك ببركة رفقه ثم قال ان الناس يامرون بالمعروف ويكون معروفهم منكرا
عليكم بالرفق في جميع اموركم تنالون به ما تطلبون فهكذا كانت عادة اهل الدين في الحسبة
وقد نقلنا فيه آثارا واخبارا في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب آداب الصحبة فلا نطول
بالاعادة فهذا تمام النظر في درجات الاحتساب وآدابها **الباب الثالث**
في المنكرات المالوفة في العادات نشير الى جمل منها ليستدل بها على امثالها اذ لا
مطمع في حصرها واستقصائها **منكرات المساجد** اعلم ان المنكرات تنقسم الى
محظورة والى مكروهة فاذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم ان المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه
وليس بحرام الا اذا لم يعلم الفاعل انه مكروه فيجب ذكره له لان الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه الى
من لا يعرفه واذا قلنا منكر محظور او منكر مطلقا فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة
محظورا فمما يشاهد كثيرا في المساجد اساءة الصلوة بترك الطمانينة في ركوعها وسجودها وهو
منكر مبطل للصلوة بنص الحديث فيجب النهي عنها الا عند الحنفي الذي يعتقد ان ذلك لا يمنع صحة
الصلوة اذ لا ينفع النهي معه ومن رأى مسيئا في صلوته فسكت عليه فهو شريكه هكذا ورد الاثر

وفي الخبر ما ورد عليه اذ ورد في الغناء بان المستمع شريك القايل ولذلك كلما يقدح في صحة الصلوة
من نجاسة علي ثوبه لا يراه او انحراف عن القبلة بسبب ظلام او عمى فكل ذلك يجب الحسبة فيه
ومنها قراءة القرآن باللحن يجب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح فان كان المعتكف في المسجد يضيع
اكثر اوقاته في امثال ذلك ويشتغل به عن التطوع والذكر فليشتغل فان هذا افضل من ذكره
وتطوعه لان هذا فرض وهي قربة تتعدى فايدتها فهي افضل من نافلة يقتصر عليه فايدتها
وان كان يمنعه عن الوراقة والكسب الذي هو طعمته فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال
بذلك ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وان احتاج اليه لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب
عنه لعجزه والذي يكثر اللحن في القرآن ان كان قادرا علي التعلم فليمتنع عن القراءة قبل التعلم فهو
عاص به وان كان لا يطاوعه اللسان فان كان اكثر ما يقراه لحنا فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة
وتصحيحها وان كان الاكثر صحيحا وليس يقدر علي التسوية فلا باس له ان يقرا ولكن ينبغي ان يخفض
به الصوت حتى لا يسمع غيره ولمنعه سرا منه ايضا وجه ولكن اذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له
انس بالقراءة وحرص عليه فلست اري به باسا والله اعلم ومنها تراسل المؤذنين في الاذان وتطويلهم
مد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في الحيعلتين او انفراد كل واحد باذان
من غير توقف الي انقطاع اذان الاخر بحيث يضطرب علي الحاضرين جواب الاذان لتداخل
الاصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها وان صدرت عن معرفة فيستحب المنع عنها
والحسبة فيها واذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي ان يمنع منه فذلك مشوش
للصوم والصلوة على الناس الا اذا عرف انه يؤذن قبل الصبح حتى لا يعول على اذانه في صلوة وترك
سحور وكان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح ومن المكروهات ايضا تكثير الاذان
مرة بعد اخرى بعد طلوع الصبح في مسجد واحد في اوقات متعاقبة متقاربة اما من واحد او جماعة
فانه لا فايدة فيها اذا لم يبق في المسجد نايم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينبه غيره فكل
ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف ومنها ان يكون الخطيب لابسا
لثوب اسود يغلب عليه الابريسم او ممسكا لسيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب فاما
مجرد السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب اذ احب الثياب الي الله البيض ومن قال انه مكروه
وبدعة اراد به انه لم يكن في العصر الاول معهودا ولكن اذا لم يرد عنه نهي فلا ينبغي ان يسمى بدعة
ومكروها ولكنه ترك للاحب ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة

فالقاص ان كان يكذب في اخباره فهو فسق والانكار عليه واجب وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه الا علي قصد اظهار الرد عليه اما للكافة ان قدر عليه او لبعض الحاضرين حوله فان لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة قال تعالي لنبيه صلى الله عليه وسلم فاعرض عنهم حتي يخوضوا في حديث غيره ومهما كان كلامه مايلا الي الارجاء وتجرية الناس علي المعاصي وكان الناس يزدادون بكلامه جراة وبعفو الله ورحمته وثوقا يزيد لسببه رجاؤهم علي خوفهم فهو منكر ويجب منعه منه لان فساد ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم علي رجائهم فذلك اقرب واليق بطباع الخلق فانهم الي الخوف احوج وانما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضي الله عنه لو نادي منادي يوم القيمة ليدخل النار كل الناس الا رجل واحد لرجوت ان اكون انا ذلك الرجل ولو نادي منادي ليدخل الجنة كل الناس الا رجل واحد لخفت ان اكون انا ذلك الرجل ومهما كان الواعظ شابا متزينا للنساء في ثيابه وهيأته كثير الاشعار والاشارات والحركات وقد حضر مجلسه النساء فهذا منكر يجب المنع منه فان الفساد فيه اكثر من الصلاح ويتبين ذلك منه بقراين احواله بل لا ينبغي ان يسلم الوعظ الا لمن ظاهره الورع وهيأته السكينة والوقار وزيه زي الصالحين والا فلا يزداد الناس به الا تماديا في الضلال ويجب ان يضرب بين الرجال والنساء حايل يمنع النظر فان ذلك ايضا مظنة الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلوة ولمجالس الذكر اذا خيفت الفتنة بهن اذ منعتهن عايشه رضي الله عنها فقيل لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعهن من الجماعة فقالت لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احدثن بعده لمنعهن واما اجتياز المرأة بالمسجد متسترة فلا يمنع منه الا ان الاولي ان لا يتخذ المسجد مجازا اصلا وقراءة القرآن بين يدي الوعاظ مع التمديد والالحان علي وجه يغير نظم القرآن ويجاوز حد الترتيل منكر مكروه شديد الكراهة انكره جماعة من السلف ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الادوية والاطعمة والتعويذات وكقيام السؤال وقراءتهم للاشعار وما يجري مجراه فهذه منها ما هو محرم لكونه تلبيسا وكذبا كالكذابين من طرقية الاطباء وكاهل الشعبذة والتلبيسات وكذا ارباب التعويذات في الاغلب يتوصلون الي بيعها بتلبيسات علي الصبيان والسوادية فهذا حرام في المسجد ويجب المنع منه بل كل بيع فيه كذب وتلبيس واخفاء عيب علي المشتري فهو حرام ومنها ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الادوية والكتب والاطعمة في المسجد ايضا لا يحرم الا بعارض وهو ان يضيق المكان علي المصلين ويشوش عليهم صلوتهم فان لم يكن شيء من ذلك فليس بحرام والاولي تركه ولكن شرط اباحته ان يجري في اوقات نادرة وايام معدودة فان اتخذ

المسجد دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن المباحات ما يباح بشرط القلة فان كثر صار صغيرة
كما ان من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الاصرار فان كان القليل من هذا لو فتح بابه لخيف
ان يجر الى الكثير فليمنع منه ولكن هذا المنع الى الوالي او الى القيم بمصالح المسجد من قبل الوالي لانه
يدرك ذلك بالاجتهاد وليس للآحاد المنع مما هو مباح في نفسه لخوفه ان ذلك يكثر ومنها دخول
المجانين والصبيان والسكارى في المسجد ولا باس بدخول الصبي المسجد اذا لم يلعب ولا يحرم عليه
اللعب ولا السكوت على لعبه الا اذا اتخذ المسجد ملعبا وصار ذلك معتادا فيجب المنع منه فهذا
مما يحل قليله دون كثيره ودليل حل قليله ما روينا في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقف لاجل عايشة حتى نظرت الى الحبشة يرقمون ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد في المسجد
ولا شك في ان الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعبا لمنعوا منه ولم ير ذلك على الندرة والقلة منكرا حتى
نظر اليه بل امرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبصرهم عايشة رضي الله عنها تطييبا لقلبها اذ قال
دونكم يا بني ارفدة كما نقلناه في كتاب السماع واما المجانين فلا باس بدخولهم المسجد الا ان يخشى
تلويثهم او شتمهم او نطقهم بما هو فحش او تعاطيهم لما هو منكر في صورته ككشف العورة وغيرها
فاما المجنون الهادي الساكت الذي قد علم بالعادة سكونه وسكوته فلا يجب اخراجه من المسجد والسكران
في معنى المجنون فان خيف منه القذف اعني القي او الايذاء باللسان وجب اخراجه وكذا اذا كان
مضطرب العقل فانه يخاف ذلك منه وان كان قد شرب ولم يسكر والرايحة منه تفوح فهو منكر
مكروه شديد الكراهة وكيف لا ومن اكل الثوم فقد نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حضور
المساجد ولكن يحمل ذلك على الكراهة والامر في الخمر اشد فان قال قايل ينبغي ان يضرب السكران
ويخرج من المسجد زجرا قلنا لا بل ينبغي ان يلزم القعود في المسجد ويدعى اليه ويومر بترك الشرب
مهما كان في الحال عاقلا فاما ضربه للزجر فليس ذلك الى الآحاد بل هو الى الولاة وذلك عند اقرار
او شهادة شاهدين فاما بمجرد الرايحة فلا نعم اذا كان يمشي بين الناس متمايلا بحيث يعرف سكره
فيجوز ضربه في المسجد وغير المسجد منعا له عن اظهار اثر السكر فان اظهار اثر الفاحشة فاحشة
والمعاصي يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها فان كان مستترا مخفيا لاثره فلا يجوز ان
يتجسس والرايحة قد تفوح من غير شرب الخمر في موضع الخمر وبوصوله الى الفم دون الابتلاع
فلا ينبغي ان يعول عليه **منكرات الاسواق** المعتاد في الاسواق الكذب في المرابحة واخفاء
العيب فمن قال اشتريت بعشر وقد ابتعته بتسع دراهم وهو كاذب فهو فاسق وعلى من عرف ذلك ان

نجر المشتري بكذبه فان سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكا في الخيانة وعصى بسكوته وكذا اذا علم به شيئا
من عيب يلزمه ان ينبه المشتري عليه والا كان راضيا بضياع ماله وهو حرام ولذلك التفاوت في الذراع
والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه او رفعه الى الوالي حتى يغيره ومنها ترك الايجاب والقبول
والاكتفاء بالمعاطاة ولكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر الا على من اعتقد وجوبه وكذا في الشروط الفاسدة
المعتادة بين الناس يجب الانكار فانها مفسدة للعقود وكذا في الربويات كلها وهي غالبة ولذلك ساير
التصرفات الفاسدة ومنها بيع الملاهي واشكال الحيوانات المصورة في ايام العيد لاجل الصبيان فذلك
يجب كسرها والمنع من بيعها كالملاهي وكذا بيع الاواني المتخذة من الذهب وكذا بيع ثياب الحرير وقلانس
الذهب والحرير اعني التي لا يصلح الا للرجال ويعلم بعادة البلدة انه لا يشتريه الا الرجال فكل ذلك منكر
محظور وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة المقصورة التي يلبس على الناس بقصارتها ابتذالها
ويزعم انها جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب وكذلك تلبيس انخراق الثياب بالرفو وما
يؤدي الى الالتباس وكذلك جميع انواع العقود المؤدية الى التلبيسات وذلك يطول احصاؤه فليقس بما
ذكرناه ما لم نذكره منكرات الشوارع فمن المعتادات فيها وضع الاسطوانات وبناء الدكات
متصلا بالابنية المملوكة وغرس الاشجار واخراج الرواشن والاجنحة ووضع الخشب واحمال الحبوب
والاطعمة على الطرق وكل ذلك منكر ان كان يؤدي الى تضييق الطرق واستضرار المارة وان لم يؤد
الى ضرر اصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز وضع الحطب واحمال الاطعمة في الطريق في القدر الذي
ينقل الى البيوت فان ذلك يشترك في الحاجة اليه الكافة ولا يمكن المنع منه وكذلك ربط الدواب
على الطريق بحيث يضيق الطريق وينجس المجتازين منكر يجب المنع منه الا بقدر حاجة النزول والركوب
وهذا لان الشوارع مشتركة وليس لاحد ان يختص بها الا بقدر الحاجة والمرعي هي الحاجة التي تراد الشوارع
لاجلها دون ساير الحاجات ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يمزق ثياب الناس فذلك منكر ان
امكن شدها وضمها بحيث لا يمزق او امكن العدول بها الى موضع واسع والا فلا منع اذ حاجة اهل
البلد تمس اليه نعم لا يترك ملقاة على الشوارع الا بقدر مدة النقل وكذلك تحميل الدواب من الاحمال
ما لا تطيقه منكر يجب منع الملاك منه وكذلك القصاب اذا كان يذبح في الطريق حذاء باب الحانوت
ويلوث الطريق بالدم فيمنع منه بل حقه ان يتخذ في دكانه مذبحا ففي ذلك تضييق واضرار بسبب رشش
النجاسة واضرار بسبب استقذار الطباع للقاذورات وكذلك طرح القمامة على جواد الطرق وتبديد
قشور البطيخ او رش الماء بحيث يخشى منه التزلق والتعثر كل ذلك من المنكرات وكذلك ارسال الماء من

المزاريب المخرجة من الحايط في الطرق الضيقه فان ذلك ينجس الثياب او يضيق الطرق ولا يمنع
منه في الطرق الواسعة اذ العدول عنه ممكن فاما ترك مياه المطر والاوحال والثلوج في الطرق
من غير كسح فذلك منكر ولكن ليس يختص به شخص معين الا الثلج الذي يختص بطرحه على الطريق
واحد والماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين فعلي صاحبه على الخصوص كسح الطريق
وان كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلي الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للاحاد فيه
الا الوعظ فقط ولذلك اذا كان له كلب عقور على باب داره يوذي الناس يجب منعه منه وان كان
لا يوذي الا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه وان كان يضيق الطريق
ببسطه ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من ان ينام على الطريق او يقعد قعودا يضيق الطريق
منكرات الحمامات منها الصور التي على باب الحمام او داخل الحمام يجب ازالتها على كل من يدخلها
ان قدر فان كان الموضع مرتفعا لا تصل اليه يده فلا يجوز له الدخول الا لضرورة فليعدل الى حمام آخر
فان مشاهدة المنكر غير جايز ويكفيه ان يشوه وجوهها ويبطل به صورتها ولا يمنع من صور الاشجار
وساير النقوش سوي صور الحيوان ومنها كشف العورات والنظر اليها ومن جملتها كشف الدلاك عن
الفخذ وما تحت السرة لتنحية الوسخ بل من جملته ادخال اليد تحت الازار فان مس العورة حرام
كالنظر اليه ومنها الانبطاح على الوجه بين يدي الدلاك لتغميز الافخاذ والاعجاز فهذا مكروه
وان كان مع حايل ولكن لا يكون محظورا اذا لم يخش من حركة الشهوة ومنها غمس اليد والاواني النجسة
في المياه القليلة وغسل الازار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل فانه منجس للماء الا على مذهب
مالك فلا يجوز الانكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وان اجتمع مالكي وشافعي في
الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك الا بطريق الالتماس واللطف وهو ان يقول انا نحتاج الى ان
نغسل اليد اولا ثم نغمسها في الماء واما انت فمستغن عن ايذايي وتفويت الطهارة علي وما
يجري مجراه فان مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر ومنها ان يكون في مداخل بيوت الحمام
ومجاري مياهها حجارة ملساء مزلقة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر ويجب قلعه وازالته وينكر
على الحمامي اهماله فانه يفضي الى السقطة وقد تودي السقطة الى انكسار عضو او انخلاعه ولذلك
ترك السدر والصابون المزلق على ارض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج فتعثر به انسان وانكسر عضو
من اعضايه وكان ذلك في موضع لا يظهر بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذي تركه
وبين الحمامي اذ حقه تنظيف الحمام والوجه ايجاب الضمان على تاركه في اليوم الاول وعلى الحمامي في اليوم

الثاني اذ غايته التنظيف كل يوم معتاد والرجوع في مواقيت اعادة التنظيف الى العادات وفي الحمام امور
آخر مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة **منكرات الضيافة** فمنها فرش الحرير للرجال فهو حرام وبخر
البخور في مجمرة فضة او الشرب او استعمال ماء الورد من اواني فضية او ما رؤوسها فضة ومنها اسبال
الستور وعليها الصور ومنها سماع الاوتار او سماع القينات ومنها اجتماع النساء على السطوح للنظر الى
الرجال مهما كان في الرجال شباب يخاف الفتنة منهم فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن عجز عن
تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة في الجلوس في مشاهدة المنكرات واما الصور على النمارق
والزرابي المفروشة فليس منكرا وكذا على الاطباق والقصاع الا الاواني المتخذة على شكل الصور فقد يكون
بعض رؤوس المجامر على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه وفي المكحلة الصغيرة من الفضة
خلاف وقد خرج احمد بن حنبل عن الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حراما او كان الموضع مغصوبا او
كان الثياب حراما فهي من اشد المنكرات فان كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور
اذ لا يحل حضور مجالس الشرب مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق في حال مباشرة الفسق وانما النظر
في مجالسته بعده وانه هل يجب بغضه في الله ولذلك ان كان فيهم من يلبس الحرير او خاتم الذهب فهو فاسق
لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فان كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح ان ذلك
منكر ويجب اخراجه منه ان كان مميزا لعموم قوله صلى الله عليه وسلم هذان حرامان على ذكور امتي وكما يجب
منع الصبي من شرب الخمر لا لكونه مكلفا ولكن لانه يأنس به فاذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة
التزين بالحرير تغلب عليه اذا اعتاده فيكون ذلك بذرا للفساد يبذر في صدره فينبت منه شجرة في الشهوة
راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ اما الصبي الذي لا يميز فيضعف معنى التحريم فيه ولا يخلو عن احتمال فيه والعلم
عند الله فيه والمجنون في معنى الصبي الذي لا يميز نعم يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير اسراف
ولا ارى رخصة في تثقيب اذن الصبية لاجل حلق الذهب فان ذلك جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص
فلا يجوز الا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان والتزين بالحلق غير مهم بل في التقريط بتعليقه من
الاذن وفي المخانق والاسورة كفاية عنه فهذا وان كان معتادا فهو حرام والمنع منه واجب والاستئجار
عليه غير صحيح والاجرة المأخوذة عليه حرام الا ان يثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم يبلغنا الى الآن
فيه رخصة ومنها ان يكون في الضيافة مبتدع يتكلم في بدعته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على
عزم الرد فان كان لا يقدر عليه لم يجز وان كان المبتدع لا يتكلم ببدعة فيجوز الحضور مع اظهار الكراهة
عليه والاعراض كما ذكرناه في باب البغض في الله وان كان فيها مضحك بالحكايات وانواع النوادر فان كان

يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار عليه وان كان ذلك مزح لا كذب فيه ولا فحش
فهو مباح اعني ما يقل منه فاما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفي انه كذب ولا يقصد منه
التلبيس فليس من جملة المنكرات كقول الانسان قد طلبتك اليوم مائة مرة واعدت الكلام عليك الف
مرة وما يجري مجراه مما يعلم انه ليس يقصد به التحقيق فذلك لا يقدح في العدالة ولا ترد به الشهادة
وسياتي حد المزاح المباح والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات ومنها الاسراف
في الطعام والبناء فهو منكر بل في المال منكران احدهما الاضاعة والآخر الاسراف والاضاعة تفويت
مال بلا فائدة يعتد بها كاحراق الثوب وتمزيقه وهدم البناء من غير غرض والقاء المال في البحر وفي
معناه صرف المال الى النائحة والمطرب وفي انواع الفساد لانها فوائد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة
واما الاسراف فقد يطلق لارادة صرف المال الى النائحة والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف
الى المباحات في جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف بالاضافة الى الاحوال فنقول من لم يملك الا
مائة دينار ومعه عياله واولاده ولا معيشة لهم سواه فانفق الجميع في وليمة فهو مسرف يجب منعه
قال تعالى ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا نزل هذا في رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم
يبق شيئا لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر وقال تعالى ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
ولذلك قال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا فمن يسرف هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضي ان
يحجر عليه الا اذا كان الرجل وحده وكان له قوة في التوكل صادقة فله ان ينفق جميع ماله في ابواب
البر ومن له عيال او هو عاجز عن التوكل فليس له ان يتصدق بجميع امواله وكذلك لو صرف جميع ماله الى نقوش
حيطانه وتزيين بنيانه فهو اسراف محرم وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لان التزيين من الاغراض
الصحيحة ولم يزل المساجد تزين وتنقش ابوابها وسقوفها مع ان نقش الباب والسقف لا فائدة فيه
الا مجرد الزينة وكذا الدور وكذلك القول في التجمل بالثياب والاطعمة فذلك مباح في جنسه ويصير
اسرافا باعتبار حال الرجل وثروته وامثال هذه المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها فقس بهذا منكرات
المجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الاسواق
فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه او محظور واستقصاء جميع المنكرات يستدعي استيعاب جميع تفاصيل
الشرع اصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر منها المنكرات العامة اعلم ان كل قاعد في
بيته اينما كان فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم
وحملهم على المعروف فاكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلوة في البلاد فكيف في القرى والبوادي

ومنهم الاعراب والاكراد والتركمانية وسائر اصناف الخلق وواجب ان يكون في كل مسجد ومحلة من البلد
فقيه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية وواجب علي كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية ان
يخرج الي من يجاور بلده من اهل السواد ومن العرب والاكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرايض شرعهم ويستصحب
مع نفسه زادا ياكله ولا ياكل من اطعمتهم فان اكثرها يكون مغصوبة فان قام به واحد سقط الحرج عن
الباقين والا عم الحرج الكافة اجمعين اما العالم فلتقصيره في الخروج واما الجاهل فلتقصيره في ترك
التعلم وكل عامي عرف شروط الصلوة فعليه ان يعرف غيره والا فهو شريك في الاثم ومعلوم ان الانسان
لا يولد عالما بالشرع وانما يجب التبليغ علي اهل العلم فكل من تعلم مسيلة واحدة فهو من اهل العلم
بها ولعمري الاثم علي الفقهاء اشد لان قدرتهم فيه اظهر وهو بصناعتهم اليق لان المحترفين لو تركوا حرفتهم
لبطلت المعايش فهم قد تقلدوا امرا لا بد منه في صلاح الخلق وشان الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه
رسول الله صلي الله عليه وسلم فان العلماء هم ورثة الانبياء وليس للانسان ان يقعد في بيته ولا يخرج
الي المسجد لانه يري الناس لا يحسنون الصلوة بل اذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي وكذلك
كل من تيقن ان في السوق يجري منكر علي الدوام وفي وقت بعينه وهو قادر علي تغييره فلا يجوز ان يسقط
ذلك عن نفسه بالقعود في البيت بل يلزمه الخروج فان كان لا يقدر علي تغيير البعض وهو محترز
عن مشاهدتها ويقدر علي البعض لزمه الخروج لان خروجه اذا كان لاجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره
مشاهدة ما لا يقدر عليه وانما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح فحق علي كل مسلم ان
يبدا بنفسه فيصلحها بالمواظبة علي الفرايض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك اهل بيته ثم يتعدي عند
الفراغ منهم الي جيرانه ثم الي اهل محلته ثم الي اهل بلده ثم الي اهل السواد المكتنف لبلده ثم الي اهل
البوادي من الاكراد والاعراب وغيرهم وهكذا الي اقصي العالم فان قام به الادني سقط عن الابعد
والا حرج به كل قادر عليه قريبا كان او بعيدا ولا يسقط الحرج مادام يبقي علي وجه الارض جاهل
بفرض من فروض دينه وهو قادر علي ان يسعي اليه بنفسه او بغيره فيعلمه فرضه وهذا شغل شاغل
لمن يهمه امر دينه يشغله عن تجزية الاوقات في التفريعات النادرة والتعمق في دقايق العلوم التي
هي فروض الكفايات ولا يتقدم علي هذا الا فرض عين او فرض كفاية هو اهم منه والله اعلم

الرابع في امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم

عن المنكر قد ذكرنا درجات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان اوله التعريف والثاني الوعظ وثالثه
التخشين في القول ورابعه المنع بالقهر والحمل علي الحق بالضرب والعقوبة والجايز من جملة ذلك مع

السلاطين الرتبتان الاوليان وهما التعريف والوعظ واما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان
فان ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من المحذور اكثر واما التخشين في القول
كقولك يا ظالم يا من لا يخاف الله وما يجري مجراه فذلك ان كان يحرك فتنة يتعدى شرها الى غيره لم يجز وان
كان لا يخاف الا على نفسه فهو جائز بل مندوب اليه فلقد كان من عادة السلف التعرض للاخطار
والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لانواع العذاب لعلمهم بان ذلك شهادة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فامره ونهاه
في ذات الله فقتله على ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان
جائر ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب فقال قرن من حديد لا تاخذه في الله لومة
لائم تركه قوله الحق ما له من صديق ولما علم المتصلبون في الدين ان افضل الكلام كلمة حق عند سلطان
جائر وان صاحب ذلك اذا قتل فهو شهيد كما وردت به الاخبار اقدموا على ذلك موطنين انفسهم على
الهلاك ومحتملين لانواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله ومحتسبين لما يبذلون من مهجهم
عند الله وطريق وعظ السلاطين وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف
وقد اوردنا جملة ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام ونقتصر الآن على حكايات
يعرف وجه الوعظ وكيفية الانكار عليهم فمنها ما روي من انكار ابي بكر رضي الله عنه على كفار قريش حين
قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء وذلك ما روي عن عروة قال قلت لعبد الله بن مسعود
ما اكثر ما رايت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان يظهر من عداوته فقال حضرتهم
وقد اجتمع اشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما راينا مثل صبرنا عليه
من هذا الرجل سفه احلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا لقد صبرنا
منه على امر عظيم او كما قالوا فبينما هم في ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل يمشي
حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك في وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه صلى الله عليه وسلم
ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال اتسمعون يا معشر قريش والذي نفس محمد
بيده لقد جئتكم بالذبح فاطرق القوم حتى ما منهم رجل الا كانما على راسه طائر واقع حتى ان
اشدهم فيه وطاة قبل ذلك ليرفاه باحسن ما يجد من القول حتى انه ليقول انصرف يا ابا القاسم
راشدا فوالله ما كنت جهولا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد اجتمعوا

في الحجر وانا منهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا ناداكم بما كنتم تكرهون
تركتموه فبيناهم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به
يقولون انت الذي يقول كذا لما كان بلغهم من عيب الهتهم ودينهم قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعم انا الذي اقول ذلك قال فلقد اخذت منهم رجلا اخذ بمجامع ردايه قال وقام ابوبكر الصديق
دونه يقول وهو يبكي ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله قال ثم انصرفوا عنه فان ذلك لاشد ما
رايت قريشا بلغت منه قط وفي رواية اخرى عن عبد الله بن عمرو قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلف ثوبه في
عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء ابوبكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وروي ان ابا معوية حبس العطا فقام
اليه ابو مسلم الخولاني فقال له يا معوية انه ليس من كدك ولا من كد ابيك ولا من كد امك فغضب معوية
ونزل عن المنبر وقال مكانكم ثم خرج عليهم فقال ان ابا مسلم كلمني بكلام اغضبني واني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما يطفا النار
بالماء فاذا غضب احدكم فليغتسل واني دخلت فاغتسلت وصدق ابو مسلم انه ليس انه ليس
من كدي ولا كد ابي فهلموا الى عطائكم وروي عن ضبة بن محصن العنزي قال كان علينا ابو موسى
الاشعري اميرا بالبصرة وكان اذا خطبنا حمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم انشا يدعو
لعمر قال فغاظني ذلك منه فقمت اليه فقلت له اين انت عن صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمع
ثم كتب الى عمر يشكوني يقول ان ضبة بن محصن العنزي يتعرض لي في خطبتي فكتب اليه عمر ان
اشخصه الي فقدمت فضربت عليه الباب فخرج الي فقال من انت قلت ضبة فقال لي فلا مرحبا
ولا اهلا قلت اما المرحب فمن الله واما الاهل فلا اهل ولا مال فبماذا استحللت يا عمر اشخاصي من
بصري بلا ذنب اذنبته ولا شي اتيته قال ما الذي شجر بينك وبين عاملي قال قلت الان اخبرك
انه كان اذا خطبنا حمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم انشا يدعو لك فغاظني
ذلك منه فقمت اليه فقلت له اين انت عن صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمع ثم كتب اليك يشكوني
قال فاندفع عمر رضي الله عنه باكيا وهو يقول انت والله اوفق منه وارشد فهل انت غافر لي ذنبي
يغفر الله لك قال قلت غفر الله لك يا امير المومنين قال ثم اندفع باكيا وهو يقول والله لليلة من ابي بكر
ويوم خير من عمر وال عمر فهل لك ان اخبرك بليلته ويومه قلت نعم قال اما الليلة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما اراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه ابو بكر فجعل يمشي مرة امامه ومرة يمشي خلفه ومرة عن
يمينه ومرة عن يساره فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما هذا يا ابا بكر ما اعرف هذا من افعالك فقال
يا رسول الله اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب فاكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك
لا امن عليك قال فمشي رسول الله صلي الله عليه وسلم ليلته علي اطراف اصابعه حتي حفيت فلما
راي ابو بكر انها قد حفيت حمله علي عاتقه وجعل يشتد به حتي اتي فم الغار فانزله ثم قال والذي بعثك
بالحق لا تدخله حتي ادخله فان كان فيه شي نزل بي قبلك قال فدخل فلم ير فيه شيئا فحمله وادخله
وكان في الغار خرق فيه حيات وافاعي فالقمه ابو بكر قدمه مخافة ان يخرج منهن شي الي رسول
الله صلي الله عليه وسلم فيوذيه وجعلت دموع ابي بكر تنحدر علي خديه من الم ما يجده ورسول الله صلي الله عليه وسلم
يقول يا ابا بكر لا تحزن ان الله معنا فانزل الله السكينة والطمانينة لابي بكر فهذه ليلته واما يومه
فلما توفي رسول الله صلي الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم نصلي ولا نزكي فاتيته لا الوه
فقلت يا خليفة رسول الله صلي الله عليه وسلم تالف الناس وارفق بهم فقال لي اجبار في الجاهلية
جوار في الاسلام فبما اتالفهم قبض رسول الله صلي الله عليه وسلم وارتفع الوحي فوالله لو منعوني عقالا
كانوا يعطونه رسول الله صلي الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه فقاتلنا عليهم وكان والله رشيد الامر فهذا
يومه ثم كتب الي ابي موسي يلومه وعن الاصمعي قال دخل عطا بن ابي رباح علي عبد الملك بن
مروان وهو جالس علي سريره وحواليه الاشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته
فلما بصر به قام اليه واجلسه معه علي السرير وقعد بين يديه وقال له يا ابا محمد حاجتك فقال يا امير
المومنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة واتق الله في اولاد المهاجرين والانصار
فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله في اهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد امور المسلمين
فانك وحدك المسول عنهم واتق الله فيمن علي بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له
افعل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا ابا محمد انما سالتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها
فما حاجتك فقال ما لي الي مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وابيك الشرف هذا وابيك
الشرف وروي ان الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف علي الباب فاذا مر بك رجل فادخله
علي ليحدثني فخرج الحاجب فوقف علي الباب مدة مديدة فمر به عطا بن ابي رباح وهو لا يعرفه
فقال له يا شيخ ادخل الي امير المومنين فانه امر بذلك فدخل عطا علي الوليد وعنده عمر بن عبد
العزيز فلما دنا عطا من الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فغضب الوليد علي حاجبه وقال له

ويلك امرتك ان يدخل الي رجلا يستامرني ويحدثني فادخلت الي رجلا لم يرض ان يسميني بالاسم الذي
اختاره الله لي فقال له حاجبه ما امرني غيره ثم قال لعطاء اجلس ثم اقبل عليه يحدثه وكان فيما حدثه
عطاء ان قال له بلغنا ان في جهنم واديا يقال له هبهب اعده الله لكل امام جائر في حكمه فصعق الوليد
من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة باب المجلس فوقع على قفاه الى جوف المجلس مغشيا عليه فقال
عمر لعطاء قتلت امير المومنين فقبض على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له يا عمر
ان الامر جد فجد ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز انه قال مكثت سنة اجد الم غمزه
في ذراعي وكان ابن ابي شميلة يوصف بالعقل والادب فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له
عبد الملك تكلم فقال بم اتكلم وقد علمت ان كل كلام يتكلم به المتكلم عليه وبال الا ما كان لله فبكى
عبد الملك ثم قال رحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون فقال الرجل يا امير المومنين ان للناس
في القيمة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها الا من ارضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك
ثم قال لا جرم لاجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عيني ما عشت حيا ويروى عن ابن عائشة ان
الحجاج دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه ودخل عليه الحسن البصري آخر من دخل
فقال الحجاج مرحبا بابي سعيد الي الي ثم دعا بكرسي فوضع الى جنب سريره فقعد عليه فجعل الحجاج
يذاكرنا ويسائلنا اذ ذكر علي بن ابي طالب فنال منه ونلنا منه مقاربة له وفرقا من شره والحسن ساكت عاض
على ابهامه فقال يا ابا سعيد مالي اراك ساكتا قال ما عسيت ان اقول قال اخبرني برايك في ابي تراب
قال سمعت الله جل ذكره يقول وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب
على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف
رحيم فعلي ممن هدى الله من اهل الايمان فاقول ابن عم النبي وختنه على ابنته واحب الناس اليه
وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع انت ولا احد من الناس ان يحظرها عليه
ولا يحول بينه وبينها فاقول انه كانت لعلي هنات فالله حسيبه والله ما اجد فيه قولا اعدل من هذا
فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا قال عامر الشعبي عالم اهل
الكوفة فاخذت بيد الحسن فقلت يا ابا سعيد اغضبت الامير واوغرت صدره قال اليك عني يا عامر
يقول الناس عامر الشعبي عالم اهل الكوفة اتيت شيطانا من شياطين الانس تكلمه بهواه وتقاربه
في رايه ويحك يا عامر هلا اتقيت ان سئلت فصدقت او سكت فسلمت قال عامر يا ابا سعيد قد قلتها
وانا اعلم ما فيها قال فذلك اعظم في الحجة عليك واشد في التبعة وبعث الحجاج الى الحسن فلما

دخل عليه قال انت تقول قتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال ما حملك على هذا قال
ما اخذ الله على العلماء من المواثيق لتبيننه للناس ولا تكتمونه قال يا حسن امسك لسانك واياك ان
يبلغني عنك ما اكره فافرق بين راسك وجسدك وحكي ان حطيط الزيات جيء به الى الحجاج فلما دخل
عليه قال انت حطيط قال نعم سل عما بدا لك فاني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال ان سئلت
لاصدقن وان ابتليت لاصبرن ولئن عوفيت لاشكرن قال فما تقول في قال اقول انك من اعداء الله
في الارض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة قال فما تقول في امير المومنين عبد الملك بن مروان قال
اقول انه اعظم جرما منك وانما انت خطيئة من خطاياه قال فقال الحجاج ضعوا عليه العذاب قال
فانتهى به العذاب الى ان شقق له القصب ثم جعلوه على لحمه ثم شدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة
قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئا قال فقيل للحجاج انه في آخر رمق فقال اخرجوه فارموا به
في السوق قال جعفر فاتيته انا وصاحب له فقلنا حطيط الك حاجة قال شربة ماء فاتوه بشربة ثم مات
وكان ابن ثمان عشرة سنة رضي الله عنه وروي ان عمر بن هبيرة دعا بفقهاء اهل البصرة واهل
الكوفة واهل المدينة واهل الشام وقرائهم فجعل يسألهم وكلم عامر الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء
الا وجد عنده فيه علما ثم اقبل على الحسن البصري فسأله ثم قال هما هذان هذا رجل اهل الكوفة يعني
الشعبي وهذا رجل اهل البصرة يعني الحسن فامر الحاجب فاخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن
فاقبل على الشعبي فقال يا ابا عمرو اني امين امير المومنين على العراق وعامله عليها ورجل مامور على
الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فانا احب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد بلغني
عن العصابة من اهل الديار امر اجد عليهم فيه فاقبض طائفة من عطائهم فاضعه في بيت المال ومن
نيتي ان ارده عليهم فيبلغ امير المومنين اني قد قبضته على ذلك النحو فيكتب الي ان لا ترده فلا استطيع
رد امره ولا انفاذ كتابه وانما انا رجل مامور فهل علي في هذا تبعة وفي اشباهه من الامور والنية
فيها على ما ذكرت قال الشعبي اصلح الله الامير انما السلطان والد يخطي ويصيب قال فسر بقولي واعجب به
ورايت البشر في وجهه قال فلله الحمد ثم اقبل على الحسن فقال ما تقول يا ابا سعيد قال قد سمعت قول
الامير انه امين امير المومنين على العراق وعامله عليه ورجل مامور على الطاعة وابتليت بالرعية
ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد بما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك ان تحوطهم بالنصيحة
واني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلعم
من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة ويقول اني انما قبضت من عطائهم اراده

صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا الى طاعتهم فيبلغ امير المومنين اني مضيتها على ذلك المحو فيكتب الي ان لا
ترده فلا استطيع رد امره ولا استطيع انفاذ كتابه وحق الله الزم من حق امير المومنين والله احق ان يطيع ولا
طاعة في معصية الله فاعرض كتاب امير المومنين على كتاب الله فان وجدته موافقا لكتاب الله نفذته وان وجدته
مخالفا لكتاب الله فابتدع يا ابن هبيرة اتق الله فانه يوشك ان ياتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن
سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل
على عملك يا ابن هبيرة وان الله يمنعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله وان امر الله فوق كل امر وانه لا طاعة
في معصية الله واني احذرك باسه الذي لا يرده عن القوم المجرمين فقال ابن هبيرة اربع على ظلعك ايها الشيخ
واعرض عن ذكر امير المومنين فان امير المومنين صاحب العلم وصاحب الحلم وصاحب الفضل وانما ولاه
الله تعالى ولاية امر هذه الامة لعلمه به وما يعلم من فضله ونيته فقال الحسن يا ابن هبيرة الحساب من
ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد يا ابن هبيرة انك ان يلق من ينصح لك في دينك ويحملك
على امر آخرتك خير من ان تلقى رجلا يغرك ويمنيك فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه قال الشعبي يا
باسعيد اغضبت الامير واوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته فقال اليك عني يا عامر قال فخرجت الى
الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستحقرنا وجفينا وكان اهلا لما ادي اليه وكنا اهلا ان
يفعل بنا ذلك فما رايت مثل الحسن فيمن رايت من العلماء الا مثل الفرس العربي بين المقاريف وما
شهدنا مشهدا الا برز علينا وقال الله عز وجل وقلنا مقاربة لهم قال عامر الشعبي وانا اعاهد الله تعالى
ان لا اشهد سلطانا بعد هذا المجلس فاجابته ودخل محمد بن واسع على بلال ابن ابي بردة فقال له
ما تقول في القدر قال جيرانك اهل القبور فتفكر فيهم شغلا عن القدر وعن الشافعي عن محمد بن علي
قال اني لحاضر مجلس امير المومنين ابي جعفر وفيه ابن ابي ذيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال
واتى الغفاريون فشكوا الى ابي جعفر شيئا من امر الحسن بن زيد فقال الحسن يا امير المومنين سل عنهم
ابن ابي ذيب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن ابي ذيب فقال اشهد انهم اهل تحطم في اعراض الناس
كثير فقال ابو جعفر قد سمعتم فقال الغفاريون يا امير المومنين سله عن الحسن بن زيد فقال يا ابن
ابي ذيب ما تقول في الحسن بن زيد فقال اشهد عليه انه يحكم بغير الحق ويتبع هواه. فقال قد سمعت
يا حسن ما قال فيك ابن ابي ذيب وهو الشيخ الصالح فقال يا امير المومنين سله عن نفسك فقال
ما تقول في قال تعفيني يا امير المومنين قال اسألك بالله الا اخبرتني قال تسألني بالله كانك لا تعرف
نفسك قال والله لتخبرني قال اشهد انك اخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير اهله واشهد ان

الظلم ببابك فاش قال فحبا ابو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن ابي ذيب فقبض عليه
ثم قال له اما والله لولا اني جالس ههنا لاخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك
قال فقال ابن ابي ذيب يا امير المومنين قد ولي ابو بكر وعمر فاخذا الحق وقسما بالسوية واخذا
باقفاء فارس والروم واصغرا آنافهم قال فخلى ابو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال والله لولا اني
اعلم انك صادق لقتلتك فقال ابن ابي ذيب والله يا امير المومنين اني لانصح لك من ابنك المهدي قال
فبلغنا ان ابن ابي ذيب لما خرج من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا ابا الحرب لقد
سرني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي فقال يغفر الله لك ابا عبد الله
كلنا مهدي كلنا كان في المهد وعن الاوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث الي ابو جعفر المنصور
امير المومنين وانا بالساحل فاتيته فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني
ثم قال ما الذي بطا بك عنا يا اوزاعي قال قلت وما الذي تريد يا امير المومنين قال اريد الاخذ عنكم
والاقتباس منكم قال قلت فانظر يا امير المومنين الا تجهل شيا مما اقول لك قال وكيف اجهله وانا
اسلك عنه وفيه وجهت اليك واقدمتك له قال قلت ان يسمعه ثم لا يعمل به قال فصاح بي الربيع
واهوى بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسي
وانبسطت في الكلام فقلت يا امير المومنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فانها نعمة من الله سيقت اليه فان قبلها
بشكر والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها اثما ويزداد الله بها سخطا يا امير المومنين حدثني مكحول
عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما قال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه
الجنة يا امير المومنين من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذي لين قلوب امتكم
لكم حين ولاكم امورهم لقرابتكم من نبيكم صلى الله عليه وسلم قد كان بهم رؤوفا رحيما مواسيا بنفسه
في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس فحقيق ان يقوم لهم فيهم بالحق وان يقوم بالقسط له فيهم
قايما ولعوراتهم ساترا لا تغلق عليك دونهم الابواب ولا تقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس
بما اصابهم من سوء يا امير المومنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس
الذين اصبحت تملكهم احمرهم واسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف
اذا انبعث منهم فئام وراء فئام ليس منهم احد الا وهو يشكو بلية ادخلتها عليه او ظلامة سقتها
اليه يا امير المومنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال قد كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم

جرية تساك بها ويروع بها المنافقين فاتاه جبرئيل عليه السلم فقال يا محمد ما هذه الجرية التي كربت
بها قلوب امتك وملات قلوبهم رعبا وكيف عن سحق ابشارهم وسفك دمائهم وخرب ديارهم واجلاهم
عن ديارهم وعنهم الخوف منه يا امير المومنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى القصاص من نفسه في خدش خدشه اعرابيا لم يتعمده فاتاه
جبرئيل فقال يا محمد ان الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الاعرابي فقال اقتص مني
فقال الاعرابي قد احللتك بابي انت وامي وما كنت لافعل ذلك ابدا ولو اتيت على نفسي فدعا له عمر
يا امير المومنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الامان من ربك فارغب في جنة عرضها السموات والارض
التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيد قوس احدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها يا امير
المومنين ان الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك يا امير المومنين
تدري ما جاء في تاويل هذه الاية عن جدك يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس
بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله قال يا داود اذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك
في احدهما هوى فلا يمكن نفسك ان يكون الحق له فيفلج على صاحبه فامحوك عن نبوتي ثم لا تكون
خليفتي خليفتي ولا كرامة يا داود انما جعلت رسلي الى عبادي رعاء كرعاء الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم
بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الماء والكلاء يا امير المومنين انك بليت بامر لو عرض على السموات
والارض والجبال لابين ان يحملنه واشفقن منه يا امير المومنين حدثني زيد بن جابر عن عبد الرحمن
بن عمرو الانصاري ان عمر بن الخطاب استعمل رجلا من الانصار على الصدقة فراه بعد ايام مقيما فقال
له ما منعك من الخروج الى عملك اما علمت ان لك مثل اجر المجاهد في سبيل الله قال لا قال وكيف ذلك
قال لانه بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من وال يلي شيئا من امور الناس الا اتي به يوم القيمة
مغلولا يده الى عنقه فوقف على جسر من النار فينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن
موضعه ثم يعاد فيحاسب فان كان محسنا نجا باحسانه وان كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فهوى به
في النار سبعين خريفا فقال له عمر ممن سمعت هذا قال من ابي ذر وسلمان فارسل اليهما عمر يسالهما
فقالا نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر واعمراه من يتولاها بما فيها فقال ابو ذر
من سلت الله انفه والصق خده بالارض قال فاخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى
ابكاني ثم قلت يا امير المومنين قد سال جدك العباس النبي صلى الله عليه وسلم امارة على مكة والطائف
او اليمن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها

نصحه منه لهم وشفقة عليه واخبر انه لا يغني عنه من الله شيا اذ اوحي الله اليه وانذر عشيرتك الاقربين
فقال يا عباس ويا صفيه عمي النبي ويا فاطمة بنت محمد اني لست اغني عنكم من الله شيا لي عملي ولكم
عملكم وقد قال عمر بن الخطاب لا يقيم امر الناس الا حصيف العقل وكيد العقد لا يطلع منه على
عورة ولا يحنق منه على حرة ولا ياخذه في الله لومة لايم وقال الامرا اربعة فامير قوي ظلف نفسه
وعماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله باسط عليه بالرحمة وامير فيه ضعف ظلف نفسه وارتع عماله
لضعفه فهو على شفا هلاك الا ان يرحمه الله وامير ظلف عماله وارتع نفسه فذلك الحطمة الذي
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وحده وامير ارتع نفسه وعماله فهلكوا
جميعا وقد بلغني يا امير المومنين ان جبريل عليه السلم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتيتك
حين امر الله بمنافخ النار فوضعت على النار يسعر ليوم القيمه فقال له جبريل عليه السلم صف لي
النار فقال ان الله تعالي امر بها فاوقد عليها الف عام حتى احمرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اصفرت
ثم اوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي سودا مظلمة لا يضي لهبها ولا جمرها والذي بعثك بالحق
لو ان ثوبا من ثياب اهل النار اظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو قطرة من شرابها صب في مياه
الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو ان ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الارض
جميعا لذابت وما استقلت ولو ان رجلا ادخل النار ثم اخرج منها لمات اهل الارض من نتن ريحه
وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل عليه السلم لبكايه فقال اتبكي يا محمد
وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ولم بكيت يا جبريل وانت الروح
الامين امين الله على وحيه قال اخاف ان ابتلى بما ابتلى به هاروت فهو الذي منعني من اتكالي
على منزلتي عند ربي فاكون قد امنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السما يا جبريل ويا محمد
ان الله قد امنكما ان تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على ساير الانبيا كفضل جبريل عليه السلم على ساير
ملايكة السما وقد بلغني يا امير المومنين ان عمر بن الخطاب قال اللهم ان كنت تعلم اني ابالي اذا
قعد الخصمان بين يدي الي من مال عن الحق من قريب او بعيد فلا تمهلني طرفة عين يا امير المومنين
ان اشد الشدة القيام لله بحقه وان اكرم الكرم عند الله التقوى وانه من طلب العز بطاعة الله
رفعه الله واعزه ومن طلبه بمعصية الله اذله الله ووضعه فهذه نصيحتي والسلم عليك ثم نهضت فقال
الي اين فقلت الي الولد والوطن باذن امير المومنين انشا الله قال فقد اذنت لك وشكرت لك
نصيحتك وقبلتها بقبولها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه استعين وعليه اتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل

فلا علي من مطالعتك اياي بمثل هذا فانك للقبول اقول غير متهم في النصيحة قلت افعل ان شاء
الله قال محمد بن مصعب وامر له بمال يستعين به علي خروجه فلم يقبله فقال انا في غنى عنه وما كنت لابيع
نصيحتي بعوض من الدنيا وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك وعن ابن المهاجر قال قدم المنصور
مكة فكان يخرج من دار الندوة الي الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به فاذا طلع الفجر رجع
الي دار الندوة وجاء المؤذنون وسلموا عليه واقيمت الصلوة فيصلي بالناس فخرج ذات ليلة حتى اسحر
فبينا هو يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول اللهم اني اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض
وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فاسرع المنصور في مشيه حتى ملا مسامعه من قوله ثم
خرج فجلس ناحية من المسجد فارسل اليه فدعاه فاتاه الرسول فقال له اجب امير المومنين فصلي ركعتين
واستلم الركن واقبل مع الرسول وسلم عليه فقال له المنصور ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور
البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فوالله لقد حشوت مسامعي
ما امرضني واقلقني فقال يا امير المومنين ان آمنتني علي نفسي انباتك بالامور من اصولها والا
اقتصرت علي نفسي فلي منها شغل شاغل فقال انت آمن علي نفسك فقال الذي دخله الطمع حتى
حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الارض انت فقال ويحك وكيف يدخلني
الطمع والصفراء والبيضاء علي يدي والحلو والحامض في قبضتي فقال وهل دخل احدا من الطمع
ما دخلك يا امير المومنين ان الله استرعاك امور المسلمين واموالهم فاغفلت امورهم واهتممت بجمع اموالهم
وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وابوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك
فيها منهم وبعثت عمالك في جمع الاموال وجبايتها واتخذت وزراء واعوانا ظلمة ان نسيت لم يذكروك
وان احسنت لم يعينوك وقويتهم علي ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح وامرت بان لا يدخل عليك من
الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ولم تامر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجايع ولا العاري
ولا الضعيف الفقير ولا احد الا وله في هذا المال حق فلما راك هولاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك
وآثرتهم علي رعيتك وامرتهم الا يحجبوا عنك تجبي الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد
سخر لنا فائتمروا علي ان لا يصل اليك من اخبار الناس الا ما ارادوا ولا يخرج لك عامل فيخالف امرهم الا اقصوه
حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وعنهم اعظمهم الناس وهابوهم وكان اول من
صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليتقووا به علي ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من
رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلات بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هولاء القوم

شركاؤك في سلطانك وانت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول وان اراد رفع قصة اليك
عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فبلغوا
بطانتك سألوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته وان كان للمتظلم منه حرمة لم يمكنه ما يريد
خوفا منهم فلا يزال المتظلم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه فاذا اجهد
واخرج فظهرت انت صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وانت تنظر فلا تنكر ولا
تغير فما بقاء الاسلام واهله على هذا وقد كانت بنو امية وكانت العرب لا ينتهي اليهم المظلوم الا رفعت
ظلامته اليهم لينصف ولقد كان الرجل يأتي من اقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا
اهل الاسلام فيبتدرونه مالك مالك فيرفعون مظلمته الى سلطانهم فينتصف له وقد كنت يا امير
المؤمنين اسافر الى ارض الصين وبها ملك فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال وزراؤه
مالك تبكي لا بكت عيناك فقال اما اني لست ابكي على المصيبة التي نزلت بي ولكن لمظلوم بالباب يصرخ
فلا اسمع صوته ثم قال اما ان كان قد ذهب سمعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس الا يلبس ثوبا
احمر الا مظلوم وكان يركب الفيل في طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا امير المؤمنين
مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وانت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغلبك
رأفتك بالمسلمين على شح نفسك فانك لا تجمع الاموال الا لواحد من ثلاثة ان قلت اجمعها لولدي فقد
اراك الله عبرا في الطفل الصغير يسقط من بطن امه وما له على الارض مال وما من مال الا ودونه
يد تحويه فما يزال الله تعالى يلطف لذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه ولست الذي تعطي
بل الله يعطي من يشاء وان قلت اجمع المال لاشد سلطاني فقد اراك الله عبرا فيمن كان قبلك
ما اغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما اعدوا من الرجال والسلاح والكراع وما ضرك وولد
ابيك ما كنت فيه من قلة الجدة والضعف حتى اراد الله بكم ما اراد وان قلت اجمع المال لطلب غاية
هي اجسم من الغاية التي انت فيها فوالله ما فوق ما انت فيه الا امر لا يدرك الا بالعمل الصالح يا امير
المؤمنين هل يعاقب من عصاك من رعيتك باشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع بالملك الذي
خولك الله وما انت فيه من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من
عصاه بالخلود في العذاب الاليم وهو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك واضمرته جوارحك فما تقول
اذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يغني عنك عنده شيء مما كنت
فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا فبكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال ليتني لم اخلق

ولم اك شيئا فقال كيف احتيالي فيما حولي ولم ارض الناس الا حاسا ما امير المومنين عليك بالايمة الاعلام
المرشدين قال ومن هم قال العلماء قال قد فروا مني قال هربوا منك مخافة ان يحملهم علي ما ظهر من طريقتك
من قبل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم من الظالم وخذ الشي مما حل وطاب
واقسمه بالحق والعدل وانا ضامن عن من هرب منك ان ياتيك فيعاونك علي صلاح امرك ورعيتك
فقال المنصور اللهم وفقني ان اعمل بما قال هذا الرجل وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلوة
فخرج فصلي بهم ثم قال للحرسي عليك بالرجل ان لم تاتني به لاضربن عنقك واغتاظ عليك غيظا شديدا
ان لم يوجد فخرج الحرسي يطلب الرجل فبينا هو يطوف فاذا هو بالرجل يصلي في بعض الشعاب
فقعد حتي صلي ثم قال يا ذا الرجل اما تتقي الله قال بلي قال اما تعرفه قال بلي قال فانطلق معي فقد
الي ان يقتلني ان لم آته بك قال ليس الي ذلك من سبيل قال يقتلني قال ولا يقتلك قال فكيف
قال تحسن تقرا قال لا فاخرج من مزود كان معه رقا فيه مكتوب شيئا قال خذ فاجعله في جيبك
فان فيه دعاء الفرج قال وما دعاء الفرج قال لا يرزقه الا الشهداء قلت رحمك الله قد احسنت الي
فان رايت ان تخبرني ما هذا الدعاء وما فضله قال من دعا به مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام
سروره ومحيت خطاياه واستجيبت دعاؤه وبسط له في رزقه واعطي امله واعين علي عدوه وكتب
عند الله صديقا ولا يموت الا شهيدا يقول اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت
بعظمتك علي العظماء وعلمت ما تحت ارضك كعلمك ما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور
كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شي لعظمتك وخضع كل ذي سلطان
لسلطانك وصار امر الدنيا والآخرة كله بيديك اجعل لي من كل هم امسيت فيه فرجا ومخرجا
اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك علي قبيح عملي اطمعني ان اسالك ما لا استوجبه
مما قصرت فيه ادعوك آمنا واسالك مستانسا وانك المحسن الي واني المسي الي نفسي فيما بيني وبينك
تتودد الي واتبغض اليك ولكن الثقة بك حملتني علي الجراءة عليك بعد فضلك واحسانك علي انك
انت التواب الرحيم قال فاخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي هم غير امير المومنين فدخلت فسلمت
عليه فرفع راسه فنظر الي وتبسم ثم قال ويلك تحسن السحر فقلت لا والله يا امير المومنين ثم قصصت
عليه امري مع الشيخ فقال هات الرق الذي اعطاك ثم جعل يبكي وقال قد نجوت وامر بنسخه
واعطاني عشرة الف درهم ثم قال اتعرفه قلت لا قال ذلك الخضر عليه السلم وعن ابي عمران الجوني
قال لما ولي هرون الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار اليه وفتح بيوت الاموال فاقبل يجيزهم

بالجوايز السنية وكان يقبل ذلك مجالس العلما والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مواخيا
لسفيان بن سعيد الثوري قديما فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق هرون الى زيارته ليخلو به ويحدثه
فلم يزره ولم يعبا بموضعه ولا بما صار اليه فاشتد ذلك على هرون فكتب اليه كتابا يقول فيه بسم
الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الرشيد امير المومنين الى اخيه سفيان اما بعد يا اخي قد علمت
ان الله تعالى واخى بين المومنين وجعل ذلك فيه وله واعلم اني واخيتك مواخاة لم اصرم منها
حبلك ولم اقطع منها ودك واني منطو لك على افضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلدنيها
الله لاتيتك ولو حبوا لما اجد لك في قلبي من المحبة واعلم يا ابا عبد الله انه ما بقي من اخواني واخوانك
احد الا وقد زارني وهناني بما صرت اليه وقد فتحت بيوت الاموال واعطيتهم من الجوايز السنية
ما فرحت بها نفسي وقرت بها عيني واني استبطاتك فلم تاتني وقد كتبت اليك كتابا شوقا
مني اليك شديدا وقد علمت يا ابا عبد الله ما جاء في فضل المومن وزيارته ومواصلته فاذا ورد
عليك كتابي فالعجل العجل قال فلما كتب الكتاب التفت الى من عنده فاذا كلهم يعرفون سفيان
وخشونته فقال علي برجل من الباب فادخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال يا عباد
خذ الكتاب فانطلق به الى الكوفة فاذا دخلتها فسل عن قبيلة بني ثور ثم سل عن سفيان
الثوري فاذا رايته فالق كتابي هذا اليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يكون فاحص عليه دقيق امره
وجليله لتخبرني به فاخذ عباد الكتاب فانطلق به حتى ورد الكوفة فسال عن القبيلة فارشد
اليها ثم سال عن سفيان فقيل هو في المسجد قال عباد فاقبلت الى المسجد فلما رآني قام قايما
ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم واعوذ بك اللهم من طارق يطرقنا الا بخير
قال عباد فوقعت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رآني نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت
الصلوة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فاذا جلساوه قعود قد نكسوا رءوسهم كانهم لصوص
قد ورد عليهم السلطان فهم خايفون من العقوبة فسلمت فما رفع احد الي راسه وردوا السلم
على رءوس الاصابع فبقيت واقفا ما منهم من احد يعرض علي الجلوس وقد علاني من هيبتهم
الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت ان المصلي هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما راى الكتاب
ارتعد وتباعد منه كانه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وادخل يده في كمه ولفها بعباءة
فاخذه فقلبه بيده ثم رماه الى من كان خلفه وقال ياخذه بعضكم يقراه فاني استغفر الله ان
امس شيئا مسه ظالم بيده قال عباد فمد بعضهم يده اليه فحله كانه خايف من فم حية تنهشه ثم فضه

٣٨٧

٣٩٣

قراءته واقبل سفيان تبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال اقلبوه واكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه
فان كان اكتسبه من حلال فسوف تجزى به وان كان اكتسبه من حرام فسوف تصلى به ولا يبقى شيء
مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما نكتب فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم من العبد
الميت سفيان بن سعيد بن منذر الثوري الى العبد المغرور بالآمال هرون الذي سلب حلاوة الايمان
اما بعد فاني قد كتبت اليك اعرفك اني قد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت موضعك وانك قد جعلتني
شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت على بيت مال المسلمين فانفقته في غير حقه وانفذته
بغير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وانت ناء عني حتى كتبت الي تشهدني على نفسك اما اني قد شهدت عليك
انا واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدي الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى يا هرون هجمت
على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في ارض الله
والمجاهدون عليها في ارض الله والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل او رضي بذلك حملة القرآن
واهل العلم والارامل والايتام ام هل رضي بذلك خلق من رعيتك فشد يا هرون مئزرك واعد
للمسئلة جوابا وللبلاء جلبابا واعلم انك سوف تقف بين يدي الحكم العدل في نفسك ان سلبت
حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الاخيار ورضيت لنفسك ان تكون ظالما وللظالمين
اماما يا هرون قعدت على السرير ولبست الوشي واسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب
العالمين ثم اقعدت اجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون
الخمر ويضربون من شربها ويزنون ويحدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق افلا كانت هذه
الاحكام عليك وعليهم قبل ان تحكم بها على الناس فكيف بك يا هرون غدا اذا نادى المنادي من قبل
الله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما للظلمة واعوان الظلمة فتقدمت بين يدي الله تعالى ويداك
مغلولة الى عنقك لا يفكها الا عدلك وانصافك والظالمون حولك وانت لهم سابق وامام الى النار
كأني بك يا هرون قد اخذت بضيق الخناق ووردت المساق وانت ترى حسناتك في ميزان
غيرك وسيئات غيرك في ميزانك على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحتفظ بوصيتي واتعظ
بموعظتي التي وعظتك بها واعلم اني قد نصحتك وما ابقيت لك في النصح غاية فاتق الله يا هرون في رعيتك
واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في امته واحسن الخلافة عليهم واعلم ان هذا الامر لو بقي لغيرك لم يصل
اليك وهو صائر الى غيرك وكذا الدنيا تنتقل باهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم
من خسر دنياه وآخرته واني احسبك يا هرون ممن خسر دنياه وآخرته فاياك واياك ان تكتب الي كتابا

بعد هذا فلا اجيبك عنه والسلام قال عباد فالقى الي الكتاب منشورا غير مطوي ولا مختوم فاخذته واقبلت
الي سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة في قلبي فناديت يا اهل الكوفة فاجابوني فقلت لهم يا قوم من
يشتري رجلا هرب من الله تعالي الي الله تعالي فاقبلوا الي بالدنانير والدراهم فقلت لا حاجة لي في المال
ولكن جبة صوف خشنة وعباية قطوانية قال فاتيت بذلك ونزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت
البسه مع امير المومنين فاقبلت اقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت احمله حتي اتيت باب امير المومنين
هرون حافيا راجلا فهزا بي من كان علي باب الخليفة ثم استوذن لي فلما دخلت عليه وبصرني هرون
علي تلك الحالة قام وقعد ثم قام قايما وجعل يلطم راسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول
انتفع الرسول وخاب المرسل مالي وللدنيا وللملك يزول عني سريعا ثم القيت الكتاب اليه منشورا
كما دفعه الي فاقبل هرون يقروه ودموعه تنحدر من عينيه ويقرا ويشهق فقال بعض جلسائه
يا امير المومنين لقد اجترا عليك سفيان فلو وجهت اليه فاثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن
كنت تجعله عبرة لغيره فقال هرون اتركوا يا عبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقي من اهلكتموه ان
سفيان امة وحده فاتركوا سفيان وشانه ثم لم يزل كتاب سفيان الي جنب هارون يقراه عند
كل صلوة حتي توفي رحمه الله ورحم عبدا نظر لنفسه واتقى الله فيما تقدم عليه غدا من عمله فانه عليه محاسب
وبه مجازى والله ولي التوفيق وعن عبد الله بن مهران قال حج الرشيد فوافى الكوفة فاقام بها اياما ثم
ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يوذونه
ويولعون به اذ اقبلت هوادج هرون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هرون نادي باعلى صوته
يا امير المومنين يا امير المومنين فكشف هرون السجاف بيده عن وجهه فقال لبيك يا بهلول
لبيك يا بهلول فقال يا امير المومنين حدثنا ايمن بن نايل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رايت النبي
صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وتواضعك في سفرك
هذا خير من تكبرك وتجبرك قال فبكى هرون حتي سقطت دموعه علي الارض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك
قال نعم يا امير المومنين رجل اتاه الله مالا وجمالا فانفق من ماله وعف في جماله كتب في خالص ديوان
الله تعالى من الابرار قال احسنت يا بهلول اقبل الجائزة قال اردد الجائزة علي من اخذتها منه فلا
حاجة لي فيها قال يا بهلول فان يكن عليك دين قضيناه فقال يا امير المومنين هولاء اهل العلم
بالكوفة متوافرون اجتمعت اراوهم ان قضاء الدين بالدين لا يغنى قال يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك
او يقيمك قال فرفع بهلول راسه الي السماء ثم قال يا امير المومنين انا وانت من عباد الله فمحال ان يذكرك

دينا في قال ما سئل الهارون الصحاف وعنى وعن ابي العباس الهاشمي مروان بن صالح بن المامون
قال دخلت علي حارث المحاسبي رحمه الله فقلت له يا عبد الله حاسبت نفسك فقال هذا كان مرة قلت له قال
فاليوم قال اكاتم حالي اني لاقرأ آية من كتاب الله تعالى فاضن بها ان يسمعها نفسي ولولا ان تغلبني فيها
فرح ما اعلنت بها ولقد كنت ليلة قاعدا في محرابي فاذا انا بفتى حسن الوجه طيب الريح فسلم ثم قعد بين
يدي فقلت له من انت فقال انا واحد من السياحين اقصد المتعبدين في محاريبهم ولا ارى لك اجتهادا
فاي شي عملك قال قلت له كتمان المصايب واستجلاب الفوايد قال فصاح وقال ما علمت ان احدا
بين جنبتي المشرق والمغرب هذه صفته قال الحارث فاردت ان ازيد عليه فقلت له اما علمت ان اهل
القلوب يخفون احوالهم ويكتمون اسرارهم ويسالون الله كتمان ذلك عليهم فمن اين يعرفهم قال فصاح
صيحة غشي عليه فمكث عندي يومين لا يعقل ثم افاق وقد احدث في ثيابه فعلمت ان العقل فاخرجت
له ثوبا جديدا وقلت له هذا كفني قد آثرتك به فاغتسل واعد صلوتك فقال هات الماء واغتسل وصلى ثم
التحف بالثوب وخرج فقلت له اين تريد فقال قم فلم يزل يمشي حتى دخل علي المامون امير المومنين فسلم
عليه ثم قال له يا ظالم يا ظالم انا لم اقل لك يا ظالم استغفر الله من تقصيري فيك اما تستحيي الله تعالى فيما قد
ملكك وتكلم بكلام كثير ثم اقبل يريد الخروج وانا جالس بالباب فاقبل عليه المامون وقال من انت
قال انا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبل فلم احد لنفسي فيه حظا فتعلقت بموعظتك
لعلي الحقهم قال فامر بضرب عنقه واخرج وانا قاعد علي الباب ملفوفا في ذلك الثوب ومناديا
ينادي من ولي هذا فليأخذه قال الحارث فاجتنبت عنه فاخذه اقوام فدفنوه وكنت معهم لا اعلمهم
بحاله فاقمت في مسجد في المقابر محزونا علي الفتى فغلبتني عيناي فاذا انا به وصايف لم ار احسن منهن
وهو يقول يا حارث انت الله والله الكاتمين الذين يخفون احوالهم ويطيعون ربهم قلت وما فعلوا قال
الساعة يلقونك قال فنظرت الي جماعة ركبان فقلت من انتم قالوا الحرك هنا كالاكل له فلم يكن في قلبه
مما وصفت شي فخرج للامر بالمعروف والنهي وان الله تعالى الحقه معنا وعن احمد بن ابرهيم المقري قال كان ابو
الحسين النوري رجلا قليل الفضول لا يسال عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج اليه وكان اذا راى
منكرا غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم الي مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلوة اذ راى زورقا
فيه ثلثون دنا مكتوب عليها بالقار لطف فقراه وانكره لانه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئا
يعبر عنه بلطف فقال للملاح ايش في هذه الدنان قال وايش عليك امض لشغلك فلما سمع النوري
من الملاح هذا القول ازداد تعطشا الي معرفته فقال احب ان تخبرني ايش في هذه الدنان فقال

الملاح انت والله صوفي فضولي هذا خمر للمعتضد يريد ان يتم به مجلسه فقال النوري وهذا خمر قال نعم قال احب
ان تعطيني ذلك المدري فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه اعطه المدري حتى انظر ما يصنع فلما صار المدري
في يده صعد الى الزورق فلم يزل يكسرها دنا دنا حتى اتى على آخرها الا دنا واحدا والملاح يستغيث الى ان
ركب صاحب الجسر وهو يومئذ ابن افلح فقبض على النوري واشخصه الى حضرة المعتضد وكان المعتضد
سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس انه سيقتله قال ابو الحسين فادخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد
وبيده عمود يقلبه فلما رآني قال من انت قلت محتسب قال من ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الامامة ولاني
الحسبة يا امير المومنين قال فاطرق الى الارض ساعة ثم رفع راسه الي قال ما الذي حملك على ما صنعت قلت
شفقة مني عليك اذ بسطت يدي الى صرف مكروه عنك فقصرت عنه قال فاطرق مفكرا في كلامي ثم رفع راسه
وقال كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان فقلت في تخلصه علة اخبر بها امير المومنين ان اذن
فقال هات خبرني فقلت يا امير المومنين اني اقدمت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي
شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فاقدمت عليها بهذه الحال الى ان صرت
الى هذا الدن فاستشعرت نفسي كبرا على اني قد اقدمت على مثلك فامتنعت ولو اقدمت عليه بالحال
الاول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم ابال فقال المعتضد اذهب فقد اطلقنا يدك غير ما احببت
ان تغيره من المنكر قال ابو الحسين فقلت يا امير المومنين بغض التغيير الي لاني كنت اغير عن الله وانا الان
اغير شرطيا فقال المعتضد ما حاجتك قلت يا امير المومنين تامر باخراجي سالما فامر له بذلك وخرج الى البصرة
فكان اكثر ايامه بها خوفا من ان يسال حاجة فيسالها المعتضد فاقام بالبصرة الى ان توفي المعتضد ثم رجع
الى بغداد فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة
السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله ان يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى ان يرزقهم الشهادة فلما اخلصوا
لله النية اثر كلامهم في القلوب القاسية فلينها وازال قساوتها واما الان فقد قيدت الاطماع السن
العلماء فسكتوا وان تكلموا لم يساعد اقوالهم افعالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا الله وقصدوا حق العلم لافلحوا
نفسا ففساد الرعاة بفساد الملوك وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب
الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والاكابر والله المستعان على كل حال

تم كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
والحمد لله حق حمده والصلوة على نبيه محمد وآله
وصحبه اجمعين وسلم تسليما

كتاب آداب المعيشة واخلاق النبوة

وهو الكتاب العاشر من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي خلق كل شيء فاحسن خلقه وترتيبه وادب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فاحسن
تاديبه وزكى اوصافه واخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه ووفق للاقتداء به من اراد تهذيبه وحرم عن
التخلق باخلاقه من اراد تخييبه اما بعد فان آداب الظواهر عنوان البواطن وحركات
الجوارح ثمرات الخواطر والاعمال نتيجة الاخلاق والآداب رشح المعارف وانوار السراير هي التي تشرق
على الظواهر فتزينها وتحليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها ومن لم تخشع جوارحه ومن لم يكن
صدره مشكاة الانوار الالهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية ولقد كنت عزمت على ان اختم ربع
العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه
الكتب ثم رايت كل كتاب من ربع العادات وربع العبادات قد اتى على جملة من الآداب فاستثقلت
تكريرها واعادتها فان طلب الاعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة المعادات فرايت ان اقتصر في
هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلاقه الماثورة عنه باسنادها فاسردها
مجموعة فصلا فصلا محذوفة الاسانيد ليجتمع فيه مع جمع الآداب تجديد الايمان وتاكيده بمشاهدة
اخلاقه الكريمة التي يشهد آحادها على القطع بانه اكرم خلق الله واعلاهم رتبة واجلهم قدرا فكيف
مجموعها ثم اضيف الى ذكر اخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الاخبار ليكون ذلك معربا
مكارم الاخلاق والشيم منتزعا عن آذان الجاحدين لنبوته صمام الصمم والله تعالى ولي التوفيق للاقتداء
بسيد المرسلين في الاخلاق والاحوال وساير معالم الدين فانه دليل المتحيرين ومجيب المضطرين
ولنذكر فيه اولا بيان تاديب الله اياه بالقرآن ثم بيان جوامع من محاسن اخلاقه ثم بيان جملة من
آدابه واخلاقه ثم بيان كلامه وضحكه ثم بيان اخلاقه وآدابه في الطعام ثم بيان اخلاقه وآدابه في
اللباس ثم بيان عفوه مع القدرة ثم بيان اغضائه عما كان يكره ثم بيان شجاعته وباسه ثم بيان
تواضعه ثم بيان صورته وخلقته ثم بيان جوامع معجزاته وآياته بيان تاديب الله حبيبه وصفيه
محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال دائم
السؤال من الله تعالى ان يزينه بمحاسن الآداب وكان يقول في دعائه اللهم حسن خلقي وخلقي ويقول
اللهم جنبني منكرات الاخلاق فاستجاب الله سبحانه دعاءه وفاء بقوله ادعوني استجب لكم فانزل

عليه القرآن وادبه به وكان خلقه القرآن قال سعد بن هشام دخلت على عايشه فسالتها عن اخلاق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اما تقرا القرآن قلت بلى قالت خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
القرآن وانما ادبه بالقرآن بمثل قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقوله ان الله
يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وبقوله واصبر على
ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وبقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وبقوله فاعف
عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وبقوله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم وبقوله ادفع
بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وبقوله والكاظمين الغيظ والعافين
عن الناس وبقوله اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا
ولما كسرت رباعيته يوم احد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم
خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تع ليس لك من الامر شيء تاديبا له على ذلك
فامثال هذه التاديبات في القرآن لا تحصر وهو المقصود الاول بالتاديب والتهذيب ثم
منه تشرق النور على كافة الخلق فانه ادب بالقرآن وادب الخلق به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ثم رغب الخلق في حسن الاخلاق بما اوردناه في كتاب رياضة النفس
وتهذيب الاخلاق فلا نعيده ثم لما اكمل الله خلقه اثنى عليه فقال وانك لعلى خلق عظيم فسبحانه
ما اعظم شانه واتم امتنانه انظر الى عميم فضله كيف اعطى ثم اثنى فهو الذي زينه بالخلق الكريم ثم
اضاف اليه فقال وانك لعلى خلق عظيم ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلق ان الله يحب مكارم
الاخلاق ويبغض سفسافها قال علي رضي الله عنه يا عجبا لرجل مسلم يجيئه اخوه المسلم في حاجة
فلا يرى نفسه للخير اهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان له ان يسارع في مكارم الاخلاق
فانها مما يدل على سبيل النجاة فقال رجل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وما هو
خير لما اتي بسبايا طي وقعت جارية في السبي فقالت يا محمد ان رايت ان تخلي عني ولا تشمت بي احياء
العرب فاني بنت سيد قومي وان ابي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام
ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط انا ابنة حاتم طي فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جارية
هذه صفة المؤمن حقا لو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق
وان الله يحب مكارم الاخلاق فقام ابو بردة بن نيار فقال يا رسول الله الله يحب مكارم الاخلاق فقال
والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة الا حسن الاخلاق وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم

ان الله حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الصنيعة
ولين الجانب وبذل المعروف واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض المسلم براكان او
فاجرا وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان او كافرا وتوقير ذي الشيبة المسلم
واجابة الطعام والدعاء اليه والعفو والاصلاح والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم
الغيظ والعفو عن الناس واذهب الاسلام اللهو والباطل والغناء والمعازف كلها وكل ذي وتر
وكل ذي دخل والكذب والغيبة والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين
وقطيعة الارحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والمدحة والفحش والتفحش
والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان والظلم قال انس فلم يدع نصيحة جميلة الا وقد دعانا اليها
وامرنا بها ولم يدع غشا او قال عيبا ولا شينا الا حذرناه ونهانا عنه ويكفي من ذلك كله هذه الآية
ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية وقال معاذ اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ
اوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار
ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه في القرآن
وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وانهاك ان تسب حكيما او تكذب صادقا او تطيع آثما
او تعصي اماما عادلا او تفسد ارضا واوصيك باتقاء الله عند كل حجر ومدر وان تحدث لكل ذنب
توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية فهكذا ادب عباد الله ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب

بيان جملة من محاسن اخلاقه التي جمعها بعض العلماء والتقطها من الاخبار قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم احلم الناس واسخى الناس واعدل الناس واعف الناس لم تمس قط يده يد امراة لا يملك
رقها او عصمة نكاحها او يكون ذات محرم منه واسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم فان
فضل ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم ياو الى منزله حتى يتبرا منه الى من يحتاج اليه لا ياخذ مما آتاه
الله تعالى الا قوت عامه فقط من ايسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله لا يسال
شيئا الا اعطاه ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما يحتاج قبل انقضاء العام ان لم ياته شيء كان
يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة اهله ويقطع اللحم من اشد الناس حياء لا يثبت بصره في
وجه احد ويجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن او فخذ ارنب ويكافي عليها وياكلها
ولا ياكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين يغضب لربه تعالى ولا يغضب لنفسه وينفذ
الحق وان عاد ذلك بالضرر عليه وعلى اصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة

الي انسان واحد يريد في عدد من معه وانى وقال انا لا نستنصر بمشرك ووجد من فضلاء اصحابه
وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد علي مر الحق بل وداه بمائة ناقة وان باصحابه حاجة
الي بعير واحد يتقوون به وكان يعصب الحجر علي بطنه من الجوع ومرة ياكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع
من مطعم حلال ان وجد تمرا دون خبز اكله وان وجد شواء اكله وان وجد خبز بر او شعير اكله وان وجد
حلواء او عسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفي به وان وجد بطيخا او رطبا اكله لا ياكل متكيا
ولا علي خوان منديله باطن قدميه لم يشبع من خبز بر ثلثة ايام متوالية حتى لقي الله تعالى ايثارا علي نفسه
لا فقرا يجيب الوليمة ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين اعدائه بلا حارس اشد الناس
تواضعا واسكنهم في غير كبر وابلغهم بغير تطويل واحسنهم بشرا لا يهوله شي من امور الدنيا ويلبس ما وجد
فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانية ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسه في خنصره
الايمن وربما في الايسر يردف خلفه عبده او غيره يركب ما امكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء
ومرة حمارا ومرة راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى في اقصى المدينة يحب الطيب
ويكره الريح الرديئة ويجالس الفقراء ويواكل المساكين ويكرم اهل الفضل في اخلاقهم ويتالف اهل
الشرف بالبر لهم يصل ذوي رحمه من غير ان يوثرهم علي من هو افضل منهم لا يجفو علي احد يقبل معذرة
المعتذر اليه يمزح ولا يقول الا حقا يضحك من غير قهقهة يري اللعب المباح فلا ينكره ويسابق اهله
ويرفع الاصوات عليه فيصبر كان له لقاح وغنم يتقوت هو واهله من البانها وله عبيد واماء لا يرتفع
عليهم في ماكل ولا ملبس لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى وفيما لا بد له من صلاح نفسه يخرج الي
بساتين اصحابه لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الي الله دعاء
مستويا قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو امي لا يقرا ولا يكتب نشا في
بلاد الجهل في الصحاري في فقره وفي رعاية الغنم يتيما لا اب له ولا ام فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق
والطرق الحميدة واخبار الاولين والاخرين وما فيه النجاة والفوز في الاخرة والغبطة والخلاص في
الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول وفقنا الله لطاعته في امره والتاسي به في فعله آمين رب العالمين

بيان جملة اخري من آدابه واخلاقه مما رواه البختري قالوا ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
احدا من المومنين الا جعلت له كفارة ورحمة ولا لعن امراة قط ولا خادما بلعنة وقيل له وهو في
القتال لو لعنتهم يا رسول الله فقال انما بعثت رحمة ولم ابعث لعانا وكان اذا سيل ان يدعو علي
احد مسلم او كافر عام او خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له وما ضرب بيده احدا قط الا ان يضرب

بها في سبيل الله وما انتقم من شيء صنع اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله تعالى وما خير بين امرين قط الا
اختار ايسرهما الا ان يكون فيه اثم او قطيعة رحم فيكون ابعد الناس من ذلك وما كان يأتيه احد حر
او عبد او امة الا قام معه في حاجته وقال انس والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه لم فعلته
ولا لامني نساؤه الا قال دعوه انما كان هذا بكتاب وقدر وقد قالوا ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
مضجعا ان فرشوا له اضطجع وان لم يفرش اضطجع على الارض وقد وصفه الله تعالى في التورية قبل ان
بعثه في السطر الاول فقال محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي
بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام يأتزر على وسطه هو
ومن معه وعاء القرآن والعلم يتوضأ على اطرافه ولذلك نعته في الانجيل وكان من خلقه ان يبدأ
من لقيه بالسلام ومن فاوضه بحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف وما اخذ احد بيده فيرسل يده
حتى يرسلها الآخر وكان اذا لقي احدا من اصحابه بدأه بالمصافحة ثم اخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته
وكان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله تعالى وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلوته
واقبل عليه فقال الك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلوته وكان اكثر جلوسه ان ينصب ساقيه
جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من مجالس الصحابة وكان ما رآى قط مادا
رجليه بين اصحابه حتى يضيق بها على احد الا ان يكون المكان واسعا لا ضيق فيه وكان اكثر ما يجلس
مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبين قرابة ولا رضاع
يجلسه عليه وكان يؤثر الداخل بالوسادة التي تحته فان ابى ان يقبلها يعزم عليه حتى يفعل وما استصفى
احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى يعطي كل من جلس اليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه
وحديثه ونظره للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وامانة قال تعالى فبما رحمة من الله لنت
لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولقد كان يدعو اصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة
لقلوبهم ويكني من لم يكن له كنية وكان يدعى بما كناه به ويكني ايضا النساء اللاتي لهن اولاد واللاتي
لم يلدن يبتدئ لهن الكنى ويكني الصبيان فتستكين به قلوبهم وكان ابعد الناس غضبا واسرعهم
رضا وكان ارأف الناس بالناس وخير الناس للناس وانفع الناس للناس ولم يكن ترفع في مجلسه
الاصوات وكان اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك
ثم يقول علمنيهن جبرئيل عليه السلم **بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم** كان صلى الله عليه وسلم
افصح الناس منطقا واحلاهم كلاما ويقول انا افصح العرب وان اهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلعم

وكان نزر الكلام سمح المقالة اذا نطق ليس بمهذار وكان كلامه كخرزات النظم قالت عايشة كان لا يسرد
سردكم هذا كان كلامه نزرا وانتم تنثرون الكلام نثرا قالوا وكان اوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبرئيل
وكان مع الايجاز يجمع كل ما اراد وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كانه يتبع بعضه بعضا بين
كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه وكان جهير الصوت احسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم
في غير حاجة ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب الا الحق ويعرض عمن تكلم بغير جميل ويكني
عما اضطره الكلام اليه مما يكره كان اذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث ويعظ بالجد
والنصيحة ويقول لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فانه انزل على وجوه وكان اكثر الناس تبسما وضحكا في
وجوه اصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه وكان ضحك اصحابه
عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له قالوا ولقد جاءه اعرابي يوما وهو عليه السلام متغير ينكره اصحابه فاراد ان
يسأله فقالوا لا تفعل يا اعرابي فانا ننكر لونه فقال دعوني فوالذي بعثه بالحق نبيا لا ادعه حتى
يتبسم فقال يا رسول الله بلغنا ان المسيح يعني الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا افترى لي
ان اكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى اهلك هزلا ام اضرب في ثريده حتى اذا تضلعت شبعا آمنت
بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يغنيك الله بما يغني
به المؤمنين قالوا وكان من اكثر الناس تبسما واطيبه نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يذكر الساعة او يخطب
بخطبة عظة وكان اذا سر ورضي فهو احسن الناس رضا وان وعظ وعظ بجد وان غضب وليس يغضب
الا لله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في اموره كلها وكان اذا نزل به الامر فوض الامر وتبرأ من الحول
والقوة واستنزل الهدى فيقول اللهم ارني الحق حقا فاتبعه وارني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه
واعذني من ان يشتبه علي فاتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ رضا
نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي الى صراط مستقيم

بيان اخلاقه وآدابه في الطعام كان صلعم ياكل ما يجد وكان احب الطعام اليه ما كان على
ضفف والضفف ما كثرت عليه الايدي وكان اذا وضعت المائدة قال بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة
يصل بها نعمة الجنة وكان كثيرا اذا جلس ياكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجمع المصلي الا انه يكون
الركبة فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول انما انا عبد آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان
لا ياكل الحار ويقول انه غير ذي بركة وان الله لم يطعمنا نارا فابردوه وكان ياكل مما يليه وياكل باصابعه
الثلاث وربما استعان بالرابعة ولم يكن ياكل باصبعين ويقول ان ذلك اكلة الشيطان وجاءه عثمان

بن عفان بفالوذج فاكل منه وقال ما هذا يا ابا عبد الله قال بابي انت وامي نجعل السمن والعسل في
البرمة ونضعها على النار ثم نغليه ثم ناخذ مخ الحنطة اذا طحنت فنلقيه على السمن والعسل ثم نسوطه حتى
ينضج فياتي كما ترى فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الطعام طيب وكان ياكل الشعير غير منخول خبزا وكان ياكل
القثاء بالرطب وبالملح وكان احب الفواكه الرطبة اليه البطيخ والعنب وكان ياكل البطيخ بالخبز وبالسكر
وربما اكله بالرطب ويستعين باليدين جميعا واكل يوما الرطب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره
فمرت شاة فاشارت اليها بالنوى فجعلت ياكل في كفه اليسرى وياكل هو بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة
وربما اكل العنب حتى سال ماؤه على لحيته كحدر اللؤلؤ وهو الذي سقط منه وكان اكثر طعامه الماء والتمر
وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الاطيبين وكان احب الطعام اليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو
سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سالت ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل كان ياكل الثريد باللحم
والقرع وكان يحب القرع ويقول انها شجرة اخي يونس قالت عايشة رضي الله عنها وكان يقول يا عايشة
اذا طبختم قدرا فاكثروا فيه من الدباء فانه يسر قلب الحزين وكان ياكل لحم الطير الذي يصاد وكان لا يتبعه
ولا يصيده ويحب ان يصاد له ويوتى به فياكله وكان اذا اكل اللحم لم يطاطي راسه اليه ويرفعه اليه
رفعا ثم ينهسه انتهاشا وكان ياكل الخبز والسمن وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر
الدباء ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة ودعا في العجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم
والسحر وكان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء التي يقال لها الرجلة وكان
يكره الكليتين لمكانهما من البول وكان لا ياكل من الشاة سبعا الذكر والانثيين والمرارة والمثانة
والغدد والحيا والدم وكان يكره ذلك وكان لا ياكل الثوم ولا البصل ولا الكراث وما ذم طعاما قط
لكن ان اعجبه اكله وان كرهه تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما
وكان يلعق الصحفة ويقول آخر الطعام اكثر بركة وكان يلعق اصابعه من الطعام حتى تحمر وكان
لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه واحدة واحدة ويقول انه لا يدري في اي الاصابع البركة واذا فرغ قال
اللهم لك الحمد اطعمت واشبعت وسقيت وارويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه وكان
اذا اكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه وكان يشرب في ثلث
دفعات له فيها ثلث تسميات وفي آخرها ثلث تحميدات وكان يمص مصا ولا يعب عبا وربما كان يشرب
بنفس واحد حتى يفرغ وكان لا يتنفس في الاناء بل ينحرف عنه وكان يدفع فضل سورة الى من على يمينه
فان كان من على يساره اجل رتبة قال للذي على يمينه السنة ان تعطى فان احببت آثرتهم واني

بانا فيه عسل ولبن فابى ان يشربه وقال شربتان في شربة وادامان في اناء واحد وقال صلى الله عليه وسلم
لا احرمه ولكني اكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا واحب التواضع فان من تواضع لله رفعه الله
وكان في بيته اشد حياء من العاتق لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه عليهم ان اطعموه اكل وما اطعموه
قبل وما سقوه شرب وكان ربما قام فاخذ ما ياكل بنفسه او يشرب بيان اخلاقه وآدابه في
اللباس كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد ازارا وارديه وجبابا وكان يعجبه الثياب
الخضر وكان اكثر لباسه البياض ويقول البسوها احياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان يلبس القباء
المحشو للحرب وغير المحشو وكان له قباء سندس فيلبسه فيحسن خضرته على بياض لونه وكان
ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق وكان قميصه مشدود
الازرار وربما حل الازرار في الصلوة وغيرها وكان له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى
بالناس فيها وحدها وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفيه بين كتفيه وربما ام به الناس
على الجنائز وربما صلى في بيته في الازار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الازار الذي
جامع فيه يومئذ وربما كان يصلي بالليل في الازار ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية
على بعض نسائه فيصلي كذلك ولقد كان له كساء اسود فوهبه فقالت له ام سلمة بابي وامي انت
ما فعل ذلك الكساء الاسود قال كسوته فقالت ما رايت شيئا قط كان احسن من بياضك على سواده
قال انس وربما رايته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيها وكان يتختم وربما خرج وفي خاتمه
الخيط المربوط يتذكر به الشيء وكان يختم به على الكتب ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة وكان
يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من راسه فجعلها سترة بين يديه ثم
يصلي اليها وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على راسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب
فوهبها من علي رضي الله عنه فربما طلع علي فيها فيقول صلى الله عليه وسلم اتاكم علي في السحاب وكان اذا
لبس ثوبا يلبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذي كساني ما اواري به عورتي واتجمل به في الناس
واذا نزع ثوبه خرج من مياسره وكان له ثوب لجمعة خاصة سوى ثيابه لغير الجمعة وكان اذا لبس
جديدا اعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله الا كان
في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا وكان له فراش من ادم حشوه ليف طوله ذراعان
او نحوه وعرضه ذراع وشبر او نحوه وكانت له عباءة تفرش له حيث ما تنقل تثنى ثنيتين وكان ينام
على الحصير ليس تحته شيء غيره وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم دابته العقاب

واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له المخذم وآخر يقال له الرسوب
وآخر يقال له العضب وكانت قبيعة سيفه محلى بالفضة وكان يلبس المنطقة من الادم فيها ثلث حلق من
الفضة وكان اسم قوسه المكتوم وجعبته الكافور وكان اسم ناقته القصوى وهي التي يقال لها العضباء
واسم بغلته الدلدل وكان اسم حماره يعفور واسم شاته التي يشرب لبنها عنبة وكانت له مطهرة من فخار
يتوضأ فيها ويشرب فيرسل الناس اولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله صلعم
فلا يدفعون عنه فاذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم واجسادهم يبتغون بذلك
البركة بيان عفوه مع القدرة كان صلى الله عليه وسلم احلم الناس وارغبهم في العفو مع القدرة حتى
اتى بقلائد من ذهب وفضة فقسم بين اصحابه فقام رجل من اهل البادية فقال يا محمد والله لئن امرك الله
ان تعدل فما اراك تعدل فقال ويحك من يعدل عليك بعدي فلما ولى قال ردوا علي رويدا وروي عن
جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يقبض للناس يوم حنين من فضة في ثوب بلال فقال له رجل يا نبي الله
اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك فمن يعدل اذا لم اعدل فقد خبت وخسرت ان كنت لا
اعدل وقام عمر فقال الا اضرب عنقه فانه منافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس اني اقتل اصحابي
وكان صلى الله عليه وسلم في حرب فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالسيف فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
السيف فقال من يمنعك مني قال كن خير آخذ قال قل اشهد ان لا اله الا الله فقال الاعرابي لا اقاتلك
ولا اكون معك ولا اكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فجاء اصحابه فقال جئتكم من خير الناس وروي انس
ان يهودية اتت النبي صلعم بشاة مسمومة ليأكل منها فجيء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت
اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك قالوا افلا نقتلها فقال لا وسحره رجل من اليهود فاخبره
جبرئيل علم حتى حل العقد ووجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودي ولا اظهره عليه قط وقال علي رضي الله عنه
بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة
معها كتاب فخذوا منها فانطلقنا حتى اتينا روضة خاخ فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب
قلنا لتخرجن او لنقتلن فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن
ابي بلتعة الى اناس من المشركين يخبرهم امرا من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حاطب ما هذا قال
يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرأ ملصقا في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة
يحمون اهليهم فاحببت اذ فاتني ذلك منهم من النسب ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم افعل ذلك

كفرا ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ولا ارتدادا عن ديني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقكم فقال عمر
اضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل اطلع على اهل
بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة فقال رجل من الانصار
هذه القسمة ما اريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه وقال رحم الله اخي موسى قد
اوذي باكثر من هذا فصبر وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا
فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر **بيان اغضائه عما يكرهه** كان صلى الله عليه وسلم
رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن تعرف في وجهه غضبه ورضاه وكان اذا اشتد وجده اكثر مس
لحيته وكان لا يشافه احدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيئا حتى خرج
فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا ان يدع هذه يعني الصفرة وبال اعرابي في المسجد بحضرته فهم به الاصحاب
فقال صلى الله عليه وسلم لا تزرموه اي لا تقطعوا عليه البول ثم قال ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من
القذر والبول والخلاء وفي رواية قربوا ولا تنفروا وجاءه اعرابي يوما فطلب منه شيئا فاعطاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال احسنت اليك فقال الاعرابي لا ولا اجملت قال فغضب المسلمون وقاموا اليه
فاشار اليهم ارجعوا ثم قام ودخل منزله وارسل الى الاعرابي وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك قال
الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي نفس
اصحابي شيء من ذلك فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها
عليك قال نعم فلما كان الغداة او العشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال
فزدناه فزعم انه رضي بذلك فقال الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم
ان مثلي ومثل هذا الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها
الا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها واعلم فتوجه لها صاحب الناقة
بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها هونا هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها
واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار **بيان سخاوته وجوده**
كان صلى الله عليه وسلم اجود الناس واسخاهم وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئا وكان
علي رضي الله عنه اذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان اجود الناس كفا واجرى صدرا واصدق الناس لهجة
واوفاهم ذمة والينهم عريكة واكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول
ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم وما سئل شيئا قط على الاسلام الا اعطاه وان رجلا

ايا فسأله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى
الفاقة وما سئل شيئا قط فقال لا وحمل اليه تسعون الف درهم فوضع على حصير ثم قام اليها يقسمها فما
رد سائلا حتى فرغ منه وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء
قضيناه فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال
الرجل انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف السرور في وجهه
ولما قفل من حنين جاءت الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال اعطوني ردائي فلو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا
ولا كذوبا ولا جبانا **بيان شجاعته صلعم** كان صلى الله عليه وسلم انجد الناس واشجعهم
قال علي رضي الله عنه لقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو
وكان من اشد الناس يومئذ باسا وقال ايضا كنا اذا احمر الباس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله
صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم قليل الكلام قليل
الحديث فاذا امر الناس بالقتال تشمر وكان من اشد الناس باسا وكان الشجاع هو الذي يقرب
منه في الحرب لقربه من العدو وقال عمران بن الحصين ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان
اول من يضرب وقالوا كان قوي البطش ولما غشيه المشركون نزل فجعل يقول انا النبي لا كذب انا ابن
عبد المطلب فما روي يومئذ احد كان اشد منه **بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم** كان النبي
صلى الله عليه وسلم اشد الناس تواضعا في علو منصبه قال ابن عامر رايته يرمي الجمرة على ناقة شهباء
لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف وكان
يعود المريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك ويخصف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع في
بيته مع اهله في حاجتهم وكان اصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهيته لذلك وكان يمر على
الصبيان فيسلم عليهم واتي صلى الله عليه وسلم برجل فارعد من هيبته فقال هون عليك فلست
بملك انما انا ابن امراة من قريش كانت تاكل القديد وكان يجلس بين اصحابه مختلطا بهم كانه
احدهم فيأتي الغريب فلا يدري ايهم هو حتى يسال حتى طلبوا اليه ان يجلس مجلسا يعرفه الغريب
فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه وقالت له عائشة رضي الله عنها كل جعلني الله فداك متكئا
فانه اهون عليك قال فاصغى راسه حتى كاد ان يصيب جبهته الارض ثم قال بل آكل كما ياكل العبد
واجلس كما يجلس العبد وكان لا ياكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله وكان لا يدعوه احد من

اصحابه ولا يغرهم الا قال لبيك وكان اذا جلس مع الناس ان يكلموا في معنى الآخرة اخذ معهم في معنى
الآخرة اخذ معهم وان تحدثوا في طعام وشراب تحدث معهم وان تكلموا من الدنيا تحدث معهم رفقا بهم
وتواضعا لهم وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه احيانا ويذكرون اشياء من امر الجاهلية ويضحكون
فيتبسم هو اذا ضحكوا ولا يزجرهم الا عن حرام بيان صورته وخلقته صلى الله عليه وسلم كان من
صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قامته انه لم يكن بالطويل البائن ولا القصير المتردد بل كان ينسب
الى الربعة اذا مشى وحده ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد من الناس ينسب الى الطول الا طاله رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسبا الى الطول ونسب
هو صلى الله عليه وسلم الى الربعة ويقول صلى الله عليه وسلم جعل الخير كله في الربعة واما لونه فقد كان
ازهر اللون ولم يكن بالادم ولا الشديد البياض والازهر هو الابيض الناصع الذي لا يشوبه صفرة
وحمرة ولا شيء من الالوان ونعته عمه ابو طالب فقال وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى
عصمة للارامل ونعته بعضهم بانه مشرب حمرة فقالوا انما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر منه للشمس
والرياح كالوجه والرقبة والازهر الصافي عن الحمرة ما تحت الثياب وكان عرقه صلى الله عليه وسلم في وجهه
كاللؤلؤ اطيب من المسك الاذفر واما شعره فقد كان رجل الشعر حسنها ليس بالسبط ولا الجعد
القطط كان اذا مشطه بالمشط يأتي كانه حبك الرمل وقيل كان شعره يضرب منكبيه واكثر الرواية
انه كان الى شحمة اذنيه وربما جعله غدائر اربعا يخرج كل اذن من بين غديرتين وربما جعل شعره
على اذنه فيبدو سوالفه يتلالا وكان شيبه في الراس واللحية سبعة عشر شعرة ما زاد على ذلك
وكان صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها وانورهم لم يصفه واصف الا شبهه بالقمر ليلة البدر
وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه ابو بكر
رضي الله عنه حين يقول امينا مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام وكان صلى الله عليه وسلم
واسع الجبهة ازج الحاجبين بهما وكان ابلج ما بين الحاجبين كان ما بينهما الفضة المخلصة وكانت
عيناه علاوة ادعجهما وكان في عينيه نزع من حمرة وكان اهدب الاشفار حتى تكاد تلتبس من
كثرتها وكان اقنى العرنين اي مستوي الانف وكان مفلج الاسنان اي متفرقها وكان اذا افتر
ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق اذا تلألأ وكان من احسن عباد الله شفتين والطفه ختم فم وكان
سهل الخدين صلتهما ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم كث اللحية وكان يعفي لحيته ويأخذ شاربه
وكان احسن عباد الله عنقا لا ينسب الى الطول ولا الى القصر ما ظهر للشمس والرياح فكانه ابريق فضة

مشرب ذهبا يتلالا في بياض الفضة وفي حمرة الذهب وكان صلى الله عليه وسلم عريض الصدر لا يعدو
بعض بدنه بعضا كالمرايا في استوائه وكالقمر في بياضه موصول ما بين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب
لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره وكانت له عكن ثلث يغطي الازار منها واحدا ويظهر اثنان وكان
عظيم المنكبين اشعرهما ضخم الكراديس اي رؤس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين وكان
واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلي منكبه الايمن فيه شامة سوداء تضرب الى الصفرة
حولها شعرات متواليات كانها من عرف فرس وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين
رحب الراحتين سائل الاطراف كان اصابعه قضبان الفضة كفه الين من الخز كان كفه كف عطار
طيبا مسها بطيب او لم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع على راس الصبي فيعرف من
بين الصبيان بريحها على راسه وكان عبل ما تحت الازار من الفخذ والساق وكان معتدل الخلق
في السمن بدن في آخر زمانه وكان لحمه متماسكا يكون على الخلق الاول لم يضره السن واما مشيه صلى
الله عليه وسلم وكان يمشي كانما ينقلع من صخر وينحدر في صبب يخطو تكفيا ويمشي الهوينا بغير تبختر
والهوينا تقارب الخطى وكان صلى الله عليه وسلم يقول انا اشبه الناس بآدم صلى الله عليه وسلم وكان
ابرهيم عليه الصلوة والسلام اشبه الناس بي خلقا وخلقا وكان يقول ان لي عند ربي عشرة اسماء انا محمد وانا
احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا العاقب الذي ليس بعده احد وانا الحاشر يحشر الله العباد
على قدمي وانا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفي قفيت الناس جميعا وانا قثم قال
ابو البختري والقثم الكامل الجامع بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه اعلم ان من
شاهد احواله صلى الله عليه وسلم او اصغى الى سماع اخباره المشتملة على اخلاقه وافعاله واحواله وعاداته
وسجاياه وسياسته لاصناف الخلق وهدايته الى ضبطهم وتالفه اصناف الخلق وقوده اياهم على طاعته
مع ما يحكى من عجايب اجوبته في مضايق الاسولة وبدايع تدبيراته في مصالح الخلق ومحاسن
اشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء والعقلاء عن ادراك اوايل دقايقها في طول
اعمارهم لم يبق له ريب وشك في ان ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك
الا بالاستمداد من تاييد سماوي وقوة الهية وان ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت شمايله
واحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى ان الاعرابي الذي كان يراه فيقول والله ما هذا وجه كذاب وكان
يشهد له بالصدق بمجرد شمايله فكيف من شاهد اخلاقه ومارس احواله في جميع مصادره وموارده
وانما اوردنا بعض اخلاقه ليعرف محاسن الاخلاق وليتنبه لصدقه صلى الله عليه وسلم وعلو منصبه ومكانته

العظيم عند الله تعالى اذ آتاه الله جميع ذلك وهو رجل امي لم يدارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط
في طلب علم ولم يزل بين اظهر الجهال من الاعراب يتيما ضعيفا مستضعفا فمن اين حصل له من محاسن
الاخلاق ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون غيره من العلوم فضلا عن معرفته بالله وملائكته وكتبه وغير ذلك
من خواص النبوة لولا صريح الوحي ومن اين للبشر الاستقلال بذلك فلو لم يكن له الا هذه الامور الظاهرة لكان
فيه كفاية وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل فلنذكر من جملتها ما استفاض به الاخبار
واشتمل عليها الصحاح اشارة الى مجامعها من غير تطويل حكاية التفصيل فقد خرق الله تعالى العادة
على يده غير مرة اذ شق له القمر بمكة اذ سألته قريش آية واطعم النفر الكثير في منزل جابر وفي منزل ابي
طلحة ويوم الخندق ومرة ثمانين من اربعة امداد شعير وعناق وهو من اولاد المعز فوق العتود ومرة اكثر
من ثمانين رجلا من اقراص شعير حملها انس في يده ومرة اهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في يدها
فاكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم ونبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم فشرب اهل العسكر
كلهم وهم عطاش وتوضأوا من قدح صغير ضاق عن ان يبسط صلى الله عليه وسلم يده فيه واهراق صلى الله
عليه وسلم وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ومرة اخرى في بئر الحديبية فجاشتا بالماء فشرب من عين تبوك
اهل الجيش وهم الوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية الف وخمس مائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء وامر
صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يزود اربع مائة راكب كانت في اجتماعه كربضة البعير وهو
موضع بروكه فزودهم كلهم منه وبقي بحسبه ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن
في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وابطل الله سبحانه وتعالى الكهانة بمبعثه فعدمت
وكانت ظاهرة موجودة وحن الجذع الذي كان يخطب اليه اذ عمل له صلى الله عليه وسلم المنبر حتى سمع
حنينه جميع اصحابه مثل صوت الابل فضمه اليه فسكن ودعا اليهود الى تمني الموت واخبرهم بانهم لا
يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه وهذا مذكور في سورة يقرأ بها في جميع جوامع اهل
الاسلام من شرق الارض الى غربها يوم الجمعة جهرا تعظيما للآية التي فيها واخبر صلى الله عليه وسلم بالغيب
وانذر بان عثمان رضي الله عنه تصيبه بلوى بعدها الجنة وبان عمارا تقتله الفئة الباغية وان الحسن
يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين واخبر صلى الله عليه وسلم عن رجل قاتل في سبيل الله
انه من اهل النار فظهر ذلك بان الرجل قتل نفسه وهذه كلها اشياء الهية لا يعرف شيء من وجوه
تقدمة المعرفة لا بنجوم ولا بكتف ولا خط ولا زجر لكن باعلام الله تعالى له ووحيه اليه واتبعه سراقة
بن خعشم فساخت قدما فرسه في الارض واتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلقت الفرس

واندره بان سيوضع في ذراعيه سواري كسرى وكان كذلك واخبر بقتل الاسود العنسي الكذاب ليلة
قتله وهو بصنعاء اليمن واخبر عن قتله وخرج علي ماية من قريش ينتظرونه فوضع التراب علي روسهم ولم
يروه وشكا اليه البعير بحضرة اصحابه وتذلل له وقال لنفر من اصحابه مجتمعين احدكم في النار ضرسه مثل
احد فماتوا كلهم علي استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتدا وقال لآخرين منهم آخركم موتا في النار
فسقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها وهات ودعا بشجرتين فاتتاه واجتمعتا ثم امرهما فافترقتا
وكان صلى الله عليه وسلم نحو الربعة فاذا مشى مع الطوال طالهم ودعا صلى الله عليه وسلم النصارى الى
المباهلة فامتنعوا واخبر صلى الله عليه وسلم انهم لو فعلوا هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا واتاه عامر بن
الطفيل بن مالك واربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين علي قتله صلى الله عليه وسلم
فحيل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بغدة وهلك اربد بصاعقة احرقته واخبر صلى الله عليه وسلم
انه يقتل ابي بن خلف الجمحي فخدشه يوم احد خدشا لطيفا وكانت منيته واطعم صلى الله عليه وسلم السم
فمات الذي اكله معه وعاش هو صلى الله عليه وسلم بعده اربع سنين وكلمه الذراع المسموم واخبر صلى الله
عليه وسلم يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم علي مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك
الموضع وانذر صلى الله عليه وسلم بان طوايف من امته يغزون في البحر فكان كذلك وزويت له الارض فارى
مشارقها ومغاربها وانذر بيبلوغ ملك امته ما زوي له منها وكان كذلك وبلغ ملكهم من اول المشرق
من بلاد الترك الى آخر المغرب من بحر الاندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا في الجنوب ولا في الشمال كما
اخبر صلى الله عليه وسلم سواء بسواء واخبر فاطمة بانها اول اهله لحاقا به وكان كذلك واخبر نساءه بان
اطولهن يدا بالصدقة اولهن لحوقا به ومسح ضرع شاة حايل لا لبن لها فدرت فكان ذلك سبب اسلام
ابن مسعود وفعل ذلك مرة اخرى في خيمة ام معبد الخزاعية وندرت عين بعض اصحابه فسقطت فردها
صلى الله عليه وسلم فكانت اصح عينيه واحسنهما وتفل في عين علي رضي الله عنه وهو ارمد يوم خيبر فصح من
وقته وبعثه بالراية وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم واصيب رجل بعض صحابة
صلى الله عليه وسلم فمسحها بيده فبرئت من حينها وقل زاد جيش كان معه صلى الله عليه وسلم فدعا
بجميع ما بقي فاجتمع شيء يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم امرهم فاخذوا فلم يبق وعاء في العسكر الا ملي كله
من ذلك وحكي الحكم بن العاص مشيته صلى الله عليه وسلم مستهزئا فقال صلى الله عليه وسلم كذلك فكن
فلم يزل يرتعش حتى مات وخطب صلى الله عليه وسلم امراة فقال ابوها ان بها برصا امتناعا من خطبته
واعتذارا ولم يكن بها برص فقال صلى الله عليه وسلم فليكن لذلك فبرصت وهي ام شبيب بن البرصاء

الشاع الي غير ذلك من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم وانما اقتصرنا على المستفيض ومن يسترب
في انخراق العادة على يده ويزعم ان آحاد هذه الوقايع لم ينقل تواترا بل المتواتر هو القرآن فقط لمن
يسترب في شجاعة علي وسخاوة حاتم ومعلوم ان آحاد وقايعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقايع يورث
علما ضروريا ثم لا يتمارى في تواتر القرآن وهي المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لنبي معجزة
باقية سواه صلى الله عليه وسلم اذ تحدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغاء الخلق وفصحاء العرب
وجزيرة العرب حينئذ مملوة بالالاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم وكان
ينادي بين اظهرهم ان ياتوا بمثله او بعشر سور مثله او بسورة من مثله ان شكوا وقال لهم لئن
اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا
وقال ذلك تعجيزا لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا انفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي
وما استطاعوا ان يعارضوا ولا ان يقدحوا في جزالته وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في اقطار العالم
شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر وقد انقرض اليوم قريب من خمس مائة سنة فلم يقدر احد
على معارضته فاعظم بغباوة من ينظر في احواله ثم في اقواله ثم في افعاله ثم في اخلاقه ثم في
معجزاته ثم في استمرار شريعته الي الآن ثم في انتشاره في اقطار العالم ثم في اذعان ملوك الارض
له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه وما اعظم توفيق من آمن به وصدقه
واتبعه في كل ورد وصدر فنسال الله تعالى ان يوفقنا للاقتداء به في الاخلاق والافعال
والاحوال والاقوال بمنه وسعة جوده تم الكتاب
العاشر من ربع العادات فكمل كتابه النصف الاول
من احياء علوم الدين والحمد لله رب العالمين
وصلواته على سيدنا محمد وآله واصحابه اجمعين وعلى
ساير النبيين وآل كل وساير الصالحين

م

[illegible]


كتاب عجائب القلب

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر ويدهش في مبادي اشراق انواره الاحداق
والنواظر المطلع على خفيات السرائر العالم بمكنونات الضمائر المستغني في تدبير ملكه عن المشاور
والموازر مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب ومفرج الكروب والصلوة على محمد سيد
المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى آله الطيبين الطاهرين اما بعد
فشرف الانسان وفضيلته التي بها فاق جملة من اصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي
هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الآخرة عدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة
من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعي الى الله وهو المتقرب اليه وهو المكاشف
بما عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبيد
واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة والقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن
الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب والمعاقب وهو الذي يسعد
بالقرب من الله فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله
وانما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله عز وجل وانما الساري
الى الاعضاء من الفواحش آثاره وباظلامه واستنارته يظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء
يترشح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي
اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره اجهل
واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وانفسهم وقد حيل بينهم وبين انفسهم وان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته
بان يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن
وانه كيف يهوي مرة الى اسفل السافلين وينخفض الى افق الشياطين وكيف يرتفع اخرى الى اعلى
عليين

الملكوت عليه وفيه نهي من قال الله تعالى فيه نسوا الله فانساهم انفسهم اوليك هم الفاسقون فمعرفة القلب
وحقيقة اوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين واذ قد فرغنا في الشطر الاول من هذا
الكتاب عن النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهي العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح
في الشطر الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بد
ان نقدم عليه كتابين كتاب في شرح صفات القلب واخلاقه كتاب في كيفية رياضة القلب وتهذيب
اخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المنجيات والمهلكات فنذكر الآن من شرح عجايب القلب بطريق
ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجايبه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما تكل
عن دركه اكثر الاوهام **بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الاسامي**
اعلم ان هذه اربعة اسامي تستعمل في هذه الابواب ويقل في فحول العلما من يحيط بهذه الاسامي
واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها واكثر الاغاليط منشاوه الجهل بمعنى هذه الاسامي
واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح الآن من معاني هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا الاول
لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر
وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود وهو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد
الآن شرح شكله وكيفيته فلا يتعلق به الاغراض الدينية وانما يتعلق بذلك غرض الاطباء وهذا القلب
موجود للبهايم بل هو موجود للميت ونحن اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة
لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة اذ تدركه البهايم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين والمعنى
الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان
وهو المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمطالب والمعاقب وله علاقة مع القلب
الجسماني وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته وان تعلقه به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام
والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للآلة بالآلة او تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما
نتوقاه لمعنيين احدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا في هذا الكتاب الا علوم المعاملة
والثاني ان تحقيقه يستدعي افشاء سر الروح ولم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره ان
يتكلم فيه فالمقصود انا اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب اردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها
واحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر الى
ذكر حقيقتها اللفظ الثاني الروح وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين احدهما جسم لطيف

منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب الي ساير اجزاء البدن وجريانها
في البدن وفيضان انوار الحيوة والحس والبصر والسمع والشم منها علي اعضايها يضاهي فيضان
النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لاينتهي الي جزو من البيت الا ويستنير فالحياة مثالها
النور الحاصل في الحيطان والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج
في جوانب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا اطلقوا الروح ارادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته
حرارة القلب وليس من غرضنا شرحه اذ المتعلق به غرض الاطباء الذين يعالجون الابدان فاما غرض
الاطباء الذين هم المعالجون للقلوب حتى تنساق الي جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه
الروح اصلا المعنى الثاني هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناه في احد معنيي القلب
وهو الذي اراده الله تعالي بقوله ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني يعجز اكثر
العقول والافهام عن درك كنه حقيقته اللفظ الثالث النفس وهو ايضا مشترك المعاني والمتعلق
بغرضنا منه معنيان احدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان علي ما سياتي
شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب علي الصوفية لانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة
من الانسان فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله صلعم اعدا عدوك نفسك
التي بين جنبيك المعنى الثاني هي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس
الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها
الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمينة قال الله تع يا ايتها النفس المطمينة
ارجعي الي ربك والنفس بالمعنى الاول لايتصور رجوعها الى الله فانها مبعدة عن الله وهي من حزب الشيطان
فاذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها
تلوم صاحبها عند تقصيرها في عبادة مولاها قال عز وجل ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض
واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالي
وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال المراد بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول
فاذا النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثاني محمودة لانها نفس الانسان اي ذاته
وحقيقته العالمة بالله عز وجل وساير المعلومات اللفظ الرابع العقل وهو ايضا مشترك لمعان
مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملته معنيان احدهما انه قد يطلق ويراد به
العلم بحقايق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني انه قد يطلق ويراد به

المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود هو اصل قائم
بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد
به محل الادراك اعني المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله تعالى العقل فان العلم عرض
لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد وان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن الخطاب معه
وفي الخبر انه قال له اقبل فاقبل وقال له ادبر فادبر الحديث فاذا قد انكشف لك ان معاني هذه الاسامي
موجودة وهو القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعلوم وهذه اربعة معان
يطلق عليها الالفاظ الاربعة ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والالفاظ
الاربعة بجملتها تتوارد عليه فالمعاني خمسة والالفاظ اربعة وكل لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلماء قد
التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل
وهذا خاطر الروح وهذا خاطر النفس وهذا خاطر القلب وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه
الاسماء فلاجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث ورد في القرآن والسنة القلب
فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي في
الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقة بسائر البدن
ومستعملة له ولكنها تتعلق بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب وكانه محلها ومملكتها وعالمها
ومطيتها ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال القلب هو العرش والصدر
هو الكرسي ولا يظن انه يريد به عرش الله وكرسيه فان ذلك محال بل اراد به انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره
وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله تع ولا يستقيم هذا التشبيه ايضا الا من بعض
الوجوه وشرح ذلك ايضا لا يليق بغرضنا فلنتجاوزه بيان جنود القلب قال الله تعالى وما يعلم
جنود ربك الا هو ولله سبحانه وتعالى في القلوب والارواح وغيرهما من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها
وتفصيل عددها الا هو ونحن الآن نشير الى بعض جنود القلب وهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان
جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان
وهذا معنى الجند فاما جنده المشاهد بالعين فهي اليد والرجل والعين واللسان وسائر الاعضاء
الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له وهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة
على طاعة القلب لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل
بالحركة تحركت واذا امر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الاعضاء وتسخر الاعضاء والحواس

للقلب فشبه من وجه تسخر الملايكة لله تعالى فانهم جبلوا على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون
ما امرهم ويفعلون ما يومرون وانما يفترقان في شي وهو ان الملايكة عالمة بطاعتها وامتثالها والاجفان
تطيع القلب بالانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وانما
افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الى
الله سبحانه وقطع المنازل الى لقائه فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون وانما مركبه البدن وزاده العلم وانما الاسباب التي توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه
العمل الصالح وليس يمكن ان يصل العبد الى الله مالم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى
لابد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى والدنيا مزرعة الآخرة وهي منزلة من منازل الآخرة وانما سميت
دنيا لانها ادنى المنزلتين فاضطر الى ان يتزود من هذا العالم والبدن مركبه الذي به يصل الى هذا العالم
فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن بان يطلب ما يوافقه من الغذاء وغيره وبان
يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه من اسباب الهلاك وافتقر لاجل جلب الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة
وظاهر وهو اليد والاعضاء الجالبة للغذاء فخلق للقلب من الشهوات ما احتاج اليه وخلقت
الاعضاء التي هي آلات الشهوة وافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو الغضب الذي به
يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهي اليد والرجل التي يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بامور
خارجة من البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء اذا لم يعرف الغذاء لا ينفعه شهوة الغذاء
والفه فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو ادراك البصيرة والبصر والذوق والشم والسمع واللمس
وظاهر وهو العين والاذن والانف وغيره وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها يطول
ولا تحويها مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى طرف يسير منه في كتاب الشكر فليقتنع به فجملة جنود القلب
تحصرها ثلاثة اصناف صنف باعث ومستحث اما الى جلب الموافق النافع كالشهوة واما الى دفع
الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للاعضاء الى تحصيل
هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر الاعضاء لا سيما العضلات
منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والشم والذوق
والسمع وغيرها وهي مبثوثة في اعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من
هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم
التي اعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش انما تبطش بالاصابع وقوة البصر انما تدرك الشي

بالعين وكذا ساير القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة اعني الاعضا فانها من عالم الملك والشهادة
وانما نتكلم الآن فيما ايد به من جنود لم يروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم
الى ما اسكن الظاهر وهي الحواس الخمسة اعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن
منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان بعد روية الشي يغمض عينيه
فيدرك في نفسه صورة وهو الخيال ثم يبقى تلك الصورة معه بسبب شي يحفظه وهو الجند الحافظ
ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى بعض ثم يتذكر ما نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات
في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا
خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان يخلو الدماغ عنه كما يخلو عنه اليد والرجل فتلك القوى
ايضا جنود باطنة واماكنها ايضا باطنة فهذه هي اقسام جنود القلب وشرح ذلك بما يدركه فهم الضعفا
يطول ومقصود مثل هذا الكتاب ان ينتفع به الاقويا والفحول من العلما ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفا
بضرب الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم

بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة

اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينانه على طريقه الذي يسلكه وتحسن
مرافقتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصا بغي وتمرد حتى يملكاه فيستعبداه
وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى السعادة الابدية وللقلب جند آخر وهو العلم
والحكمة والتفكر كما سياتي شرحه وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله تعالى على الجندين
الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب
والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم
في استنباط الحيل لقضا الشهوة وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل
اليه ونحن نقرب هذا الى فهمك بثلثة امثلة

المثال الاول ان نقول مثل نفس الانسان في بدنه
واعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل والي في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها
ومدينتها وقواها وجوارحها بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل
والشهوة له كعبد سوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب والحمية له كصاحب شرطة والعبد الجالب
للميرة كذاب مكار مخادع خبيث يتمثل بصورة الناصح وفي نصحه الشر الهايل والسم القاتل وديدنه
وعادته منازعة الوزير الناصح في كل تدبير يدبره حتى لا يخلو عن منازعته ومعارضته في آرايه ساعة كما
ان الوالي في مملكته متى استشار في تدبيره معرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث بل مستدلا باشارته

في ان الصواب في نقض رايه وادب صاحب شرطته واساسه لوزيره وجعله موتمرا له ومسلطا من جهته
على هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سايسا ومامورا مدبرا لا اميرا
مدبرا استقام امر بلده وانتظم العدل بسببه كذلك النفس متى استعانت بالعقل وادبت الحمية
والقوة الغضبية وسلطها على الشهوة واستعانت باحديهما على الاخرى بان يقلل رتبة الغضب
وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة يقمع الشهوة ويقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها
ويقبح مقتضياتها اعتدلت قواه وحسنت اخلاقه ومن عدل عن هذه الطريقه كان كمن قال الله فيه
افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وقال واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال فاما من خاف
مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وسياتي كيفية مجاهدة الجنود وتسليط
بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس المثال الثاني ان البدن كالمدينة والعقل اعني المدرك
من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده واعوانه واعضائه وكرعيته
والنفس الامارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته
فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه فهزمه وقهره على ما يحب حمد اثره
اذا عاد الى الحضرة كما قال تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع
ثغره واهمل رعيته ذم اثره فانتقم منه عند لقاء الله تعالى فيقال له يوم القيمة يا راعي السوء
اكلت اللحم وشربت اللبن ولم تؤو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه
المجاهدة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر المثال الثالث
مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا
وكلبه مودبا معلما كان جديرا بالنجح ومتى كان هو في نفسه اخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا
فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو خليق بان يعطب فضلا
من ان ينال ما طلب وانما خرق الفارس مثال جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس
مثال لغلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثال لغلبة الغضب واستيلائه

بيان خاصية قلب الانسان اعلم ان جملة ما ذكرناه قد انعم الله به على ساير الحيوانات
سوى الادمي اذ للحيوانات الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة ايضا حتى ان الشاة ترى
الذئب بعينها وتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك ادراك الباطن فلنذكر ما يختص قلب
الانسان ولاجله عظم شرفه واستاهل القرب من الله تعالى وهو راجع الى علم وارادة اما العلم

فهو العلم بالامور الدينية والاخروية والحقايق العقلية فان هذه امور وراء المحسوسات ولا يشارك
فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان بان الفرس الواحد
لا يتصور ان يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل فرس ومعلوم انه لم يدرك بالحس
الا بعض الافراس فحكمه على جميع الافراس زايد على ما ادركه الحس واذا فهمت هذا في هذا العلم
الظاهر الضروري فهو في ساير النظريات اظهر واما الارادة فهو انه اذا ادرك بالعقل عاقبة الامر
وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى وجه المصلحة والى تعاطي اسبابها وارادة لها وذلك
غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة
والعاقل يريدها ويطلبها ويبذل المال عليها والشهوة تميل الى لذايذ الاطعمة في المرض والعاقل يجد
في نفسه زاجرا عنها فليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل المعرف لعاقبة الامور ولم يخلق هذا
الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضايعا على التحقيق فاذن اختص
قلب الانسان بعلوم وارادات ينفك عنها ساير الحيوانات بل ينفك عنها الصبي في اول الفطرة وانما
تحدث ذلك فيه عند البلوغ واما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في
حال الصبي ثم للصبي في حصول هذه العلوم فيه درجتان احديهما ان يشتمل قلبه على جملة العلوم الضرورية
الاولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجايزات الظاهرة فيكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة
الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذي
لم يعرف من الكتابة الا الدوات والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها
بعد الثانية ان يحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر ويكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها
وحاله حال الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة لقدرته عليها وهذه هي نهاية
درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى ويتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها
وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها اذ يحصل لبعض القلوب بالهام الهي على سبيل
المناداة والمكاشفة ولبعضها بتعلم واكتساب ثم قد يكون سريع الحصول وقد يكون بطي الحصول
وفي هذا المقام يتباين منازل العلماء والحكماء والاولياء والانبياء ودرجات الرقي فيه غير محصورة
اذ معلومات الله تعالى لا نهاية لها واقصى الرتب فيها رتبة النبي الذي ينكشف له كل الحقايق او اكثرها
من غير اكتساب وتكلف بل بكشف الهي في اسرع وقت وبهذه السعادة تقرب العبد من الله تع قربا
بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة والجهة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السايرين

الي الله تعالي ولاحصر لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك المنزل الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما
خلفه من المنازل فاما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نومن
بالنبوة وبالنبي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة الا النبي وكما لا يعرف الجنين حال
الطفل ولا الطفل حال المميز وما انفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من
العلوم النظرية فلا يعرف عاقل ما انفتح على اوليايه وانبيايه من مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله تعالي غير مضنون به على احد لكن
انما يتعرض في القلوب المتعرضة لنفحات الله تعالي كما قال عليه الصلوة والسلم ان لربكم في ايام دهركم
نفحات الا فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته عن الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق
المذمومة كما سياتى والي هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول
هل من داع فاستجيب له وبقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن الرب لقد طال شوق الابرار الي لقاي
وانا الي لقايهم اشد شوقا وبقوله صلى الله عليه وسلم من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا كل ذلك اشارة
الى ان انوار العلوم لم يحتجب عن القلوب ببخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا
ولكن بخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالاواني فما دامت ممتلئة بالماء لا
يدخلها الهوا والقلوب المشغولة بغير الله لا يدخلها المعرفة بجلال الله واليه الاشارة بقوله صلعم
لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الي ملكوت السماء ومن هذه الجملة تبين
ان خاصية الانسان العلم والحكمة واشرف انواع العلم هو العلم بالله وصفاته وافعاله فبه كمال
الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الكمال والجمال والجلال فالبدن مركب النفس
والنفس محل العلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التي لاجلها خلق وكما ان الفرس شارك
الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة ويكون الفرس مخلوقا لاجل
ذلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الي حضيض رتبة الحمار فكذلك الانسان يشارك الفرس
والحمار في امور ويفارقه في امور هي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملايكة المقربين
من الله تعالى والانسان على رتبة بين البهايم والملايكة فان الانسان من حيث يتغذى ويتنسل
نبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار حيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة
على الحايط وانما خاصيته معرفة حقايق الاشياء فمن استعمل جميع اعضايه وقواه على وجه الاستعانة
بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملايكة فحقيق بان يلحق بهم وجدير بان يسمى ملكا وربانيا كما قال

الله تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن قصر همته الى اتباع اللذات البدنية تاكل كما ياكل الانعام فقد انحط
الى حضيض افق البهايم فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضرعا ككلب او حقودا كجمل او متكبرا
كنمر او ذا روغان كثعلب او يجمع ذلك كله كالشيطان المريد واما من عضو من الاعضاء ولا حس من الحواس
الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى كما سياتي طرف منه في كتاب الشكر فمن
استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة في ذلك ان يجعل لقاء الله
مقصده والدار الاخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والاعضاء خدمه فيستقر هو اعني المدرك
من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ
مجرى صاحب بريده اذ يجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة التي مسكنها موخر الدماغ
مجرى خازنه ويجري اللسان مجرى ترجمانه ويجري الاعضاء المتحركة مجرى كتابه ويجري الحواس الخمسة مجرى
جواسيسه فيوكل كل واحد باخبار صقع من الاصقاع يوكل العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات
والشم بعالم الروائح وكذلك سايرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويودونها
الى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد ويسلم صاحب البريد الى الخازن وهي الحافظة ويعرضها
الخازن على الملك فيقتبس منه ما يحتاج اليه في تدبير مملكته واتمام سفره الذي هو بصدده وقمع
عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا نعم الله
واذا عطل هذه الجملة او استعملها لكن في مراعاة اعدائه وهي الشهوة والغضب وساير الحظوظ
العاجلة او في عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الاخرة
كان مخذولا شقيا كافرا لنعمة الله مضيعا لجنود الله ناصرا لاعداء الله مخذلا لحزب الله فيستحق المقت
والابعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله منه والى المثال الذي ضربناه اشار كعب الاحبار قال دخلت
على عايشة رضي الله عنها فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه
بريدان والقلب ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب ان لله تعالى في ارضه آنية وهي القلوب واحبها
اليه ارقها واصفاها واصلبها ثم فسره فقال اصلبها في الدين واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان
وهو اشارة الى قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله عز وجل مثل نوره كمشكاة فيها مصباح
وقال ابي بن كعب معناه مثل نور المومن وقلبه وقوله او كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق وقال
زيد بن اسلم في اللوح المحفوظ هو قلب المومن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي

فهذه امثلة القلب **بيان مجامع اوصاف القلب ومثاله** اعلم ان الانسان قد اصطحب في تركيبه
وخلقته اربع شوائب فلذلك اجتمعت عليه انواع اربعة من الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمة
والشيطانية والربانية فهي من حيث يتسلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة
والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهائم
من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني كما قال الله تعالى قل الروح من امر
ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصيص والاستبداد بالامور كلها
والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي
لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل
والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من اوصاف الربوبية وفي الانسان
حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت
فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر
والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان ففيه شوب
من هذه الاصول الاربعة اعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب
وكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير
مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري او
الكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان
والعقر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى
الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير
ويسلط السبع ويغري احدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل
مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح
وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط
الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل
في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط
الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دايما في عبادة كلب او خنزير وهذا حال
اكثر الناس مهما كان اكثر همهم الفرج والبطن ومنافسة الاعداء والعجب منه انه ينكر على عبدة الاصنا

وعبادتهم للحجارة ولو كشف الغطا عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما تمثل للمكاشفين
اما في النوم او في اليقظة لراي نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراكعا اخرى ومنتظر الاشارته
وامره فمهما هاج الخنزير يطلب شيا من شهوته انبعث على الفور في خدمته واحضار شهوته
او راها ماثلا بين يدي كلب عقور عابدا له مطيعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا للفكر في حيل الوصول
الي طاعته وهو بذلك ساعي في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه
فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان لعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه
وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يري ان انصف نفسه الا ساعيا طول النهار في عبادة هولا وهذا
غاية الظلم اذ جعل الملك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق
للسيادة والقهر والاستيلا وقد سخره لخدمة هولا فلاجرم ينتشر الي قلبه من طاعة هولا الثلث تراكم
عليه حتى تصير طبعا ورينا مهلكا للقلب ومميتا له اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منه صفة الوقاحة
والخبث والتبذير والتقتير والريا والتهتك والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد
والشماتة وغيرها واما طاعة الغضب فينتشر منه الي القلب صفة التهور والبذالة والنذالة والبذخ
والصلف والاستشاطة والكبر والعجب والاستهزا والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة
الظلم وغيره واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منه صفة المكر والحيلة والخداع
والدها والجربزة والتلبيس والغش والتضريب والخب وامثاله ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت
سياسة الصفة الربانيه لاستقر في القلب من الصفات الربانيه العلم والحكمة والاحاطة بحقايق
الاشيا ومعرفة الامور على ما هي عليها والاستيلا على ذلك كله بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم
علي الخلق بكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة
ورده الي حد الاعتدال صفات شريفه مثل العفة والقناعة والهدو والزهد والورع والتقوى والانبساط
وحسن الهيئة والحيا والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها
وردها الي حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو
والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها والقلب في حكم مراة وقد اكتنفته هذه الامور
الموثرة فيه وهذه الاثار على التوالي واصلة الي القلب اما الاثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد
مراة القلب اشراقا ونورا وضيا حتى تتلالا فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب
في الدين والي مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من

قلبه وفي رواية اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا في قلبه وبقوله صلى الله عليه وسلم من كان له من قلبه واعظ
كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذى تستقر فيه الذكرى قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب
واما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد
اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال عز وجل ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون
فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم
الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين
ويستهين بالآخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها واذا قرع سمعه امر الآخرة وما فيها
من الاخطار دخل من اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك واولئك
الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما
نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران اذا اذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء فان
هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الرين وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
قلب المؤمن اجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر اسود منكوس فطاعة الله تعالى بمخالفة الشهوات مصقلة
القلب ومعصيته مسودات له فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة ومحا
اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم يمسح ويتنفس ثم يمسح فانها لا تخلو
من كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن
وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب اغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب
مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل
القرحة يمدها القيح والصديد فاي المدتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به وقد قال
تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر ان جلاء القلب
وابصاره يحصل بالذكر وانه لا يتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف
والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء الله

بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة

اعلم ان محل العلم هو القلب اعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع
الاعضاء وهي بالاضافة الى حقائق المعلومات كالمرآة بالاضافة الى صور المتلونات فكما ان للمتلون
صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها فكذلك لكل معلوم حقيقة وتلك الحقيقة صورتها

طبع في مرآة القلب وتتضح فيه، وكما ان المرآة غير وصور الاشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي
نه امور فكذلك ههنا ثلثة امور القلب وحقايق الاشيا، وحصول نقش الحقايق في القلب وحضوره
ه فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحل مثال حقايق الاشيا، والمعلوم عبارة عن حقايق الاشيا
العلم عبارة عن حصول المثال في المرآة كما ان القبض مثلا يستدعي قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف
وصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا فكذلك وصول مثال المعلوم الى القلب
يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلا لان العلم عبارة عن
صول الحقيقة الى القلب كما كان السيف موجودا واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا
لعدم وقوع السيف في اليد نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل
القلب فمن علم النار لم يحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابق لصورتها
فتمثيله بالمرآة اولى لان عين الانسان لا يحصل في المرآة وانما يحصل مثال المطابق له فكذلك حصول
مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علما وكما ان المرآة لا ينكشف فيها الصور لخمسة امور
احدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل ان يدور ويشكل ويصقل والثاني لخبثه وصداه وكدورته
وان كان تام الشكل والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المرآة
الرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى
يتعذر بسببه ان يحاذي به شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لان يتجلى فيه حقيقة
الحق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الاسباب الخمسة اولها
نقصان في ذاته كقلب الصبي فانه لا يتجلى له المعلومات لنقصانه والثاني لكدورة المعاصي والخبث
الذي تراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمنع ظهور الحق فيه
لظلمته وتراكمه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لم يعد اليه ابدا
اي حصل في قلبه كدورة لا يزول الى اثرها ابدا اذ غايته ان يتبعه بحسنة يمحوها فلو جاء بالحسنة
ولم يتقدم السيئة لازداد لا محالة اشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد
القلب بها الى ما كان قبل السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها الى ما كان قبل
السيئة ولم يزدد بها نورا وهذا خسران ونقصان لا حيلة له فليس المرآة التي تدنس ثم تمسح بالمصقلة
كالتي تمسح بالمصقلة للزيادة في جلائها من غير دنس سابق والاقبال على طاعة الله والاعراض عن
مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم

سبيلنا وقال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه علم ما لم يعلم الثالث ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة
المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وان كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس
يحاذي بمرآته الشطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية او بتهيئة اسباب
المعيشة ولا يصرف فكره الى التامل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية فلا ينكشف له الا
ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الاعمال وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها او مصالح المعيشة
ان كان متفكرا فيها واذا كان تقيدا لهم بالاعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انضاح جلية الحق فما
ظنك في صرف الهم الى شهوات الدنيا ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي والرابع الحجاب
فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد للفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه
باعتقاد سبق اليه منذ الصبي على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن يحول ذلك بينه وبين حقيقة
الحق ويمنع من ان ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا ايضا حجاب عظيم به حجب
اكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل اكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت السموات والارض لانهم
محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق
الخامس الجهل بالجهة التي منها يتبع العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه ان يحصل العلم
بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها في نفسه ترتيبا مخصوصا
يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فيتجلى حقيقة المطلوب
لقلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم فلا
يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم
ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى كما ان من اراد ان يستنتج رمكة لم يمكنه
ذلك من حمار وبعير وانسان بل من اصل مخصوص وهو الفرس الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج
مخصوص وكذلك كل علم فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم
المستفاد المطلوب والجهل بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرنا
من الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله ان يريد الانسان مثلا ان يرى قفاه في المرآة فانه
ان رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى به شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وان رفعها وراء
القفا وبازائه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج الى مرآة
اخرى ينصبها وراء القفا وهذه في مقابلتها بحيث يبصرها ويراعي مناسبة بين وضع المرآتين حتى

ينطبع صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا ثم ينطبع صورة هذه المرآة في المرآة الاخرى التي في مقابلة
العين ثم يدرك العين صورة القفا فكذلك في اقتباس العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات
اعجب مما ذكرناه في المرآة ويعز على بسيط الارض من يهتدي الى كيفية الحيلة في تلك الازورارات
فهذه هي الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقايق العلوم والا فكل قلب فهو بالفطرة صالح
لمعرفة الحقايق لانه امر رباني شريف فارق ساير جواهر العالم لهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة
بقوله عز وجل انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها
الانسان اشارة الى ان له خاصية تميز بها عن السموات والارض والجبال بها صار مطيقا لحمل امانة
الله تعالى وتلك الامانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحمل الامانة ومطيق لها في الاصل
ولكن يمنعها عن النهوض باعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التي ذكرناها ولذلك قال صلعم كل
مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون
على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السما اشارة الى بعض هذه الاسباب التي هي الحجاب بين القلب
وبين الملكوت واليه الاشارة بما روي ابن عمر قال قيل يا رسول الله اين الله في الارض قال في قلوب عباده
المومنين وفي الخبر قال الله تعالى لم يسعني ارضي وسمايي ووسعني قلب عبدي المومن اللين الورع وفي
الخبر انه قيل من خير الناس قال كل مومن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو التقي النقي
الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد وقال عمر رضي الله عنه راى قلبي ربي اذ كان قد رفع الحجاب
بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرضها كعرض
عرضها بعضها السموات والارض اما جملتها فاكثر سعة من السموات والارض لان السموات والارض عبارة عن
عالم الملك والشهادة وهو ان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناهي على الجملة واما عالم الملكوت
وهو الاسرار الغايبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصاير فلا نهاية له نعم الذي يلوح
للقلب منه مقدار متناهي ولكنه في نفسه وبالاضافة الى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت
اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس في
الوجود شي سوى الله وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند
قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار
ما تجلى له من الله تعالى وصفاته وافعاله وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته
وجلايه قد افلح من زكيها ومراد تزكيته حصول انوار الايمان فيه اعني اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله عز وجل

فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله عز وجل افمن شرح الله صدره للاسلام وبقوله عز وجل افمن
شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فهم هذا التجلي وهذا الايمان له ثلاث مراتب المرتبة الاولى
ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض الثانية ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال الثالثة ايمان
العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين ونبين لك هذه المراتب بمثال وهو ان تصديقك بكون زيد مثلا
في الدار له ثلث درجات الاولى ان يخبرك به من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته بالقول
فان قلبك تسكن اليه وتطمئن به بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم
كما بلغوا سن التميز سمعوا من آبائهم وامهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته وساير صفاته وبعثة
الرسل وصدقهم في ما جاؤا به وكما سمعوه تلقوه وثبتوا عليه واطمانوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه
لحسن ظنهم بآبائهم وامهاتهم او معلمهم وهذا الايمان سبب النجاة في الآخرة واهله من اوايل رتب اصحاب
اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطاء ممكن فيما
يسمع من الآحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقاد وقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمئنة بما يسمعون
من آبائهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطاء لانه القي اليهم الخطاء والمسلمون اعتقدوا الحق لا
لاطلاعهم عليه ولكن القي اليهم كلمة الحق الرتبة الثانية ان تسمع كلام زيد وصوته من الدار ولكن من
وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار اقوى من
تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل لك انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الصوت
يدل على الشكل والصورة عند من سمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فقلبه يحكم بان هذا صوت
ذلك الشخص فهذا ايمان ممزوج بدليل والخطاء ايضا ممكن ان يتطرق اليه اذ الصوت قد يشبه
الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة الا ان ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة
موضعا ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضا الثالث ان تدخل الدار فتنظر اليه بعينك
وتشاهده فهذا هو المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهو تشبيه معرفة المقربين والصديقين
لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية يستحيل معها
امكان الخطاء نعم وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف اما الدرجات فمثاله
ان يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت اشراق الشمس فيكمل به ادراكه والآخر يدركه
في بيت او من بعد او في وقت عشية فيتمثل له من صورته ما يستيقن معه انه هو ولكن لا يتمثل في
نفسه الدقايق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت الامور الالهية واما مقادير العلوم

فهو ان يرا في الدار زيدا وعمرا وبكرا وغير ذلك واخر لا يري الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة
فهذه حال القلب بالاضافة الي العلوم بيان حال القلب بالاضافة الي اقسام العلوم العقلية
والدينية والدنيوية والاخروية اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول حقايق المعلومات كما سبق
ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الي عقلية وشرعية فالعقلية تنقسم الي ضرورية ومكتسبة فالمكتسبة
تنقسم الي دنيوية واخروية اما العقلية فنعني بها ما تقضي بها غريزة العقل ولا يوخذ بالتقليد والسماع
وهو ينقسم الي ضرورية لا يدري من اين حصل وكيف حصل كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون في
مكانين والشي الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه علوم يجد الانسان نفسه
منذ الصبي مفطورا عليها ولا يدري متى حصل له ومن اين حصل له اعني انه لا يدري فيه سببا مرتبا والا
فليس يخفى ان الله تعالي هو الذي خلقه والي مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين
قد يسمى عقلا قال علي رضي الله عنه العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوع كما لا
ينفع الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله خلقا اكرم عليه من
العقل والثاني هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اذا تقرب الناس الى الله بانواع البر
فتقرب انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل
علي يقدر علي التقرب باستعمال العقل في اقتباس العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين
والقلب جاري مجري العين وغريزة العقل فيه جار مجرى قوة البصر في العين وقوة الابصار لطيفة
تفقد بالعمى وتوجد في البصير وان كان قد غمض العين او جن عليه الليل والعلم الحاصل فيه جار
مجري ادراك البصر ورويته لاعيان الاشيا وتاخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبي الي اوان
التميز او البلوغ يضاهي تاخر الروية عن البصر الى اوان اشراق الشمس وفيضان نوره علي المبصرات والعلم
الذي به يسطر الله العلوم علي صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم في قلب
الصبي قبل التميز لان لوح قلبه لم يتهيا بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلايق الله
جعله سببا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال الله تعالي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم
الله لا يشبه قلم خلقه كما ان وصفه لا يشبه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب كما انه ليس ذاته
من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصيرة الظاهرة صحيحة في هذه الوجوه الا انه
لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المذكورة وهي
كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين

الي الآخر وللموازنة بصيرة الباطن البصر الظاهر سماه الله تعالي باسمه فقال ما كذب الفواد ما رآى سمّي
ادراك الفواد روية وكذلك قوله نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وما اراد به
الروية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابرهيم عليه السلم حتي يذكر في معرض الامتنان ولذلك سمي ضد
ادراكه عمي فقال فانها لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور وقال ومن كان في هذه
اعمي فهو في الآخرة اعمي واضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلي اما العلوم الدينية فهي الماخوذة
بطريق التقليد من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله وسنة رسوله
وفهم معانيه بعد السماع وبه كمال صفة القلب وبه سلامته عن الدواء والامراض فالعلوم العقليه
غير كافيه في سلامة القلب وان كان محتاجا اليها كما ان العقل غير كاف في استدامة اسباب صحة
البدن بل يحتاج الي معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا
يهدي اليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل فلا غني بالعقل عن السمع ولا بالسمع عن
العقل والداعي الي محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن انوار
القرآن والسنة مغرور فاياك ان تكون من الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقليه
كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يتضرر بالغذاء مهما فاته الدواء فكذلك
امراض القلب لا يمكن علاجها الا بادوية مستفادة من الشريعة وهي وظايف العبادات والاعمال
التي ركبها الانبياء صلي الله عليه وسلم لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات
العبادات الشرعية واكتفا بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن
ان العلوم العقلية مناقضة مدافعة للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمي
في عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القايل ربما تناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض
فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض في الدين فيتحير فيه وينسل من الدين انسلال الشعرة من
العجين وانما ذلك عجز في نفسه خيل اليه نقصا في الدين وهيهات وانما ذلك مثال الاعمي الذي
دخل دارا فتعثر بالاواني في الدار فقال ما بال هذه الاواني تركت علي الطريق ولم ترد الي مواضعها
فقيل له تلك الاواني في مواضعها وانما انت لست تهتدي الي الطريق لعماك فالعجب منك انك لا
تحيل عثرتك علي عماك وانما تحيلها علي تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الي العقليه والعلوم
العقليه تنقسم الي دنيوية واخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وساير
الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله وصفاته وافعاله

كما فصلناه في كتاب العلم فهما علمان متنافيان اعني من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت
بصيرته عن الآخر على الاكثر ولذلك ضرب علي رضي الله عنه للدنيا والآخرة ثلثة امثلة فقال هما ككفتي الميزان
وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احديهما اسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس في امور
الدنيا وفي علم الطب والهندسة والحساب والفلسفة جهالا في امور الآخرة والاكياس في دقائق
علوم الآخرة جهالا في الاكثر بعلوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي بالامرين جميعا في الغالب فيكون
احدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله في امور الدنيا وقال
الحسن ادركنا اقواما لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو ادركوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت امرا غريبا
من امور الدين جحده اهل الكياسة في سائر العلوم فلا ينفرنك ولا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ من المحال
ان يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب فكذلك يجري امر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى
ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها الآية وقال عز وجل يعلمون ظاهرا من
الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال عز وجل فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة
الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر
الا لمن رشحه الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون
من القوة الالهية التي تتسع لجميع الامور ولا تضيق عنها اما قلوب سائر الخلق فانها اذا اشتغلت بامر
انصرفت عن الآخر وقصرت عن الاستكمال فيه **بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق
بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار** اعلم ان العلوم التي ليست
ضرورية وانما تحصل في القلب في بعض الاحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب
كانه القي فيه من حيث لا يدري وتارة يكتسب بطريق الاستدلال والتعلم والذي يحصل لا بطريق
الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع
في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد انه كيف حصل له ومن اين
حصل والى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي
في القلب والاول يسمى الهاما ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا وتختص به الانبياء والاول
يختص به الاولياء والاصفياء والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء
وحقيقة القول فيه ان القلب مستعد لان تتجلى فيه حقيقة الحق في الاشياء كلها وانما حيل
بينه وبينها بالاسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين

اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله تعالى به الى القيمة وتجلي حقايق العلوم من مرآة اللوح
في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال
باليد واخرى يزول بهبوب ريح تحركه وكذلك قد تهب رياح الالطاف وتكشف الحجب عن اعين القلوب
فيتجلى فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيظهر به ما سيكون
في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت وبه ينكشف الغطاء وفي اليقظة ايضا قد ينقشع
الحجاب بلطف خفي من الله عز وجل فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب شي من غرايب العلم تارة
كالبرق الخاطف واخرى على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب
في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه في جهة زوال الحجاب وان ذلك ليس باختيار
العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شي من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلوم
انما تحصل في قلوبنا بواسطة الملايكة واليه الاشارة بقوله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب او يرسل رسولا فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل اهل التصوف الى العلوم الالهامية
دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن
الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة بمحو الصفات المذمومة وقطع العلايق
كلها والاقبال بكلية الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل
بتنويره بانوار العلم واذا تولى الله تعالى امر القلب فاضت الرحمة واشرق النور في القلب وانشرح
الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلالا فيه
حقايق الامور الالهية وليس على المريد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة
الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة اذ الانبيا
والاوليا انكشف لهم الامور وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة للكتب بل بالزهد
في الدنيا والتبري عن علايقها وتفريغ القلب من شواغلها والاقبال بكلية الهمة على الله عز
وجل فمن كان لله كان الله له وزعموا ان الطريق في ذلك اولا ان يقطع علايق الدنيا بالكلية ويفرغ
قلبه عنها ويقطع همته عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى
حالة يستوي فيها وجود الكل وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرايض والرواتب
ويجلس فارغ الهم مجموع القلب ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتامل في تفسير ولا بكتبة حديث ولا غيره
بل يجتهد ان لا يخطر بباله شي سوى ذكر الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قايلا بلسانه

الله الله علي الدوام مع حضور القلب الي ان ينتهي الي حالة يترك تحريك اللسان ويري كان الكلمة جارية
علي اللسان ثم يصبر عليه الي ان يمحي اثره عن اللسان فيصادف قلبه مواظبا علي الذكر ثم يواظب الي ان
يمحي عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهياة الكلمة ويبقي معني الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كانه
لازم له لا يفارقه وله اختيار الي ان ينتهي الي هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس
وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمة فلا يبقي الا الانتظار
لما يفتح الله من رحمة فتحها علي الانبياء والاولياء بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته
وحسنت مواظبته ولم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلايق الدنيا فتلمع لوامع الحق
في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتاخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون
مختطفا وان ثبت فقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر امثاله علي التلاحق وقد يقتصر علي فن
واحد ومنازل اولياء الله فيه لا تحصي كما لا يحصي تفاوت خلقهم واخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الي
تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط واما النظار وذووا الاعتبار فلم ينكروا
وجود هذا الطريق وامكانه وافضاءه الي المقصد علي الندور فانه اكثر احوال الانبياء والاولياء ولكن
استوعروا هذا الطريق واستبطاوا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا ان محو العلايق الي ذلك
الحد كالمتعذر وان حصل في حالة فثباته ابعد منه اذ ادني وسواس وخاطر يشوش القلب قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم قلب المومن اشد تقلبا من القدر في غليانه وقال قلب المومن بين اصبعين
من اصابع الرحمن وفي اثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن واذا
لم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقايق العلوم تشبثت بالقلب خيالات فاسدة تطمين
النفس اليها مدة طويلة الي ان تزول والعمر ينقضي دون النجاح فيه فكم من صوفي سلك هذا الطريق
ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال
في الحال فالاشتغال بطريق التعلم اوثق واقرب الي الغرض وزعموا ان ذلك يضاهي ما لو ترك
الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي صلي الله عليه وسلم لم يتعلم ولكن صار فقيها بالوحي والالهام
من غير تكرار وتعليق فانا ايضا ربما انتهي بالرياضة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع
عمره بل هو كمن ترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور علي كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه
بعيد جدا فكذلك هذا فقالوا لا بد اولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا باس بعد ذلك
بالانتظار بما لم ينكشف لساير العلماء فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك بيان الفرق بين

المقامين بمثال محسوس اعلم ان عجايب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان القلب ايضا
خارج عن ادراك الحس وما ليس مدركا بالحواس يضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس ونحن
نقرب ذلك الى افهام الضعفاء بمثالين احدهما انا لو فرضنا حوضا محفورا في الارض احتمل ان يساق
الماء اليها من فوقه بانهار تفتح فيه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب
من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من اسفل الحوض ويكون ذلك الماء اصفى وادوم وقد يكون
اغزر واكثر فكذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء والحواس الخمسة مثل الانهار ويمكن ان يساق
العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلا علم ويمكن ان يسد عنه
هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه
حتى ينفجر ينبوع العلم من داخله فان قلت فكيف ينفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه حتى
ينفجر ينبوع العلم من داخله فاعلم ان هذا من عجايب اسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة
والقدر الذي يمكن ذكره ان حقايق الاشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين
فكما ان المهندس يبسط صورة ابنية الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك
فاطر السموات والارض كتب نسخة العالم من اوله الى آخره في اللوح المحفوظ ثم اخرجه الى الوجود على
وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج الى الوجود بصورته يتادى منه صورة اخرى الى الحواس والخيال
فان من ينظر الى السماء والارض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والارض في خياله حتى كانه ينظر
اليهما ولو انعدمت السماء والارض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والارض في نفسه كانه يشاهدها
وينظر اليها ثم يتادى في خياله اثر الى القلب فيحصل فيه حقايق الاشياء التي دخلت في الحس
والخيال والحاصل في القلب موافق العالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق
للعالم الموجود في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح
المحفوظ فكان للعالم اربع درجات في الوجود وجود في اللوح وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه
وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي اعني وجود صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي
اعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الموجودات روحانية وبعضها جسمانية وبعضها اشد
روحانية من بعض وهذا لطف من الحكمة الالهية اذا جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث ينطبع فيها
صورة العالم والسموات والارض على اتساع اكنافها ثم يسري من وجودها في الحس وجود في الخيال
ثم منه وجود في القلب فانك ابدا لا تدرك الا ما هو واصل اليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك

لما كان لك خبر مما بان ذاتك فسبحان من دبر هذه العجايب في القلوب والابصار ثم اعمى عن دركها القلوب
والابصار حتى صار قلب اكثر الخلق جاهلا بالقلب وبعجايبه فلنرجع الى المقصود فنقول للقلب يتصور
ان يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما ان العين يتصور
ان يحصل فيه صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي
صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ راى الاشيا فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى
عن الاقتباس من مداخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الارض ومهما اقبل على الخيالات
الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له من مطالعة اللوح المحفوظ كما ان الماء اذا اجتمع من الانهار
في الحوض منع ذلك عن التفجر من الارض وكما ان من نظر الى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون
ناظرا الى نفس الشمس فاذا للقلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملايكة
وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسك بعالم الشهادة والملك وعالم الشهادة والملك ايضا يحاكي
عالم الملكوت نوعا من المحاكات فاما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك
واما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فنعلمه علما يقينا بالتامل في
عجايب الرويا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل او كان في الماضي من غير
اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم سبق
المفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر اوزارهم فوردوا القيمة خفافا ثم
قال في وصفهم اقبل عليهم بوجهي اترى من واجهته بوجهي يعلم احد اي شي اريد ان اعطيه ثم قال
اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم ومدخل هذه الاخبار هو
الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الاوليا والانبيا وبين علوم الحكما والعلما هذا وهو ان
علومهم ياتي من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت وعلم الحكما ياتي من ابواب الحواس
المفتوحة الى عالم الملك وعجايب عالم القلب وتردده بين عالم الشهادة والغيب لا يمكن ان
تستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العلمين المثال الثاني يعرفك الفرق
بين العملين اعني عمل العلما وعمل الاوليا فان العلما يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها
الى القلب واوليا الصوفية يعملون في جلاء القلب وتطهيره وتصفيته فقط وقد حكي ان اهل
الصين واهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر راي
الملك على ان يسلم اليهم صفة لينقش اهل الصين منها جانبا واهل الروم جانبا ويرخى بينهم حجابا

يمنع اطلاع كل فريق على الآخر منفصل ذلك وجمع اهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا يحصر ودخل اهل
الصين من غير صبغ وهم اشتغلوا بجلاء جانبهم وبصقله فلما فرغ اهل الروم ادعا اهل الصين انهم
ايضا قد فرغوا فتعجب الملك من قولهم وانهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ نقيل وكيف فرغتم
من غير صبغ فقالوا ما عليك منا ارفعوا الحجاب فرفعوا فاذا جانبهم وقد تلالا فيه عجائب الصنائع
الرومية مع زيادة اشراق وتزين اذا كان قد صار كالمرآة المجلية لكثرة التصقيل فازداد حسن
جانبهم بمزية الصفا فكذلك عناية الاوليا بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلالا فيه
جلية الحق بنهاية الاشراق كفعل اهل الصين وعناية العلما والحكما باكتساب نقش العلوم وتحصيل
نقشها في القلوب وكيف ما كان الامر فقلب المومن لا يموت وعلمه عند الموت لا ينمحي وصفاه لا يتكدر
واليه اشار الحسن بقوله التراب لا ياكل محل الايمان ويكون وسيلته المقربة له الى الله تعالى وما حصله
من نقش العلم او ما حصله من الصفا والاستعداد لقبول نقش العلم ولا سعادة لاحد الا بالعلم
والمعرفة وبعض السعادات اشرف من بعض كما انه لا غنى الا بالمال فصاحب الدرهم غني وصاحب
الخزائن المترعة غني ويتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما يتفاوت
درجات الاغنيا بحسب قلة المال وكثرته والمعارف انوار ولا يسعى المومنون الى لقاء الله الا بانوارهم
قال الله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وقد ورد في الخبران بعضهم يعطى نورا مثل الجبل
وبعضهم يعطى اصغر حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نورا على ابهام قدمه فيضي مرة ويطفى اخرى فاذا
اضاء قدم قدمه فمشى واذا طفى قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم
من يمر كالبرق ومنهم كالسحاب ومنهم كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي اعطى
نورا على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق اخرى ويجر رجلا ويعلق اخرى
ويصيب جوانبه النار قال ولا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس في
الايمان ولو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين سوى النبيين والصديقين لرجح ايمان ابي بكر
وهذا ايضا هي قول القائل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح فايمان احاد العوام
نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وايمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وايمان
الانبيا كنور الشمس وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع اقطاره ولا ينكشف
في نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك يتفاوت السراج بالمعارف وانكشاف سعة
الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء في الخبران يقال يوم القيمة اخرجوا من النار من في قلبه

مثقال من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات
الايمان وان هذه المقادير من الايمان لا يمنع دخول النار وفي مفهومه ان من ايمانه يزيد على
مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه اولا فان من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود
في النار وان دخلها ولذلك قوله صلى الله عليه وسلم ليس شيء خيرا من الف مثله الا الايمان
ان المؤمن اشارة الى تفضيل قلب العارف والموقن فانه خير من الف الف من عوام الناس
وقد قال عز وجل وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين تفضيلا للمؤمنين على المسلمين والمراد به
المؤمن العارف دون المقلد وقال عز وجل يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
فاراد ها هنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين اوتوا العلم ويدل ذلك على ان
اسم المؤمن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس رضي الله عنه
قوله الذين اوتوا العلم درجات قال يرفع العلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة بين كل درجتين
كما بين السماء والارض وقال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب وقال فضل
العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي وفي رواية كفضل القمر على سائر الكواكب
فبهذه الشواهد يتضح بتفاوت درجات اهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا
كان يوم القيمة يوم التغابن اذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران والمحروم يرى فوق درجته
درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم الى الغني الذي يملك
الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما اعظم الفرق بينهما وما اعظم الغبن
على من يخسر حظه منه وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا بيان شواهد الشرع على صحة طريق
اهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعليم ولا من الطريق المعتاد اعلم ان من انكشف له ولو الشيء اليسير بطريق الالهام
والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط
فينبغي ان يؤمن به وان درجة المعرفة فيه عزيز جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب
والحكايات اما الشواهد فقوله عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر
في القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعليم فهو بطريق الكشف والالهام قال النبي صلى الله عليه
وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن يتق الله يجعل
له مخرجا قيل يجعل له مخرجا من الاشكالات والشبه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه من غير تعليم ويعطيه
من غير تجربة وقال عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين

الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك اكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه سؤال النور
فقال اللهم اعطني نورا وزدني نورا واجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا حتى قال في شعري وبشري
ولحمي ودمي وسئل صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من
ربه ما هذا الشرح قال هو التوسعة ان النور اذا قذف في القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وقال علي
رضي الله عنه ما عندنا شيء اسره الينا النبي صلى الله عليه وسلم الا ان يؤتي الله عبدا فهما في كتابه
وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله عز وجل يؤتي الحكمة من يشاء انه الفهم في كتاب الله
عز وجل وقال عز وجل ففهمناها سليمان خص ما انكشف له باسم الفهم وكان ابو الدرداء
يقول المؤمن ينظر من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على السنتهم وقال
بعض السلف ظن المؤمن كهانة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر
بنور الله واليه يشير قوله عز وجل ان في ذلك لآيات للمتوسمين وقوله قد بينا الآيات لقوم يوقنون
وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك
هو النافع وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو فقال هو سر من سر الله يقذفه في قلوب
احبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من امتي محدثين
ومكلمين وان عمر منهم وقال ابن عباس وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث
يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل
لا من جهة المحسوسات الخارجة والقران مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم
من غير تعلم قال الله تعالى وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون خصصها بهم
وقال هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان ابو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي
يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظ صار جاهلا انما العالم الذي يأخذ علمه من ربه اي وقت
شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني والى مثله الاشارة بقوله وآتيناه رحمة من
عندنا وعلمناه من لدنا علما مع ان كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك
علما لدنيا بل العلم اللدني هو الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مالوف من خارج فهذه شواهد
النقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الآيات والاخبار والآثار لخرج عن الحصر واما مشاهدة ذلك
بالتجارب فذلك ايضا خارج عن الحصر وظهر ذلك عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم قال ابو بكر الصديق

لمايته انهما اشتاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة انها بنت وقال
عمر رضي الله عنه في اثناء خطبته يا سارية الجبل اذ انكشف له ان العدو قد اشرف عليه فحذره فعرفه
ذلك ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات العظيمة وعن انس بن مالك قال دخلت علي عثمان بن عفان رضي
وكنت لقيت امراة في الطريق فنظرت اليها نظرا شديدا وتاملت محاسنها فلما دخلت عليه قال لي
يدخل علي احدكم واثار الزنا ظاهرة في عينيه اما علمت ان زنا العين النظر لتتوبن او لاعزرنك فقلت له
اوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ولكن بتصرة وبرهانا وفراسة صادقة وعن ابي سعيد الخراز قال
دخلت المسجد الحرام فرايت فقيرا عليه خرقتان فقلت في سري هذا واشباهه كل علي الناس فناداني وقال
واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فاستغفرت الله في سري فناداني وقال وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده ثم غاب عني ولم اره وقال زكريا بن ذكوية دخل ابو العباس بن مسروق علي ابي الفضل الهاشمي
وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب قال فلما قمت قلت في نفسي من اين ياكل هذا الرجل
قال فصاح بي يا ابا العباس رد هذه الهمة الدنية فان لله تعالى الطافا خفية وعن احمد النقيب قال
دخلت علي الشبلي فقال ضعفونا يا احمد فقلت ما الخبر قال كنت جالسا فجرى بخاطري انك بخيل فقلت
ما انا بخيل فعاودني خاطري وقال بلي انك بخيل فقلت ما فتح الله اليوم علي بشيء الا دفعته الي اول
فقير يلقاني قال فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب ليونس الخادم ومعه خمسون دينارا فقال
اجعلها في مصالحك قال فاخذتها وقمت فخرجت واذا انا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق
راسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال اعطها المزين فقلت انها دنانير فقال اوليس قلنا لك
انك بخيل قال فناولتها المزين فقال المزين عقدنا لما جلس هذا الفقير بين يدينا ان لا ناخذ عليه
اجرا فرميت الدنانير في دجلة فقلت ما اعزك احد الا اذله الله وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت علي
ابي الخير التيناتي فاعتقدت في نفسي ان اسلم عليه ولا اكل في داره طعاما فلما خرجت من عنده
فاذا به ينادي خلفي وقد حمل طبقا عليه طعام فقال يا فتى كل هذا فقد خرجت من الدار الساعة
من اعتقادك وكان ابو الخير مشهورا بالكرامات وقال ابراهيم الرقي قصدته مسلما فصلى صلوة المغرب
فلم يقرا فاتحة الكتاب مستويا فقلت في نفسي ضاعت سفرتي فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدني
السبع فعدت اليه فقلت ان الاسد قصدني فخرج وصاح علي الاسد وقال الم اقل لك لا تتعرض لضيفاني
فتنحى الاسد وتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم
القلب فخافنا الاسد وما حكي من تفرس المشايخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمايرهم يخرج

عن الحصر بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات
خارج عن الحصر والحكاية لا ينفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن انكر الاصل انكر التفصيل والدليل
القاطع الذي لا يقدر احد على جحده امران احدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب واذا جاز
ذلك في النوم فلا يستحيل ايضا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها
بالمحسوسات وكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الغيب وامور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن واذا جاز ذلك للنبي جاز لغيره اذ النبي عبارة
عن شخص كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل ان يكون في الوجود شخص يكاشف
بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن آمن بالانبياء وصدق
بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة ان يقر بان للقلب بابين باب الى الخارج وهو الحواس وباب الى الملكوت
من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث في الروع والوحي واذا اقر بهما جميعا لم يمكنه ان يحصر العلوم
في التعلم ومباشرة الاسباب المالوفة بل يجوز ان يكون المجاهدة سبيلا اليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما
ذكرناه من عجائب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت واما السبب في انكشاف الامور في
المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك تمثل الملائكة بصور مختلفة للانبياء والاولياء فذلك ايضا من
اسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على
المجاهدة وطلب الكشف منها وقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسالني ان املي عليه شيئا من
ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل يتقرب به
الى الله تعالى فقلت الستما تكتبان الفرائض قالا بلى قلت فيكفيكما ذلك وهو اشارة الى ان الكرام الكاتبين
لا يطلعون على اسرار القلب وانما يطلعون على الاعمال الظاهرة وقال بعض العارفين سالت بعض الابدال
عن مسئلة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما
تقول رحمك الله ثم اطرق الى صدره فقال ما تقول رحمك الله ثم اجاب باغرب جواب سمعته فسالته عن
التفاته فقال لم يكن في المسئلة عندي جواب سمعته فسالته عن التفاته فقال لم يكن في المسئلة
عندي جواب علم عتيد فسالت صاحب الشمال فقال لا ادري فسالت صاحب اليمين وهو اعلم منه فقال
لا ادري فنظرت الى قلبي فسالته فحدثني بما اجبتك واذا هو اعلم منهما وكان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم
ان في امتي محدثين وان عمر منهم وفي الآثار ان الله تعالى يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرايت الغالب
عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال ابو سليمان الداراني القلب

بمنزلة القبة المضروبة حولها ابواب مغلقة فاي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من ابواب القلب
الى جهة الملكوت والملا الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك
كتب عمر رضي الله عنه الى امراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانه تنجلي لهم امور صادقة
وقال بعض العلماء يد الله على افواه الحكماء لا ينطقون الا بما هياه الله لهم من الحق وقال آخر لو شئت
لقلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره بيان تسليط الشيطان على القلب
بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها اعلم ان القلب كما ذكرناه في مثال قبة لها ابواب
ينصب اليها الاحوال من كل باب ومثاله ايضا مثال هدف ينصب اليه السهام من الجوانب او هو مثل
مرآة منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا يخلو عنها او مثال
حوض ينصب اليه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في
كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق
المركبة في مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيا حصل منها اثر في القلب وكذلك اذا هاجت
الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل او بقوة في المزاج حصل منها في القلب اثر وان كف عن الاحساس
والخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شي الى شي وبحسب انتقال الخيال ينتقل
القلب من حال الى حال والمقصود ان القلب في التغير والتاثر دائما من هذه الاسباب واخص الآثار
الحاصلة في القلب هي الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض عنه من الافكار والاذكار واعني به ادراكاته
علوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر من بعد ان كان
القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور
المنوي بالبال لا محالة فمبدا الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والنية
تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو
الى الخير اعني الى ما ينفع في الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى
الهاما والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة وكل
حادث لا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث دل على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله
تعالى في ترتب المسببات على الاسباب فمهما استنار حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه
واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة كذلك لانوار القلب وظلماته سببان
مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا

واللطف الذي به تهيا القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذي به تهيا لقبول وسواس
الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفة فالملك عبارة عن خلق
خلقه الله عز وجل شانه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف وقد خلقه وسخره
لذلك والشيطان عبارة عن خلق شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند
الهم في الخير بالفقر فالوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في
مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله عز وجل ومن كل شي خلقنا زوجين فان الموجودات كلها
متقابلة مزدوجة الا الله تعالى فانه لا يقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها والقلب
متجاذب بين الشيطان والملك فقد قال صلى الله عليه وسلم في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق
بالحق ولمة من العدو ايعاد بالشر والتكذيب بالحق ونهي عن الخير وقال الحسن انما هما همان
يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله امضاه
وما كان من عدوه جاهده ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن والله سبحانه يتعالى عن ان يكون له اصبع مركب من لحم
وعظم ودم منقسم بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير
فانك لا تريد اصبعك لشخصه بل لفعله في التقليب في الترديد وكما انك تتعاطى الافعال
باصابعك فالله تعالى انما يفعل بفعله باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران لقدرته في
تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح
لقبول آثار الملائكة ولقبول آثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يترجح احدهما على الاخر وانما
يترجح احد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات او الاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع
الانسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسليط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش
الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها
على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم على نفسه ولما كان
لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك من صفات البشرية المنبعثة
عن الهوى لاجرم لم يخل قلبك ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله تعالى اعانني عليه
فاسلم على يدي فلا يامر الا بالخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فمن

اعانه الله علي شهوته حتي صار لا ينبسط الاحيث ينبغي والي الحد الذي ينبغي لشهوته لا يدعوا الي الشر
فالشيطان المتدرع بها لا يامر الا بالخير ومهما غلب علي القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوي
وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الي ذكر الله ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل
الملك والهم والتطارد بين جندي الملايكه والشياطين في معركة القلب دايمة الي ان ينفتح القلب
لاحدهما فيستمكن ويستوطن ويكون اختيار الثاني اختيان واكثر القلوب قد فتحها جنود الشياطين
وملكوها فامتلات بالوسواس الداعية الي ايثار العاجلة واطراح الآخرة ومبدا استيلايها اتباع
الهوي ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوي والشهوات
وعمارته بذكر الله تعالي الذي هو مطرح اثر الملايكه قال جرير بن عبيد العروبي شكوت الي العلاء بن زياد
ما اجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه
شي عالجوه والا مضوا وتركوه يعني ان القلب الخالي عن الهوي لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله عز وجل
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فكل من اتبع الهوي فهو عبد الهوي لا عبد الله فلذلك تسلط عليه
الشيطان فقال تعالي ارايت من اتخذ الهه هواه اشارة الي ان الهوي آلهه ومعبوده فهو عبد الشيطان
لا عبد الله وقال عثمان بن العاص يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراتي فقال
ذلك شيطان يقال له خنزب اذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلثا قال ففعلت
ذلك فاذهبه الله عني وفي الخبر ان للوضو شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا
يمحوا وسوسة الشيطان عن القلب الا ذكر شي ما سوي ما يوسوس به لانه اذا حضر في القلب ذكر
انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن كل شي سوي الله وسوي ما يتعلق به فيجوز ان يكون ايضا مجال
الشيطان فذكر الله هو الذي يومن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشي الا
بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله والاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معني قولك
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الذي الغالب
عليهم ذكر الله وانما الشيطان يطوف بقلبهم في اوقات الفلتات علي سبيل الخلسة قال
عز وجل ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد
في معني قوله من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط علي قلب الانسان فاذا ذكر الله خنس
وانقبض واذا غفل انبسط علي قلبه فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد
بين النور والظلمة وبين الليل والنهار ولتطاردهما قال عز وجل استحوذ عليهم الشيطان فانساهم

ذكر الله وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس
وان نسي الله التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان
بيده وجهه وقال بابي وجه لا يفلح وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان
ايضا سارية في لحمه ودمه ومحيط بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ليجري من ابن آدم
مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات
ولاجل اكتناف الشهوات للقلوب من جوانبها قال عز وجل اخبارا عن ابليس لاقعدن لهم صراطك
المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم وقال رسول الله صلعم
ان الشيطان قعد لابن آدم في طرقه فقعد له بطريق الاسلام وقال اتسلم وتذر دينك ودين آبائك
فعصاه واسلم ثم قعد له في طريق الهجرة فقال اتهاجر وتدع ارضك وسماك فعصاه فهاجر ثم قعد
له بطريق الجهاد وقال اتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل وتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك
فعصاه فجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة
فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهو هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وتنكح
نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذن الوسواس معلوم بالمشاهدة
وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه آدمي وانما
يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال عليه السلم ما من احد الا وله شيطان فقد اتضح بهذا
النوع من الاستبصار معنى الوسوسة فالالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد
هذا نظر من نظر في ذات الشيطان وانه جسم لطيف او ليس بجسم وان كان جسما فكيف يدخل بدن
الانسان ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا المثال
من دخلت في ثوبه حية وهو محتاج الى دفع ضررها واشتغل بالبحث عن لونها وطولها وعرضها
وذلك عين الجهل فمصادفة الخواطر الباعثة على الشرور قد علم ودل ذلك على انه عن سبب لا محالة
وعلم ان الداعي الى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف العدو فينبغي ان يشتغل بمجاهدته
وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة في كتابه ليؤمن به ويحترز منه فقال ان الشيطان لكم
عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال الم اعهد اليكم يا بني آدم الا تعبدوا
الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن
اصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي ان يسال عن سلاحه ليدفعه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات

وذلك كاف للعاملين فاما معرفة صفة ذاته وحقيقة الملايكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين
في علوم المكاشفات ولا يحتاج في المعاملة الي معرفته نعم ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الي ما يعلم
قطعا انه داع الي الشر فلا يخفى كونه وسوسة والي ما يعلم انه داع الي الخير فلا يشك في كونه الهاما
والي ما يتردد فيه فلا يدري انه من لمة الملك او لمة الشيطان فان كان من مكايد الشيطان ان
يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر
علي دعايهم الي الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الي الخلق
وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا علي النار اما لك رحمة علي عباد الله تنقذهم من
المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر
نعمته وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة خلق الله الي الصراط المستقيم ولا يزال
يستجره بلطايف الحيل الي ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الي ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين
اللفظ واظهار الحق ويقول ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلبهم ولم يهتدوا الي الحق
فلا يزال يقرر ذلك وهو في اثنايه يؤكد فيه شوايب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز وكثرة
العلم والنظر الي الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الي الهلاك فيتكلم وهو يظن
ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن انه عند الله بمكان وهو
عند الله ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله
يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روي ان ابليس تمثل لعيسى عليه السلم فقال قل لا اله
الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك لان له تحت الخير ايضا تلبيسات وتلبيسات الشيطان
من هذا الجنس لا يتناهى وبه يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف
الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون انفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من
مكايد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع ولعلنا ان امهل الزمان صنفنا فيه كتابا على
الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد في المذاهب والاعمال
حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق علي العبد
ان يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن النظر فيه بعين البصيرة
لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى وغزارة العلم كما قال الله عز وجل ان الذين اتقوا
اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا اي رجعوا الي نور العلم فاذا هم مبصرون اي ينكشف لهم

الاشكال فامّا من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى
ويكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
قيل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات واغماض انواع علوم المعاملة الوقوف على خدع
النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا بعلوم
يستجر لهم الوسواس ويسلط عليهم الشيطان وينسيهم عداوته وطرق الاحتراز منه ولا ينجي
من كثرة الوسواس الا سد ابواب الخواطر وابوابها الحواس الخمس وابوابها من داخل الشهوات
وعلايق الدنيا والخلوة في بيت مظلم يسد باب الحواس والتجرد عن المال والاهل يقلل مداخل
الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنه من المتخيلات الجارية في القلب وذلك
لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى
فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها الا الموت اذ لا يتخلص احد عن الشيطان ما دام
حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن
الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه فانه ما دام حيا فابواب الشياطين مفتوحة
الى قلبه لا تنغلق وهو الشهوة والغضب والحدة والطمع والشره وغيرها كما سياتي شرحها
ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة وقال رجل للحسن
يا ابا سعيد اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا راحة فلا خلاص للمومن عنه نعم له سبيل
الى دفعه وتضعيف قوته كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المومن ينضي شيطانه كما ينضي
احدكم بعيره في السفر وقال ابن مسعود شيطان المومن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي
شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الآن مثل العصفور قلت ولم ذاك قال تذيبني
بكتاب الله واهل التقوى لا يتعذر عليهم سد ابواب الشياطين وحفظها بالحراسة اعني الابواب
الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة
فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها كما اشرنا اليه في كتاب غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان
الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملايكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب
الواحد بهذه الكثيرة والعبد فيه مثال المسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك
في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا
هو القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله ومن سنة

رسوله فيهما يهتدي الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة وغامضة قال عبد الله بن مسعود خط لنا علم
يوما خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله فقال هذه سبل على
كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم
الخطوط فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي
يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا للطريق
الواضح الذي لا يخفى الا ان يضطر الآدمي الى سلوكه وذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال كان راهب في بني اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها والقى في قلوب اهلها ان دواها عند
الراهب فاتي بها الراهب فابا ان يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها
فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربتها فلم يزل به حتى وقع عليها فحملت منه فوسوس
فقال الآن تفتضح ياتيك اهلها فاقتلها فان اتوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان
اهلها فوسوس اليهم والقى في قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسالوه فقال
ماتت فاخذوه فاتاه الشيطان فقال انا الذي اخذتها وانا الذي القيت في قلوب اهلها
فاطعني تنج واسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فهو الذي قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان
اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك فانظر الآن الى حيله واضطراره الراهب الى
هذه الكباير وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو امر هين وربما يظن صاحبه انه
خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الامر بعد
ذلك عن احتياله ويجره البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوايل الامور
واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه بيان تفصيل
مداخل الشيطان الى القلب اعلم ان القلب مثاله مثل حصن والشيطان عدو يريد
ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه لا يقدر على حفظ الحصن عن العدو الا بحراسة ابواب
الحصن ومداخله ومواقع ثلمته ولا يقدر على حراسة ابوابه من لا يعرف ابوابه وحماية القلب على فساد
الشيطان واجب وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو ايضا
واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصار معرفة مداخل الشيطان واجبا
ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية
مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان فمن ابوابه العظيمة الحسد والحرص فمهما

كان العبد حريصا على شيء اعماه حرصه واصمه اذ قال عليه السلم حب الشيء يعمي ويصم ونور البصيرة
هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا اعطاه الحرص او الحسد لم يبصر فوجد الشيطان مدخله يحسن
عند الحريص كلما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفاحشا فقد روي ان نوحا عليه السلم لما رك
البحر وحمل في السفينه من كل زوجين اثنين كما امر فرأى في السفينه شيخا لم يعرفه فقال
له نوح ما ادخلك قال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فيكون قلوبهم معي وابدانهم معك قال نوح
اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال ابليس خمس اهلك بهن الناس وساحدثك منهن
بثلاث ولا احدثك بالثنتين فاوحى الله تعالى الى نوح انه لا حاجة بك الى الثلث مره فليحدثك
بالثنتين فقال ما الثنتان فقال هما اللتان لا يكذباني وهما اللتان لا يخلفاني بهما اهلك
الناس الحسد والحرص بالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما والحرص فانه ابيح لادم الجنه
كلها فاصبت حاجتي منه بالحرص ومن ابوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب عدو
العقل واذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب به الشيطان كما يلعب
الصبي بالكرة فقد روي ان ابليس لقي موسى عليه السلم فقال يا موسى انت الذي اصطفاك الله
برسالته وكلمك تكليما وانا من خلق الله لاني اذنبت وانا اريد ان اتوب فاشفع لي الى ربي ان
يتوب علي قال موسى نعم فدعا موسى ربه عز وجل فقال يا موسى قد قضيت حاجتك مره ليسجد
لقبر آدم فلقي موسى ابليس وقال امرت ان تسجد لقبر آدم علم ليتاب عليك فاستكبر وغضب وقال
انا لم اسجد له حيا اسجد له ميتا قال ابليس يا موسى ان لك علي حقا لما شفعت لي الى ربك
فاذكرني عند ثلث لا اهلكك فيهن اذكرني عند الغضب فان روحي في قلبك وعيني في
عينك واجري منك مجرى الدم واذكرني حين يلقى الزحف فاني اتى ابن آدم حين تلقى الزحف
فاذكره ولده وزوجته واهله حتى تولي واياك ان تجالس امراة ليست بذات محرم لك فاني رسولها
اليك ورسولك اليها فقد اشير في هذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف
حرص على الدنيا وامتناعه عن سجوده لادم ميتا هو الحسد وهو من اعظم مداخله وقال بعض
الانبياء لابليس باي شيء تغلب ابن آدم قال اخذه عند الغضب وعند الهوى وظهر ابليس لراهب
فقال له اي اخلاق بني آدم اعون لك قال الحسد ان العبد اذا كان حسودا قلبناه كما يلعب
الصبيان بالكرة وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جئت حتى اكون
في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه ومن ابوابه حب التزين في الثياب والاثاث

والدار فان الشيطان اذا رأى ذلك غالبا على قلب انسان باض فيه الشيطان وفرخ فلا يزال
يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع ابنيتها ويدعوه الى التزين في الثياب
والدواب ويستحسن فيها طول عمره واذا اوقعه فيها فقد استغنى عن معاودته فان بعض ذلك
يجذبه الى بعض فلا يزال يؤديه من شئ الى شئ الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو في سبيل الشيطان
واتباع الهوى ومن ذلك يخشى سوء العاقبة بالكفر نعوذ بالله منه ومن ابوابه العظيمة الشبع من
الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات والشهوات اسلحته روي ان
ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شئ فقال له يحيى يا ابليس ما
هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي اصيب بهن بني آدم فقال فهل لي فيها شئ فقال
ربما شبعت فثقلناك عن الصلوة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال يحيى لله علي ان لا املا
بطني من طعام ابدا فقال ابليس فلله علي ان لا انصح مسلما ابدا ومن ابوابه العظيمة الطمع
في الناس فاذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحسن التصنع والتزين لمن طمع
فيه بانواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كانه معبود فلا يزال يتفكر في حيلة التودد
والتحبب اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك واقل احواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة
معه بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد روي صفوان بن سليم ان ابليس لعنه الله
تمثل لعبد الله بن حنظلة وقال يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا اعلمك قال لا حاجة لي به قال
انظر فان كان خيرا قبلت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسئل احدا غير الله سؤال
رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت ومن ابوابه العظيمة العجلة وترك التثبت في الامور
قال صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان والتاني من الله وقال تعالى خلق الانسان من عجل
وقال عز وجل وكان الانسان عجولا وقال تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه
وهذا لان الاعمال ينبغي ان يكون بعد البصيرة والمعرفة والبصيرة تحتاج الى تامل ومهلة والعجلة
تمنع من ذلك فعند الاستعجال يروج الشيطان شره من حيث لا يدري روي انه لما ولد عيسى عم
اتت الشياطين ابليس فقالت اصبحت الاصنام قد نكست رؤسها قال هذا حادث قد حدث
مكانكم فطار حتى جاء خافقي الارض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى قد ولد واذا الملائكة قد حفت حوله
فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا بحضرتها الا هذا
فايسوا ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة ومن ابوابه

العظيمة الدراهم والدنانير وساير اصناف الاموال من العروض والدواب والعقار وكلما زيد
علي قدر القوت والحاجة فهي مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب ولو وجد
مايه دينار مثلا علي طريق انبعث من قلبه عشر شهوات يحتاج كل واحدة الي مايه دينار
فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج الي تسع مائة اخري وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن حين
مائة وظن انه صار غنيا به وقد صار محتاجا الي تسع مائة فيشتري دارا ويعمرها ويشتري
جارية ويشتري اثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا
آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم ولا آخر لها سواه. قال ثابت
لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو
فانطلقوا ثم جاؤا وقالوا ما ندري قال ابليس انا آتيكم بالخبر فذهب وجاء وقال قد بعث
محمد صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الي اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون
خايبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الي صلاتهم فيمحي ذلك
فقال ابليس رويدا بهم عسي الله ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم وروي ان
عيسي عليه السلم توسد حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسي رغبت في الدنيا فاخذه من تحت
راسه ورماه به وقال هذا لك مع الدنيا وعلي الحقيقة من يملك حجرا التوسد عند النوم
فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون عدة للشيطان عليه فان القايم بالليل مثلا للصلوة
مهما كان بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسدها لا يزال تدعوا الي النوم وان يتوسدها ولو لم يكن
ذلك لكان يخطر له ذلك ولا يتحرك رغبته في النوم هذا في حجر فكيف لمن ملك المخاد
الوثيرة والفرش الوطية والمتنزهات الطيبة فمتي ينشط للعبادة لله تعالي ومن ابوابه
البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعوا الي الادخار
والكنز والعذاب الاليم وهو الموعد للكافرين كما نطق به القرآن قال خيثمة بن عبد الرحمن
ان الشيطان يقول ما غلبني عليه ابن آدم فلن يغلبني علي ثلث ان آمره ان ياخذ المال من
غير حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه وقال سفين ليس للشيطان سلاح مثل
خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه اخذ في الباطل ومنع في الحق وتكلم بالهوي وظن بربه
ظن السوء ومن آفات البخل الحرص علي ملازمة الاسواق لجمع الاموال والاسواق هي معشش
الشيطان روي عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان ابليس لما انزل الي الارض

قال اي رب انزلتني الي الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال فاجعل لي محبا
قال الاسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما قال ما لا يذكر اسم الله عليه قال اجعل
لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال المزامير قال اجعل لي قرانا قال الشعر قال اجعل
لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايدا قال النساء ومن
ابوابها العظيمة التعصب للمذاهب والهوي والحقد علي الخصوم والنظر اليهم بعين الازدرا ٦
والاستخفاف وذلك مما يهلك الفساق والعباد جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال
بذكر نقصانهم صفة مجبولة في طبع الانسان من الصفات السبعية فاذا خيل الشيطان اليه
ان ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته علي قلبه فاشتغل به بكل همته وهو
بذلك فرحان مسرور يظن انه يسعي في الدين وهو ساع في اتباع الشيطان تري الواحد منهم يتعصب
لابي بكر رضي وهو اكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لانواع الفساد ولو
رآه ابابكر لكان هو اول عدو له اذ من والي ابابكر من اخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما اجنه
وكان من سيرته ان يضع حجرا في فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فاين لهذا الفضولي
ان يدعي ولاه وحبه وتري فضوليا آخر يتعصب لعلي عليه السلم وكان من زهد علي وسيرته
انه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلثة دراهم وقطع راس الكمين الي الرسغ فتري الفاسق لابسا
ثياب الحرير ومتجملا باموال كسبها من الحرام وهو يتعاطي حب علي رضي ويدعي وهو اول خصمائه
يوم القيمة وليت شعري من اخذ ولدا عزيزا الانسان هو قرة عينه وحياة قلبه فاخذ يضربه
ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب ابيه وولاه كيف يكون حاله
عنده ومعلوم ان الدين والشرع كان احب الي ابي بكر وعلي وساير الصحابة من الاهل والولد
بل من نفوسهم والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات
ويتوددون به الي ابليس عدو الله وعدو اوليايه فتري كيف يكون حالهم يوم القيمة عند الصحابة
وعند اولياء الله لا بل لو كشف الغطاء وعرفهاء ولاء محبه الصحابة في امة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاستحيوا من ان يجروا علي اللسان ذكرهم مع قبح افعالهم ثم الشيطان يخيل اليهم ان من مات
محبا لابي بكر وعمر فالنار لا يحوم حوله ويخيل الاخر انه اذا مات محبا لعلي لم يكن عليه خوف
وهذا رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لولده فاطمه وهي بضعة منه اعملي فاني لا اغني عنك من
الله شيا وهذا مثال اوردناه من جملة الاهواء وهكذي حكم المتعصبين للشافعي وابي حنيفة

واحمد ومالك وغيرهم من الايمة وكل من ادعى مذهب امام وليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه
اذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل
الهذيان فما بالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مسلكي ومذهبي الذي سلكته وذهبت فيه
الى الله ثم ادعيت مذهبي كاذبا فهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد اهلك به اكثر العالم وقد
سلمت المنابر لاقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدين نصرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد
على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك في
صدورهم ولم ينبهوهم على مكيدة الشيطان فيه بل تاتوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس
عليه ونسوا مهمات دينهم فقد هلكوا واهلكوا والله تعالى يتوب علينا وعليهم قال الحسن
بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار فسولت
لهم ذنوبا لا يستغفرون الله عز وجل منها وهي الاهواء وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان
ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون عنها ومن عظيم حيل الشيطان ان
يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات
قال عبد الله بن مسعود قعد قوم يذكرون الله عز وجل فاتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم
فيفرق بينهم فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون
وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله تعالى واشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم
وذلك مراد الشيطان ومن ابوابه حمل العوام والذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر
في ذات الله وصفاته وفي امور لا يبلغها حد عقلهم حتى يشككهم بذلك في اصل الدين او يخيل
اليهم في الله تعالى خيالا يتعالى الله عنه فيصير به كافرا ومبتدعا وهو به فرح مسرور متبجح بما
وقع في صدره يظن ان ذلك هو المعرفة والبصيرة وانه يكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله
واشد الناس حماقة اقواهم اعتقادا في عقل نفسه واثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما
لنفسه وظنه واحرصهم على السؤال من العلماء قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلعم
ان الشيطان ياتي احدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول له فمن خلق الله
تعالى فاذا وجد احدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسله فان ذلك يذهب عنه فالنبي صلى الله عليه
وسلم لم يامر في علاج هذا الوسواس بالبحث فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء
وانما حق العوام ان يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا لعباداتهم وبمعايشهم ويتركوا العلم الى العلماء

والعامي لو زني وسرق لكان خيرا له من ان يتكلم في العلم فان من تكلم من غير اتقان العلم في
الله وفي دينه وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد
الشيطان فيما يتعلق بالعقايد والمذاهب لا تحصر وانما قصدنا بما اوردناه المثال ومن ابوابه
سو الظن بالمسلمين ولذلك قال الله عز وجل اجتنبوا كثيرا من الظن ومن حكم بشر على غيره بالظن
بعثه الشيطان على ان يطول فيه باللسان بالغيبة فيهلك او يقصر في القيام بحقوقه او يتوانى
في اكرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل
ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم حتى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم احترز منه روي عن علي ابن حسين ان صفية بنت حيي اخبرته ان النبي صلعم
كان معتكفا قالت فاتيته فتحدثت عنده فلما امسيت انصرفت فقام يمشي معي فلقيه رجلان
من الانصار فسلما ثم مضيا فدعاهما فقال انها صفية بنت حيي قالا يا رسول الله نظن بك
الا خيرا قال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت ان يدخل عليكما فانظر
كيف اشفق على دينهما فحرسهما وكيف اشفق على امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا
يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في احواله فيقول مثلي لا يظن بي الا الخير اعجابا منه
بنفسه فان اورع الناس واتقاهم واعلمهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا
بعضهم وبعين السخط بعضهم وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا
فيجب الاحتراز عن ظن السيئة وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا
الشر فمهما رايت انسانا يسي الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن
وان ذلك خبثه يترشح منه وانما راى غيره من حيث هو فان المومن يطلب المعاذير والمنافق
يطلب العيوب والمومن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان
الى القلب ولو اردت استقصا جميعه لم اقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس
في الادمي صفة مذمومة الا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله فان قلت فما العلاج
في دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله تعالى وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله فاعلم ان علاج
ذلك سد هذه المداخل وتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك يطول ذكره
وغرضنا في هذا الربع من هذا الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات ويحتاج كل
صفة الى كتاب منفرد على ما سياتي شرحه ان شا الله تعالى نعم اذا قلعت من القلب اصول هذه

الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا يتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب ولا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال عز وجل ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون خصص ذلك بالمتقين ومثل الشيطان مثل الكلب الجائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك لحم وخبز فانه ينزجر بان تقول له اخسا فمجرد الصوت يدفعه وان كان بين يديك لحم وهو جائع يهجم على اللحم ولم يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدايه فيستقر الشيطان في سويدا القلب واما قلوب المتقين الخالية من الهوا والصفات المذمومة يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله فاستعذ بالله وساير الآيات والاخبار الواردة في الذكر وقال ابو هريرة التقى شيطان المومن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر سمين دهين كاس واذا شيطان المومن مهزول اشعث عار فقال شيطان الكافر لشيطان المومن مالك قال انا مع رجل اذا اكل سمى فاظل جايعا واذا شرب سمى فاظل عطشانا واذا ادهن سمى فاظل شعثا واذا لبس سمى فاظل عريانا فقال شيطان الكافر ولكني مع رجل لا يفعل شيا مما ذكرت فانا اشاركه في طعامه وشرابه ولباسه وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا لنا بصيرا بعيوبنا مطلعا على عوراتنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراه اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وابعد بيننا وبينه كما ابعدت بينه وبين جنتك انك على كل شي قدير فتمثل له ابليس يوما في طريق المسجد فقال يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن انت قال اللعين قال له وما تريد قال اريد ان لا تعلم احدا هذه الاستعاذة قال والله لا امنعها ممن ارادها فاصنع الآن ما شيت وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان شيطان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرا ويتعوذ فلا يذهب فاتاه جبريل فقال قل اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ذرا في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها ومن فتن الليل

والنهار وطوارق الليل الا طارق يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفيت شمعته وخر على وجهه
وقال الحسن بعث ان جبرئيل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا
اويت الى فراشك فاقرا آية الكرسي وقال صلى الله عليه وسلم لقد اتاني شيطان ونازعني ثم
نازعني فاخذت بحلقه فو الذي بعثني بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا
دعوة سليمان عليه السلم لاصبح طريحا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما سلك عمر فجا الا سلك
الشيطان فجا غير فجه وهذا لان هذه القلوب مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات
فمهما طمعت في ان يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر رضي الله عنه كان محالا
وكنت كمن تطمع ان تشرب دوا قبل الاحتما والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة وتطمع ان ينفعه
الدوا كما نفع الذي شربه بعد الاحتما وتخلية المعدة فالذكر دوا والتقوى احتما على القلوب
من الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما يندفع العلة بنزول
الدوا في معدة خالية عن الاطعمة قال عز وجل ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال تعالى
كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن يساعد الشيطان بعمله فهو موليه
وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم
ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة
وتامل ان منتهى ذكرك وعبادتك صلواتك فراقب قلبك اذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان
الى الاسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها
حتى انك لا تتذكر ما نسيته من فضول الدنيا الا في صلاتك فلا يزدحم الشيطان على قلبك الا
اذا صليت والصلاة محك القلوب فيها يظهر مساويها ومحاسنها فالصلوة لا تقبل من القلوب
المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا يطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما ان
الدوا قبل الاحتما ربما يزيد عليك الضرر فان شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتما
بالتقوى ثم اردفه بدوا الذكر وقد فر الشيطان منك كما كان يفر من عمر رضي الله عنه ولذلك قال وهب
بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر اي انت مطيع له وقال
بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه
فكما ان الله تعالى قال ادعوني استجب لكم وانت تدعوه ولا يستجيب لك فلذلك تذكر الله ولا يهرب
الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعا قيل لابرهيم بن ادهم ما بالنا ندعوا فلا يستجاب لنا

وقد قال عز وجل ادعوني استجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذي اماتها قال ثمان خصال عرفتم حق الله فلم تقوموا بحقه وقراتم القرآن فلم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله وتركتم سنته وقلتم نخشى الموت فلم تستعدوا له وقال الله تعالى ان الشيطان لكم عدو مبين فواطيتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار فارهقتم ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وقدمتم عيوب الناس امامكم فاسخطتم ربكم وكيف يستجيب لكم فان قلت فالداعي الى المعاصي المختلفة شيطان واحد او شياطين مختلفة فاعلم انه لا حاجة بك الى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسل عن صفته كل البقل ولا تسل عن المبقلة ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار وشواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعوا اليها فاما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان واما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من امره فذكر ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فهو صاحب المصائب الذي يامر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما الاعور فانه صاحب الدنيا يامر بها ويزينها واما مسوط فهو صاحب الكذب واما داسم فيدخل مع الرجل الى اهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون متظلمين وشيطان الصلوة يسمى خنزب وشيطان الوضوء الولهان وقد وردت في ذلك اخبار كثيرة وكما ان الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملايكة وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملايكة واختصاص كل واحد بعمل ينفرد به وقد قال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمومن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك البصر سبعة املاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرايتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يديه فاغر فاه وما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال ابو يونس بن يزيد بلغنا انه يولد مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم ينشوا معهم وقال جابر بن عبد الله ان آدم عليه السلم لما اهبط قال يا رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة الا تعينني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال رب زدني قال اجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما اريد قال رب زدني قال

باب التوبة مفتوح مادام في الجسد الروح فقال ابليس رب هذا العبد الذي كرمته علي لا اعصيني
عليه لا قوي عليه قال لا يولد له ولد الا ويولد لك ولد قال رب زدني قال تجري منهم مجري الدم وتحذن
صدورهم بيوتا قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك الي قوله غرورا وعن ابي الدردا
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم خلق الله الجن ثلثة اصناف صنف حيات وعقارب
وحشاش الارض وصنف كالريح في الهوي وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله
عز وجل الانس ثلثة اصناف صنف كالبهايم قال الله عز وجل لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين
لا يبصرون بها الاية وصنف اجسادهم اجساد بني آدم وارواحهم ارواح الشياطين وصنف في
ظل الله يوم القيمة يوم لا ظل الا ظله وقال وهب بن الورد بلغنا ان ابليس تمثل ليحيي بن
زكريا وقال له انصحك قال لا اريد ولكن اخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلاثة اصناف اما صنف
منهم فهم اشد الاصناف علينا نقبل عليه حتي نفتنه ونستمكن منه ثم يفزع الي الاستغفار
والتوبة فيفسد علينا كل شي ادركنا منه ثم نعود اليه فيعود فلا نحن نايس منه ولا نحن ندرك منه
حاجتنا فنحن منه في عنا، واما الصنف الاخر فهم في ايدينا بمنزلة الكرة في ايدي صبيانكم
نتلقفهم كيف شئنا وركبوا انفسهم واما الصنف الاخر فهم مثلك معصومين لا نقدر منهم علي
شي فان قلت كيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض واذا اري في صورة فهل
صورته بالحقيقة او مثال له يتمثل به وان كان صورته بالحقيقة فكيف يري بصور مختلفة وكيف
يري في وقت واحد في مكانين وعلي صورتين حتي يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم
ان الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما ولا يدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة
الا بانوار النبوة فما رأي رسول الله صلي الله عليه وسلم جبرئيل عم في صورته الا مرتين وذلك انه
صلي الله عليه وسلم ساله ان يريه نفسه علي صورته فواعده ذلك بحرا فطلع له جبرئيل فسد الافق
الي المغرب وراه مرة اخري علي صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهي وانما كان يراه في صورة
الآدمي غالبا وكان يراه في صورة دحية الكلبي وكان رجلا حسن الوجه والاكثر انه
كان يكاشف اهل المكاشفة من ارباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة
فيراه بعينه ويسمع كلامه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لاكثر الصالحين
وانما المكاشف في اليقظة هو الذي انتهي الي رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة
في اليقظة التي تكون في النوم فيري في اليقظة ما يراه غيره في النوم كما روي عمر بن عبد العزيز

ان رجلا سال ربه عز وجل ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فراي في النوم جسد رجل شبه
البلور يري داخله من خارجه وراي الشيطان في صورة ضفدع قاعد علي منكبه الايسر بين
منكبه واذنه له خرطوم طويل دقيق قد ادخله من منكبه الي قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله خنس
ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظه وقد راه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم علي
جيفه يدعو الناس اليها وكانت الجيفه مثال الدنيا وهذا يجري مجري مشاهدة صورته
الحقيقيه فان القلب لابد وان يظهر فيه حقيقته من الوجه الذي يقابل الملكوت عند ذلك
تشرق اثره علي وجهه الذي يقابل عالم الملكوت والشهادة لان احدهما متصل بالاخر
وقد بينا ان القلب له وجهان وجه الي عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحي ووجه الي
عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لايكون الا صورة متخيله
لان عالم الشهادة كلها متخيلات لان الخيال تارة يحصل من النظر الي ظاهر عالم الشهادة
بالحس فيجوز ان لايكون الصورة علي وفق المعني حتي يري شخص جميل الصورة وهو خبيث الباطن
قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس اما الصورة التي تحصل في الخيال من اشراق عالم
الملكوت علي باطن سر القلب فلاتكون الا محاكيا للصفة وموافقا لان الصورة في عالم الملكوت
تابع للصفة فلاجرم لايري المعني القبيح الا بصورة قبيحة فيري الشيطان في صورة كلب وضفدع
وخنزير وغيره ويري الملك في صورة جميلة فيكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكاها
بالصدق وكذلك يدل القرد والخنزير في النوم علي انسان خبيث ويدل الشاة علي انسان
سليم الجانب وهكذا جميع ابواب التعبير وهذه اسرار عجيبة وهي من عجائب علم القلب لايليق
ذكرها بعلم المعاملة وانما المقصود ان تصدق بان الشيطان ينكشف لارباب القلوب
وكذا الملك تارة بطريق التمثل والمحاكاة كما في النوم وتارة بطريق الحقيقه والاكثر هو
بتعرف التمثل بصورة محاكية للمعني هو مثال المعني لاعين المعني الا انه يشاهد بالعين مشاهدة
محققة وانفرد بمشاهدة المكاشف دون من حواليه كالنايم بيان ما يواخذ به
العبد من وساوس القلب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفي عنه ولا يواخذ به اعلم ان
هذا امر غامض وقد وردت فيه آيات واخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها الا علي
سماسرة العلماء فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عفي لامتي ما حدثت به
نفوسها وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قال اذا هم عبدي بسيئة فلا

تكتبوه عليه فان عملها فاكتبوها سيئة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها
فاكتبوها عشرا وقد اخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب
وهمه بالسيئة وفي لفظ آخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها
كتبت له سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له وان عملها كتبت له وفي لفظ
آخر واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو
واما ما يدل على المواخذة فقوله سبحانه وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الاية
وقال عز وجل ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه
مسئولا فدل على ان عمل الفواد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقال ولا تكتموا الشهادة
ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يواخذكم بما كسبت
قلوبكم والحق في هذه المسئلة عندنا لا يوقف عليه ما لم يقع الاحاطة بتفصيل اعمال
القلوب من مبدا ظهورها الى ان يظهر العمل على الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب
الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امراة وانها وراءه في الطريق لو التفت اليها لرآها والثاني
هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطباع وهذا يتولد من الخاطر الاول
ونسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان ينظر
اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم يندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء
او خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون لتامل وهو على كل حال حكم من جهة
العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر فالميل الرابع تصميم العزم على الالتفات
وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذه الهمة قد يكون لها مبدا ضعيف
ولكن اذا اصغى القلب الى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته للنفس تاكدت هذه الهمة وصارت
ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا
يعمل به ولا يلتفت اليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فههنا اربعة احوال للقلب قبل العمل
بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول اما الخاطر الاول
فلا يواخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما لا يدخلان
ايضا تحت الاختيار وهما المرادان بقوله عليه السلم عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها فحديث
النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعه عزم على الفعل فاما العزم والهم لا

لا يسمى حديث نفس بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن مظعون حيث قال يا رسول الله نفسي
تحدثني ان اطلق خولة قال مهلا فان من سنتي النكاح قال تحدثني نفسي ان اجب نفسي قال
مهلا خصاء امتي دؤوب الصيام قال نفسي تحدثني ان اترهب بنفسي قال مهلا رهبانية امتي
الجهاد والحج قال نفسي تحدثني ان اترك اللحم قال مهلا فاني احبه ولو اصبته لاكلته ولو
سألت الله لاطعمني فهذه الخواطر التي ليس معها عزم علي الفعل هي حديث النفس ولذلك
شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل واما الثالث وهو الاعتقاد
وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا تردد بين ان يكون اضطرارا او اختيارا والاحوال
تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به واما الرابع وهو الهم بالفعل
فانه يؤاخذ به الا انه ان لم يعمل نظر فان تركها خوفا من الله وندما علي همه كتبت له حسنة لان
همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم علي وفق الطبع لا يدل علي تمام الغفلة
عن الله والامتناع بالمجاهدة علي خلاف الطبع يحتاج الي قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع
وهو العمل لله اشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتبت له حسنة لانه رجح
جهده في الامتناع وهمه به علي همه بالفعل وان تعوق الفعل بعائق او تركه لعذر لا خوفا
من الله كتبت له سيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل علي هذا التفصيل ما
ورد في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك
عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها
له حسنة انما تركها من جرائي وحيث قال لم يعملها اراد به تركها لله فاما اذا عزم علي فاحشة وتعذر
عليها بسبب او بغفلة فكيف يكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم انما يحشر الناس علي
نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا علي ان يصبح ويقتل مسلما او يزني بامرأة فمات تلك الليلة
مات مصرا ويحشر علي نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن النبي صلعم
انه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل
فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وهذا نص في انه صار من اهل النار بمجرد الارادة
مع انه قتل مظلوما فكيف تظن ان الله لا يؤاخذ بالنية والهم بل كل ما دخل تحت اختيار العبد
فهو مأخوذ به الي ان يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت حسنة فاما فوات المراد
بعائق فليس بحسنة واما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار

فالمواخذه به تكليف لما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله تعالى الفرج بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس فكل من يظن ان كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلثه فلا بد وان يغلط وكيف لا يؤاخذ باعمال القلوب والكبر والعجب والريا والنفاق والحسد وجملة الخبايث من اعمال القلوب بل السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا اي ما يدخل تحت الاختيار ولو وقع البصر بغير اختيار على غير محرم لم يؤاخذ به فان اتبعها نظرة ثانية كان مواخذا بها لانه مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب اولى بمواخذة لانه الاصل قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال عليه السلم الاثم حواز القلوب وقال البر ما اطمان اليه القلب وان افتوك وافتوك حتى انا نقول اذا حكم قلب المفتي بايجاب شيء وكان مخطيا صار مثابا على فعله بل من ظن انه متطهر فعليه ان يصلي فان صلى ثم تذكر كان له ثواب بفعله فان ترك ثم تذكر كان معاقبا ومن وجد على فراشه امراة وظن انها زوجته لم يعص بوطيها وان كانت اجنبيه وان ظن انها اجنبيه عصى بوطيها وان كانت امراته كل ذلك نظرا الى القلب دون الجوارح

بيان ان الوسواس هل يتصور ان ينقطع بالكلية عند الذكر ام لا

اعلم ان العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجايبها اختلفوا في هذه المسلة على خمس فرق فقالت فرقة ان الوسوسة تنقطع بذكر الله تعالى لانه صلعم قال فاذا ذكر الله خنس والخنوس هو السكوت فكانه يسكت وقالت فرقة لا تنعدم اصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له اثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر محجوب عن التاثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يتكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه وقالت فرقة لا يسقط الوسوسة ولا اثره ايضا لكن يسقط غلبته للقلب فكانه يوسوس من بعد على ضعف وقالت فرقة تنعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتعاقبان في ازمنة متقاربة تظن لتقاربهما انها متساوية وهو كالكرة التي عليها نقط متفرقة فانه اذا ادرت بسرعة رايت النقط دواير لسرعة تواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بان الخنوس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر فلا وجه له الا هذا وقالت فرقة ان الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام لا ينقطع وكما ان الانسان قد يرى في حالة واحدة بعينه شيئين فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين وقد قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا وله اربعة اعين عينان في راسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه
يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا في هذا ان كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها
قاصرة عن الاحاطة باصناف الوسوسة وانما يطلع كل واحد الى صنف واحد من الوسواس واخبر عنه والوسواس
اصناف الاول ان يكون من جهة التلبيس بالحق فان الشيطان قد يلبس الحق فيقول للانسان لا تترك التنعم
باللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر المه عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق
الله وعظيم ثوابه وعقابه وقال الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما
فاذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع ان يقول
ليس النار اشد من الصبر عن المعاصي ولا ينكر ان المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله تعالى
يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب في عمله ويقول اي عبد يعرف الله تعالى
كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله فيتذكر العبد ان معرفته وقدرته وقلبه واعضاءه
التي بها علمه وعمله كل ذلك من خلق الله فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه ان يقول ليس هذا
من الله لان المعرفة والايمان تدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين بنور الايمان
والمعرفة **الصنف الثاني** ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهييجها وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد
يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في التحريك
ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فيكون الوسوسة
موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة **الصنف الثالث** ان يكون وسواسه بمجرد الخواطر وتذكير الاحوال
الغائبة والتفكر في غير الصلاة مثلا فاذا اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب
الذكر والوسوسة ويتصور ان يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر
كانهما في موضعين من القلب وبعيد جدا ان يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكن ليس محالا
قال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين ليس يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا
انه متصور لما ذكره الا انه لا يتصور ذلك الا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا نرى المستوعب
القلب بعدو يؤذيه قد يتفكر مقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر له غيره وكذا المستغرق
بالحب يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه فيغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه
غيره لم يسمع ولو اجتاز واحد بين يديه كان كانه لا يراه واذا تصور هذا من خوف عدو وعند الحرص على
الجاه والمال فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله واليوم

الآخر واذا تأملت جملة هذه الاقسام واصناف الوسواس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل
مخصوص وبالجملة فالخلاص عن الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص عنه عمرا بعيد وهو
محال في الوجود ولو تخلص احد من وسواس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد روي انه نظر الى علم ثوبه في الصلوة فلما سلم رمى ذلك الثوب وقال شغلني عن الصلوة وكان في يده
خاتم من ذهب فنظر اليه على المنبر فرماه وقال نظرة اليه ونظرة اليكم وكان ذلك لوسوسة الشيطان
بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وطراز الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فكذلك لبسه ثم رماه فلا ينقطع
وسوسة عروض الدنيا ونقدها الا بالترك والمفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا فلا
يخليه الشيطان في صلوته عن الفكر في ديناره وانه كيف يحفظه وفيماذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم
به احد او كيف يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك من الوساوس فمن انشب مخالبه في الدنيا وطمع في ان يتخلص من
الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن ان الذباب لا يقع عليه وهو محال فالدنيا باب عظيم لوسواس الشيطان
وليس له باب واحد بل ابواب قال حكيم من الحكماء الشيطان ياتي ابن آدم من قبل المعاصي فان امتنع اتاه من
وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان ابى شككه
في وضوئه وصلوته حتى يخرجه عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلوبهم
اليهم ويعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده تشتد الحاجة فانه آخر درجته ويعلم انه لو جاوزه افلت منه الى الجنة

بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات

اعلم ان القلب كما ذكرناه تكتنفه
الصفات التي ذكرناها وتنصب اليه الآثار والاحوال من الابواب التي وصفناها فكانه هدف مصاب على
الدوام من كل جانب فاذا اصابه شيء يتاثر به اصابه من جانب آخر ما يضاده فيغير وصفه فان نزل الشيطان
به ودعاه الى الهوى نزل الملك به وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان آخر الى غيره
وان جذبه ملك الى خير جذبه آخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين
ملك وشيطان ولا يكون قط مهملا واليه الاشارة بقوله عز وجل ونقلب افئدتهم وابصارهم ولاطلاع
رسول الله صلى الله عليه وسلم على عظيم صنع الله في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول لا ومقلب القلوب
وكان كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا وتخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب
بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وفي لفظ آخر ان شاء الله ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه
ازاغه وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة امثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل
ساعة وقال مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وقال مثل القلب كمثل ريشة بارض

فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه التقلبات من عجايب صنع الله في تقليبها من حيث لا يهتدي اليه لا يعرفه
الا المراقبون لقلوبهم والمراعون لاحوالهم مع الله تعالى والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلثه
قلب عمر بالتقوى وزكي بالرياضة وطهر من خبايث الاخلاق تتقدح فيه خواطر الخير من خزاين الغيب ومداخل
الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر له ليعرف دقايق الخير فيه ويطلع على اسرار فوايده فينكشف له بنور
البصيرة وجهه فيحكم بانه لا بد من فعله ويستحثه عليه ويدعو الى العمل به فينظر الملك الى القلب فيجده طيبا
في جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بانوار المعرفة فيراه صالحا لان يكون مستقر الملك ومهبطا
فعند ذلك يمده بجنود لا يرى ويهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده
بالترغيب في الخير وتيسير الامر عليه واليه الاشارة بقوله عز وجل فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره
لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكوة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي
هو اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء ولا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من
مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا ولا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته
من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر
والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي اقبل الله
عليه بوجهه وهو القلب المطمين المراد بقوله الا بذكر الله تطمين القلوب والمراد بقوله يا ايتها النفس
المطمينة م القلب الثاني القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبايث الملوث بالاخلاق الذميمة
المفتوح فيه ابواب الشياطين المسدود عنه ابواب الملايكة ومبدا الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من الهوى
ويهجس فيه خواطر القلب الى حاكم العقل ليستفتي فيه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد
الف خدمة الهوى وانس به فاستمر على استنباط الحيل وعلى مساعدة الهوى فتستولي النفس وتساعد
عليه فينشرح الصدر بالهوى وينبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان
الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والاماني ويوحي بذلك زخرفا
من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين بخوف الاخرة اذ يتصاعد
من الهوى دخان مظلم الى القلب يملا جوانبه حتى تنطفي انواره فيصير العقل كالعين التي ملا الدخان
اجفانها فلا يقدر على ان ينظر وهكذا يفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب امكان التوقف
والاستبصار ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة وسطا
الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى وظهرت المعصية الى عالم الشهادة من خزاين الغيب بقضاء من

الله مقدورا والي مثل هذا القلب الاشارة بقوله عز وجل ارايت من اتخذ الهه هواه الي قوله بل هم اضل سبيلا
وبقوله لقد حق القول علي اكثرهم الي قوله ام لم تنذرهم لا يومنون ورب قلب هذا حالة بالاضافة الي جميع الشهوات
ورب قلب هذا حالة بالاضافة الي بعض الشهوات ولكنه اذا راي وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش
عقله وسقط مساك قلبه او كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقي معه مسكة التثبت
عند ظهور اسبابه او كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر او ذكر عيب من عيوبه او كالذي لا
يملك نفسه عند القدرة علي اخذ درهم او دينار بل يتهالك عنه تهالك الواله المستهتر فينسي فيه المروة والتقوي
وكل ذلك لتصاعد دخان الهوي الي القلب حتي يظلم وينطفي منه انوار البصيرة فينطفي نور الحياء والمروة
والايمان ويسعي في تحصيل مراد الشيطان القلب الثالث قلب يبتدا فيه خاطر الهوي فيدعوا الي الشر فيلحقه
خاطر الايمان فيدعو الي الخير فتنبعث النفس بشهوتها الي نصرة خاطر الشر فيقوي الشهوة ويحسن التمتع
والتنعم فينبعث العقل الي خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الي الجهل ويشبهها
بالبهيمة والسبع في تهجمها علي الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فيميل النفس الي نصح العقل فيحمل الشيطان
حملة علي العقل ويقوي داعي الهوي ويقول ما هذا التحرج البارد ولن تمتنع عن هواك فتوذي نفسك وهل
تري احدا من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه او يترك ملاذ الدنيا لهم فيمنعون منها وتحجر علي نفسك
حتي يبقي محروما شقيا متعوبا يضحك عليك اهل الزمان اتريد ان يزيد منصبك علي فلان وفلان
وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما تري العالم الفلاني ليس يحترز عن فعل ذلك فلو كان ذلك
شرا لامتنع عنه فيميل النفس الي الشيطان وينقلب اليه فيحمل الملك حملة علي الشيطان ويقول هل هلك
الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة افتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الاباد ام تستثقل الم الصبر
عن شهوتك ولا تستثقل الم النار اتغتر بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان
مع ان عذاب النار لا يخفف عنه بمعصية غيرك ارايت لو كنت في صيف ووقف الناس كلهم في الشمس وكان
لك بيت بارد كنت تساعد الناس او تطلب لنفسك الخلاص فكيف يخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا
يخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تميل النفس الي قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذبا بين
الحزبين الي ان يغلب علي القلب ما هو اولي به فان كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات
الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الي جنسه من احزاب الشياطين معرضا عن حزب
الله تعالي واوليائه ومساعدا لحزب الشيطان واعدائه وجري علي جوارحه بسابق القدر ما هو سبب
بعده عن الله تعالي وان كان الاغلب علي القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الي اغواء الشيطان

وتحريضه اياه علي العاجلة وتهوينه امر الاخرة بل ما لم الي حزب الله تعالي وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من
القضاء علي جوارحه وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين تجاذب هذين الحزبين وهو
الغالب اعني التقلب والانتقال من حزب الي حزب اما الثبات علي الدوام مع حزب الملايكة او حزب
الشياطين فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من جوانب الغيب الي عالم الشهادة
بواسطة خزانة القلب فانه من خزاين الملكوت وهي اذا ظهرت كانت علامات يعرف ارباب القلوب
بسابق القضاء فمن خلق للجنة يسرله الطاعة واسبابها ومن خلق النار يسرله اسباب المعصية وسلط
عليه اقران السوء والقي في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع الحكم يغر الحمقي بقوله ان الله غفور رحيم فلا
تبالي فان الناس كلهم ما يخافون الله فلا يخالفهم وان العمر طويل فاصبر حتي تتوب غدا يعدهم ويمنيهم
وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم باذن الله بهذه الحيل وما يجري
مجراها فتوسع قلبه لقبول الغرور وتضيقه عن قبول الحقايق وكل ذلك بقضاء من الله وقدر فمن يرد
الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السما
ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل يفعل الله
ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضايه خلق الجنة وخلق لها اهلا فاستعملهم بالطاعة
وخلق النار وخلق لها اهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة اهل النار واهل الجنة فقال
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال هولاء في الجنة ولا ابالي وهولاء في النار ولا ابالي فتعالي
الله الملك الحق لا يسيل عما يفعل وهم يسالون فليقتصر علي هذا القدر اليسير من ذكر عجايب القلب فان
استقصاه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه لمعرفة اعوان علوم المعاملة واسرارها ليتنفع
بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزي بالقشور عن اللباب بل يتشوق الي معرفة دقايق الاسباب وفيما ذكرنا
كفاية ومقنع انشاء الله تعالي

تم كتاب عجايب القلب والحمد لله رب
العالمين والصلوة والسلام علي محمد واله
وصحبه اجمعين

م

كتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق
ومعالجة امراض القلب وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي صرف الامور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فاحسن في تصويره وزين صورة الانسان بحسن
تقويمه وتقديره وحرسه عن الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الاخلاق الى اجتهاد
العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الاخلاق
بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل عسيره والصلوة على محمد صلى الله عليه وسلم عبد الله ونبيه
وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح نور النبوة من اساريره ويستشف حقيقة الحق من
مخايله وتباشيره وعلى آله واصحابه الذين طهروا وجه الاسلام عن ظلم الكفر ودياجيره وحسموا مادة
الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا كثيره اما بعد فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل
اعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق
السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذايل الواضحة والخبايث
المبعدة من جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين اللعين وهي الابواب المفتوحة
الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة كما ان الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة من القلب الى
نعيم الجنان وجوار الرحمن والاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس الا انه مرض يفوت
حياة الابد واين منه المرض الذي لا يفوت الا حيوة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطبا بضبط قوانين
العلاج للابدان وليس في مرضها الا فوت حياة فانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب
وفيه فوت حياة باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب اذ لا يخلو قلب من القلوب
عن اسقام لو اهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تانق في معرفة عللها
واسبابها ثم الى تشمير في معالجتها واصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله قد افلح من زكاها واهمالها هو
المراد بقوله وقد خاب من دسيها ونحن في هذا الكتاب نشير الى جمل من امراض القلوب وكيفية القول
في معالجتها على الجملة من غير تفصيل العلاج خصوص الامراض فان ذلك ياتي في بقية الكتب من
هذا الربع وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الاخلاق وتمهيد مناهجها ونحن نذكر ذلك ونجعل
علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة
حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان

تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلب ثم
بيان طرق التي بها يتعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلب
بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطرق في رياضة الصبيان في اول النشو
ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي احد عشر فصلا يجمع مقاصد هذا الكتاب ان شاء الله

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا
نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه
القرآن قوله عز وجل خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم محاسن
الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم اثقل ما يوضع في الميزان حسن الخلق وجاء رجل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه من قبل يمينه فقال
ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من ورائه
فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشؤم
قال سوء الخلق وقال رجل يا رسول الله اوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال اتبع السيئة
الحسنة تمحها قال زدني قال خالط الناس بخلق حسن وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال
افضل فقال حسن الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق امرئ وخلقه
فيطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل
وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من اهل النار وقال ابو الدرداء سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله تعالى
الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله عز وجل الكفر قال اللهم قوني
فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه
ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن
الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله اي المؤمنين افضل ايمانا قال احسنهم خلقا وقال صلعم
انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم سوء الخلق
يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك
امرؤ قد حسن الله خلقك فاحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

احسن الناس وجها احسنهم خلقا وعن ابي مسعود البدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء ويقول
اللهم اني اسئلك الصبر والعافيه وحسن الخلق وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم المرء دينه ومروته
عقله وحسنه خلقه وعن اسامة بن شريك قال شهدت الاعارب يسئلون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون
ما خير ما اعطى العبد قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة
احسنكم اخلاقا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من لم يكن فيه واحدة منهن
فلا يعتدون بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله او حلم يكف به السفيه او خلق حسن يعيش به في
الناس وكان من دعايه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلوة اللهم اهدني لاحسن الاخلاق انه لا يهدي
لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها انه لا يصرف عني سيئها الا انت وقال انس بينما نحن مع رسول الله صلعم
يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطئة كما تذيب الشمس الجليد وقال صلى الله عليه وسلم من سعادة المرء
حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم اليمن حسن الخلق وقال صلعم لا فقر اشد من الجهل ولا مال اعود من العقل ولا عقل كالتدبير ولا
حسب كحسن الخلق وعن انس قال قالت ام حبيبه يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت المراة يكون
لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلان الجنه لايهما هي قال لاحسنهما خلقا كان عندها في
الدنيا يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم ان المسلم المسدد ليدرك
درجة الصايم القايم بحسن الخلق وكرم ضريبته وفي رواية يدرك درجة الظمان في الهواجر وقال عبد الله
بن عمرو كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني رايت البارحة عجبا رايت رجلا من امتي جاثيا على ركبتيه
وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن الخلق فادخله على الله وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد
ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة وروي ان عمر رضي الله عنه
استاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية اصواتهن
على صوته فلما استاذن عمر تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله يضحك فقال عمر اضحكك الله بابي وامي
انت يا رسول الله فقال عليه السلام عجبت لهؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر
رضي الله عنه فانت كنت احق ان يهبن يا رسول الله ثم اقبل عمر عليهن وقال اي عدوات انفسهن اتهبنني
ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم انت اغلظ وافظ من رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تنوح وقال رسول الله صلعم ان العبد

ليبلغ من سوء خلقه اسفل درك جهنم الآثار قال ابن لقمان الحكيم لابيه يا ابت اي الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانتا اثنتين قال الدين والمال قال واذا كانت ثلثا قال الدين والمال والحيا ٭
قال فاذا كانت اربعا قال الدين والمال والحيا وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحيا وحسن الخلق والسخا قال فاذا كانت ستا قال يا بني اذا اجتمعت فيه خمس خصال فهو نقي
تقي لله ولي ومن الشيطان بري وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وقال انس بن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه اسفل دركة في جهنم وهو
عابد وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من عابد
سيء الخلق وصحب ابن المبارك رجل سيء الخلق في سفر وكان يحتمل منه ويداريه فلما ان فارقه بكا فقيل له في ذلك قال رحمة عليه فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد اربع يرفع العبد الى اعلى
درجات وان قل عمله وعلمه الحيا والتواضع والسخا وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال الكتاني التصوف خلق من زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم
بالاعمال وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا يضر معها كثرة السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم قال ما بين الله في كتابه ان اكرمكم عند الله
اتقاكم قيل له فما الحسب قال احسنكم خلقا افضلكم حسبا وقيل لكل بنيان اساس ومبنى الاسلام
حسن الخلق وقال ابن عطاء ما ارتفع احد الا بالخلق الحسن ولم ينل احد كماله الا المصطفى صلى الله عليه واقرب الخلق الى الله السالكون اثار الحسن الخلق

بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق

اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة الخلق الحسن وانه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وان كان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسن
حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى واحتمال المؤن وقال الواسطي هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله وقال شاه الكرماني هو كف الاذى واحتمال المؤن وقال بعضهم هو ان
يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطي مرة هو ارضاء الخلق في السراء والضراء ٭
وقال ابو عثمان هو الرضا عن الله عز وجل وسئل سهل عن الخلق الحسن فقال ادناه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة وقال مرة ان لا يتهم الله في الرزق ويثق به

وتسكن الي الوفاء بما ضمن وتطيع مولاك ولا تعصيه في جميع الامور فيما بينك وبين الله سبحانه وفيما بينك وبين
الخلق وقال علي رضي الله عنه حسن الخلق في ثلث اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسع علي العيال
وقال الحسين بن منصور هو ان لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق وقال الخراز ان لا تكون
لك همة غير الله فهذا وامثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس محيطا بجميع الثمرات
وكشف الغطاء عن الحقيقة اولي من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان
معا يقال فلان حسن الخلق والخلق اي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق
الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدركة بالبصيرة ولكل
واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة والنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر
ولذلك عظم الله امره بالاضافة الي نفسه فقال اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فنبه علي ان الجسد منسوب الي الطين والروح منسوب الي الله تعالي فالمراد بالروح والنفس في هذا
المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة النفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة
الي فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر منها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة
خلقا حسنا وان كان الصادر منها الافعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وانما قلنا
انها هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال علي الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم
يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا ان يصدر منه الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف
بذل المال والسكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا اربعة امور
احدها فعل الجميل والقبيح والثاني قدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة النفس بها تميل
الي احد الجانبين ويتيسر عليه احد الامرين اما الحسن واما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص
خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث او لرياء
وليس عبارة عن القوة لان نسبة القوة الي الامساك والاعطاء بل الي الضدين واحد وكل انسان
خلق بالفطرة قادر علي الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس عبارة
عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا علي وجه واحد بل هو عبارة عن المعني الرابع
وهو الهيئات التي بها تستعد النفس لان يصدر منها الامساك او البذل فالخلق اذا عبارة عن
هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف
والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر وكذلك في الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن في

جميعها حتى يتم له حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق
وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلث اما قوة العلم فحسنها
وصلاحها في ان يصير بحيث يسهل درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في
الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال واذا اصلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة
راس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله عز وجل فيها ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة
الغضب فحسنها في ان ينحصر انقباضها وانبساطها على حد ما يقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها
وصلاحها في ان يكون تحت اشارة الحكمة اعني اشارة الدين والعقل واما قوة العدل فهو في ضبط
قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوة العدل
هي القدرة ومنزلته منزلة المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب هو الذي ينفذ فيه الاشارة
ومثاله مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى ان يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة
لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي ركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا
مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن
اعتدل منه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزاء
وجهه دون البعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة وحسن قوة الشهوة
واعتدالها يعبر عنها بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة سمي تهورا وان
مال الى الضعف والنقصان سمي جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة سمي شرها
وان مالت الى النقصان سمي خمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان
والعدل اذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى
افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي
يختص باسم الحكمة فاذا امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني
بالحكمة حالة للنفس بها تدرك الصواب من الخطاء في جميع الافعال الاختيارية ونعني بالعدل حالة
للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملها على مقتضى الحكمة وتضبطها في الاسترسال والانقباض
على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني
بالعفة تادب قوة الشهوة بتادب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق
الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل يصدر حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الراي واصابة

الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطه يصدر الجربزة والمكر والخداع
والدهاء ومن تفريطه يصدر البله والغمارة والحمق والجنون واعني بالغمارة قلة التجربة في الامور
مع سلامة التخيل وقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق
مقصوده صحيح ولكن سلوكه للطريق فاسد فلا يكون له روية صحيحة في طريق الوصول الى الغرض واما المجنون
فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون اصل ايثاره واختياره فاسدا واما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم
والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والمودة وامثالها
وهي اخلاق محمودة واما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب
واما تفريطه فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول
الحق الواجب واما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع والطلاقة
والمساعدة والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط والتفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة
والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل
للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات محاسن الاخلاق هذه الفضائل الاربعة وهي الحكمة
والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربعة الا رسول الله
صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق
فهو قريب من الله بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق
ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن انفك
عن جملة هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين العباد والبلاد فانه قد
قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغي ان يبعد كما ان الاول قرب من الملك المقرب فينبغي ان
يقتدى به ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ليتمم محاسن الاخلاق كما قال وقد
اشار القرآن الى هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال عز وجل انما المؤمنون الذين آمنوا بالله
ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فالايمان بالله
ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء
الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب
على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله عز وجل الصحابة فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم
اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال

فهذا بيان معني الخلق وحسنه وقبحه وبيان اركانه وثمراته وفروعه

بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة

اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق ولم يسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق لا يتصور تغيرها وان الطباع لا تتغير ويستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق صورة الظاهر والخلقة الظاهرة لا يقدر علي تغيرها فالطويل لا يمكنه ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير يمكنه ان يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر ان يجعل نفسه جميلا فكذلك القبح الباطن هو يجري هذا المجري والثاني انهم قالوا حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك مقتضي المزاج والطبع وانه قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فايدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الي الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده. فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغير لبطلت الوصايا والتاديبات ولما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الي الانس والكلب من الاكل الي التادب والفرس من الجماح الي السلاسة وكل ذلك تغير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك ان نقول الموجودات منقسمة الي ما لا مدخل لاختيار الآدمي في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا وساير اجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والي ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليس بتفاح ولا نخل الا انه خلق خلقة يمكن ان تصير نخلا ان انضاف اليه التربية ولا يصير تفاحا اصلا الا بالتربية فاذا صارت النواة متاثرة بالاختيار حتي تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعها وقهرها بالكلية حتي لا يبقي لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا اسلاسهما وقهرهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بها وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الي الله تعالي نعم الجبلات مختلفة فبعضها سريع القبول وبعضها بطية القبول ولاختلافها سببان احدهما قوة الغريزة في اصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتفكر موجودة في الانسان ولكن اصعبها امرا واعصاها علي التغير قوة الشهوة فانها اقدم وجودا اذ الصبي في مبدا الفطرة يخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني ان الخلق قد يتاكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له واعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه علي اربع مراتب الاول هو الانسان الغفل الذي لا يميز بين

الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولا تستتم ايضا شهوته
باتباع اللذات فيه فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم مرشد والى باعث في نفسه
يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في اقرب زمان الثاني ان يكون قد عرف قبح القبيح لكنه لم يتعود العمل
الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته واعراضا عن صواب رايه لاستيلاء الشهوة عليه لكن
علم تقصيره في عمله فامره اصعب من الاول وتضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما رسخ في نفسه
من كثرة التعود للفساد وان يغرس في نفسه صفة التعود للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة
ان انتهض لها بجد وتشمر وحزم الثالث ان يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة وانه
حق وجميل وتربى عليه فهذا يكاد تمتنع معالجته ولا يرجى اصلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف
اسباب الضلال والرابع ان يكون مع نشوه على الراي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة
في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن ان ذلك يرفع من قدره وهذا هو اصعب المراتب وفي
مثله قيل من التعذيب تهذيب الذيب والاول من هولاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال
والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير واما الخيال الاخر وهو ان
الآدمي ما دام حيا فلا تنقطع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وساير هذه الاخلاق فهذا غلط
وقع لطايفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة
خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة فلو انقطع شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطعت شهوة
الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقي
اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب
اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط فالمطلوب
في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه
قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال عز وجل اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة وانما
يصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لامتنع الجهاد للكفار وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة
بالكلية والانبياء لم ينفكوا عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر مثلكم اغضب كما يغضب البشر
وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا وكان الغضب لا يخرجه
عن الحق وقال عز وجل والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة الى
الاعتدال بحيث لا يقهر احدهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط له والغالب عليه ممكن وهو المراد

بتغير الخلق فانه ربما يستولي الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش
وبالرياضة يعود الى حد الاعتدال فدل ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل عليه دلالة لا يشك فيها والذي
يدل على ان المطلوب الوسط في الاخلاق دون الطرفين ان السخاء خلق مطلوب شرعا وهو وسط بين
طرفي التبذير والتقتير وقد اثنى الله عز وجل فقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك
قواما وقال عز وجل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب في شهوة
الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال عز وجل كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال في الغضب اشداء على
الكفار رحماء بينهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها وهذا له سر وتحقيق وهو
ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال عز وجل الا من اتى الله بقلب سليم والبخل من
عوارض الدنيا وشرط القلب ان يكون سليما منهما اي لا يكون ملتفتا الى المال فلا يكون حريصا على
امساكه ولا حريصا على انفاقه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما ان الحريص على
الامساك مصروف القلب اليه فكان كمال القلب في ان يصفو عن الوصفين جميعا واذا لم يكن ذلك في الدنيا
طلبنا ما هو الاشبه لعدم الوصفين وابعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد وهو
وسط بينهما فكانه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور
والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا طرفي قصد الامور ذميم فههنا هو المطلوب وهو
ممكن جدا نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد ان يقبح عنده الغضب راسا وامساك المال راسا فلا يرخص
في شيء منه لانه لو رخص في ادنى شيء اتخذ ذلك عذرا في استبقاء ماله وغضبه وظن انه القدر المرخص
فيه فاذا قصد قلع الاصل وبالغ فيه لم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له ان يطلب
قلع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الخلق اذ يظن بنفسه ان
غضبه بحق وان امساكه بحق **بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة** قد عرفت ان
حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل بكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها مطيعة
للعقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود الهي وكمال فطري بحيث يخلق الانسان
ويولد كامل العقل حسن الخلق فيكفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل
والشرع فيصير بغير معلم عالما وبغير مؤدب متأدبا كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وكذا سائر الانبياء عليهم
السلام ولا يبعد ان يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي يخلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما
يخلق بخلافه فيحصل ذلك بالتعود ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني

لاكتساب هذه الاخلاق المجاهدة والرياضة واعني بها حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب
فمن اراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف تعاطي فعل الجود وهو بذل المال فلا يزال
يواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعا ويتيسر عليه فيصير بنفسه جوادا وكذا من اراد
ان يحصل لنفسه خلق التواضع وغلب عليه الكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة
وهو مجاهد نفسه ومتكلفا الى ان يصير ذلك خلقا وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا
يحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال دون
الذي يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود
جميع العادات الحسنة ولم يترك جميع العادات السيئة ولم يواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال
الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني
في الصلاة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة
بها نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركها لا بالاضافة الى فعلها عن طوع ولذلك قال
عز وجل وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر
على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه
المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي ان يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت
الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال طول العمر في طاعة
الله ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات اكثر بطول العمر
كان الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات تاثيرها في القلب
وانما يتأكد آثارها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ
فيه حب الله ولا يكون شيء احب اليه من لقاء الله فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه الذي يوصله اليه وغضبه
وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها الا على الوجه الذي يوصله الى الله تعالى وذلك بان يكون موزونا بميزان
الشرع والعقل ثم يكون مع ذلك فرحا به ومستلذا له ولا ينبغي ان يستبعد مصير الصلاة قرة عين ومصير العبادات
لذيذة فان العادة تقتضي في النفس عجائب اعجب من ذلك وانا نرى من الملوك والمنعمين في احزان دائمة
ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من اللذة والفرح بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير
القمار مع ان القمار ربما سلب ماله وخرب داره وتركه مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه
له وصرف نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول نهاره في حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس

بالحمام لفرحه بالطيور وحركتها وطيرانها وتحليقها في جو السما. بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع
والصبر علي السياط وعلي ان يتقدم به الي الضرب والصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر علي ذلك
ويري ذلك فخر النفسه حتي يقطع الواحد منهم اربا اربا علي ان يقر بما تعاطاه او تعاطاه غيره فيصر علي الانكار ولا يبالي
بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت احواله مع ما فيه من النكال قرة عينه وسبب افتخاره.
بل لا اخس حالة واقبح من حال المخنث في تشبهه بالاناث في نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النسا. وتري
المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه يتباهي به مع المخنثين حتي يجري ايضا بين الحجامين والكناسين
التفاخر والمباهاة كما يجري بين الملوك والعلما. وكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة علي نمط واحد علي الدوام
مدة مديدة ومشاهدة ذلك في المخالطين والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ بالباطل وتميل الي
القبايح فكيف لا تستلذ بالحق لو ردت اليه مدة والزم المواظبة عليه بل ميل النفس الي هذه الامور الشنيعة
خارج عن الطبع يضاهي الميل الي اكل الطين وقد يغلب علي بعض الناس ذلك بالعادة فاما ميله الي الحكمة
وحب الله تعالي ومعرفته وعبادته فهو كالميل الي الطعام والشراب فهو مقتضي طبع القلب فانه امر رباني وميله
الي الشهوات غريب من ذاته وعارض علي طبعه وانما غذا القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف
عن مقتضي طبعه بمرض حل به كما يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سبب حياتها وكل قلب
مال الي حب شي سوي حب الله تعالي فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب ذلك الشي لكونه معينا له علي
حب الله وعلي دينه فعند ذلك لا يدل ذلك علي المرض فاذا عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق الجميلة يمكن
اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتدا لتصير طبعا انتها. وهذا من عجيب العلاقة بين
القلب والجوارح اعني النفس والبدن فان كل صفة يظهر في القلب يفيض اثرها علي الجوارح حتي لا تتحرك
الا علي وفقها لا محالة وكل فعل يجري علي الجوارح فانه يرتفع منه اثر الي القلب والامر فيه دور ويعرف ذلك بمثال
وهو انه من اراد ان يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتي يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الا ان يتعاطي
بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة وهي حكاية الخط الحسن فان فعل الكاتب
هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتي يصير ذلك صفة راسخة في نفسه فيصدر منه
في الاخرة الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتدا تكلفا فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه
حسنا ولكن الاول متكلف الا انه ارتفع منه اثر الي النفس ثم انخفض من النفس اثر الي الجارحة فصار
يكتب الخط الحسن طبعا وكذلك من اراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطي افعال الفقها وهو
التكرار للفقه حتي تنعطف منه علي نفسه صفة الفقه فيصير فقيه النفس فكذلك من اراد ان يصير

سيما عفيفا حليما متواضعا فيلزمه ان يتعاطى افعال هؤلاء تكلفا حتى يصير له ذلك بالعادة طبعا ولا علاج له الا ذلك
وكما ان طالب فقه النفس لا ييأس من هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية
النفس وتكميلها وتحليتها بالاخلاق الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا
ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاوة المؤبدة ولكن العطلة في يوم واحد تدعو الى مثلها ثم تتداعى قليلا
قليلا حتى تأنس النفس بالكسل وهجر التحصيل راسا فيفوته فضيلة الفقه فكذلك صغاير المعاصي يجر بعضها
الى بعض حتى يفوت اصل السعادة بهدم اصل الايمان عند الخاتمة وكما ان تكرار ليلة لا يحس اثره في تفقه
النفس بل يظهر فقه النفس شيئا شيئا على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة
الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعة فان
الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد تاثير فما من طاعة الا ولها اثر وان خفي
فلها لا محالة ثواب والثواب بازاء الاثر وكذلك المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا
على التوالي يسوف نفسه يوما فيوما الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين بصغاير المعاصي
ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي اما ان يختطفه الموت بغتة او يتراكم ظلمة الذنوب على قلبه ويتعذر عليه
التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير ويصير القلب مقيدا بسلاسل الشهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو
المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله عز وجل وجعلنا من بين ايديهم سدا الآية ولذلك قال علي رضي
الايمان يبدو في القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان
ابيض القلب كله وان النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل
النفاق في القلب اسود القلب كله فاذا قد عرفت ان الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة
تكون باعتياد الافعال الجميلة وتارة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان
الصلاح اذ الطبع يسترق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلث حتى صار
ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له اقران السوء وتيسر له
اسباب السوء حتى يعود فهو في غاية البعد من الله تعالى وبين الرتبتين من اختلف به هذه الجهات
ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما يقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون **بيان تفصيل الطريق الى تهذيب
الاخلاق** قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض
فيه كما ان الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول

مثال النفس في علاجها لمحو الرذايل والاخلاق الردية عنها وكسب الفضايل والاخلاق الجميلة مثال البدن
وعلاجه لمحو العلل عنه وكسب الصحة اليه فكما ان الغالب علي اصل المزاج الاعتدال فانما تعتري العلة المغيرة
بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيحا علي الفطرة فانما ابواه يهودانه وينصرانه
ويمجسانه اي بالتعود والتعلم تكسب الرذايل وكما ان البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوي
بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصا قابلا للكمال وانما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق
والتغذية بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحا فشان الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان
كان مريضا فشانه جلب الصحة اليه فكذا النفس مثلا ان كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي ان
يسعى في حفظها وحفظ صفتها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفايها وان كانت عديمة الكمال
والصفاء فينبغي ان يسعى لجلب ذلك وكما ان العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا
بضدها ان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذا الرذيلة التي هي مرض القلب
علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالسخاء ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره
بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان
المريضة فلا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل اولي فان مرض البدن يخلص منه
بالموت ومرض القلب والعياذ بالله عذاب يدوم بعد الموت ابد الاباد وكما ان كل مبرد لا يكفي لعلة سببها
الحرارة الا اذا كان علي حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة
ولا بد له من عيار يعرف مقدار النافع منه فان لم يحفظ عيارة زاد الفساد فكذلك النقيض الذي يعالج
به الاخلاق لا بد له من عيار وكما ان عيار الدواء ماخوذ من عيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج ما لم
يعرف ان العلة من حرارة او برودة فان كانت من حرارة فيعرف درجتها اهي ضعيفة ام قوية فاذا عرف
التفت معه الي احوال البدن واحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وساير احواله وعالج بحسبها فكذلك
الشيخ المتبوع الذي يطب نفس المريد ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان لا يهجم عليها بالرياضة
والتكاليف في فن مخصوص وطريق مخصوص ما لم يعرف اخلاقهم وامراضهم وكما ان الطبيب لو عالج جميع
المرضى بعلاج واحد تقتل اكثرهم فكذلك الشيخ لو اشار علي المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وامات
قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي حاله وفي سنه ومزاجه وما تحتمله نفسه من الرياضة ويبني عليه
رياضته فان كان المريد مبتديا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه اولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات
وان كان مشغولا بمال الحرام او مقارفا لمعصية فيامره اولا بتركها فاذا تزين بالعبادات ظاهره وتطهر عن

المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الاحوال الي باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض قلبه فان رآي معه مالا فاضلا
عن قدر ضرورته اخذه منه وصرفه في الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه فان راي الرعونة والكبر وعزة النفس
غالبة عليه فيامره بان يخرج للسوق للكدية والسؤال فان عز الرياسة لا ينكسر الا بالذل ولا ذل اعظم من ذل السؤال
فيكلفه المواظبة علي ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعزه فان الكبر من الامراض المهلكة وكذلك الرعونة وان راي الغالب
عليه النظافة في البدن والثياب ورآي قلبه مائلا اليه فرحا به ملتفتا اليه استخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه
وكنس المواضع القذرة او ملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين ينظفون
ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات الرفيعة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها
طول النهار ولا فرق بين ان يعبد الانسان نفسه او يعبد صنما فمهما عبد غير الله فقد حجب عن الله ومن راعي في
ثوبه شيئا غير كونه حلالا او طاهرا مراعاة يلتفت اليه قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة ان النفس اذا
كانت لا تسخو بترك الرعونة راسا وترك صفة اخرى ولم تسمح بضدها فينبغي ان تنقل من الخلق المذموم الى خلق آخر
اخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء اذ كان الماء لا يزيل الدم ولذلك يرغب الصبي في المكتب
بالكرة والصولجان ثم ينقل من اللعب بالزينة الى فاخر الثياب ثم ينقل من ذلك بالترغيب في الرياسة وطلب
الجاه ثم ينقل عن الجاه بالترغيب في الآخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل الى جاه اخف
مما هو فيه وكذلك سائر الصفات وكذلك ان رآي شدة حب الطعام غالبا عليه الزمه الصوم وتقليل الطعام
ثم يكلفه ان يهيئ الاطعمة اللذيذة ويقدمها الى غيره وهو لا ياكل منها حتى يقوي به نفسه فيتعود الصبر وينكسر
شرهه وكذلك اذا رآه شابا متشوقا الى النكاح وهو عاجز فيامره بالصوم وربما لا يسكن ذلك شهوته فيامره بان
يفطر ليلة علي الماء دون الخبز وليلة علي الخبز دون الماء ويمنعه من اللحم والادام راسا حتى يذلل نفسه وينكسر
شهواته ولا علاج في مبادي الارادة انفع من الجوع وان رآي الغضب غالبا عليه الزمه الحلم والسكوت وسلط
عليه من يصحبه ممن فيه سوء الخلق ويامره بخدمة من ساء خلقه ويراعيه حتى يمرن نفسه علي الاحتمال فقد
كان بعضهم يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب وكان يستاجر من يشتمه على ملا من الناس
ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل وكان بعضهم يستشعر
في نفسه الجبن وضعف القلب واراد ان يحصل لنفسه خلق الشجاعة وكان يركب البحر في الشتاء عند
اضطراب الامواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليلة علي نصبة واحدة وبعض
الشيوخ في الابتداء كان يكسل نفسه عن القيام فالزم نفسه القيام علي راسه طول الليلة ليسمح بالقيام
علي الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بان باع جميع ماله ورماه في البحر اذ خاف من تفرقته علي الناس

رعونة الجود ورياء البذل فهذه الامثلة تعرفك طريق معالجة القلوب فليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فان
ذلك سياتي في بقية الكتب وانما الغرض الآن التنبيه على ان الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة
لكل ما يهواه النفس وتميل اليه وقد جمع الله جميع ذلك في كلمة واحدة فقال ونهى النفس عن الهوى فان
الجنة هي المأوى والاصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت اسباب
ملك الشهوة ويكون ذلك من الله ابتلاء واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر فانه ان عود نفسه كثرة العزم الفت
ذلك وفسدت واذا اتفق منه بعض عزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرنا في معاقبة النفس
من كتاب المراقبة واذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوات فيفسد بها الرياضة
بالكلية **بيان علامات مرض القلب** وعلامات عودها الى الصحة كما ان كل عضو من اعضاء
البدن خلق لفعل خاص وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه اصلا او يصدر
مع نوع من الاضطراب فمرض اليدان يتعذر عليها البطش ومرض العين ان يتعذر عليها الابصار فكذلك
مرض القلب بان يتعذر عليه فعله الخاص الذي خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى
وعبادته والتلذذ بذكره وايثار ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والاعضاء عليه قال
عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففي كل عضو فايدة وفايدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية
النفس التي الآدمي ما تميز به عن البهايم ولم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع او الابصار او غيرها
بل بمعرفة الاشياء على ما هي عليه واصل الاشياء موجدها ومخترعها الذي جعلها اشياء هو الله فلو عرف
كل شي ولم يعرف الله فكانه لم يعرف شيا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى احبه ومن علامة المحبة
ان لا يوثر عليه الدنيا ولا غيره من المحبوبات كما قال عز وجل قل ان كان آباؤكم وابناؤكم الى قوله احب اليكم من
الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا فمن عنده شي احب اليه من الله فقلبه مريض كما ان كل معدة صار
الطين احب اليها من الخبز والماء او سقطت شهوته عن الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامات المرض بهذا
يعرف ان القلوب كلها مريضة الا ما شاء الله الا ان من الامراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا
يعرفه صاحبه فكذلك يغفل عنه وان علمه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة الشهوات
وهو نزع الروح وان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا فان الاطباء هم العلماء وقد استولى
المرض عليهم والطبيب المريض قل ما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا
العلم وانكروا بالكلية طب القلوب وانكروا مرضها واقبل الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها عبادات
وباطنها عادات ومرايات فهذه علامات اصل المرض فاما علامة عودها الى الصحة بعد المعالجة فهو ان ينظر

في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء البخل فانه المهلك المبعد عن الله تعالى وانما علاجه ببذل المال
والعلم به ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير مبذرا فيكون التبذير ايضا داء ويكون كمن يعالج البرودة بالحرارة
حتى يغلب الحرارة وهو ايضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة فكذلك المطلوب الاعتدال
بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فان اردت ان تعرف الوسط
فانظر الى الفعل الذي موجبه الخلق المحذور فان كان اسهل عليك فالزم الذي يضاده فالغالب عليك
ذلك الخلق الموجب له مثل ان يكون امساك المال وجمعه الذ عندك وايسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم ان
الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل على المستحق الذ عندك واخف عليك
من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك ولا تزال تراقب نفسك
وتستدل على خلقك بتيسير الافعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال فلا تميل الى بذله ولا
الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا يطلب فيه الا امساكه لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك
فكل قلب كان كذلك فقد جاء الله بقلب سليم عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون سليما عن ساير الاخلاق
حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا حتى يرتحل النفس عن الدنيا ويقطع العلائق منها غير ملتفت
اليها ولا متشوف الى اسبابها فيرجع عند ذلك الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في
زمرة عباد الله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ولما كان الوسط
الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من الشعر واحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا
الصراط المستقيم اعني في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة وقل ما ينفك العبد عن ميل من الصراط
المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه فكذلك
لا ينفك احد من عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل البرق قال عز وجل وان منكم الا واردها
كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا اي الذين كان قربهم الى الصراط اكثر من بعدهم عنه ولاجل
عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشر مرات في قوله اهدنا الصراط
المستقيم اذ وجبت الفاتحة في كل ركعة وراى بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد
قلت يا رسول الله شيبتني سورة هود فلم قلت كذلك قال لقوله عز وجل فاستقم كما امرت فالاستقامة
على سواء السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان لم
يقدر على حقيقتها فكل من اراد النجاة فلا نجاة الا بالعمل الصالح ولا يصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق
الحسنة وليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد منها على الترتيب

بيان الطريق الذي به يعرف الانسان عيوب نفسه اعلم ان الله عز وجل اذا اراد بعبد خيرا بصره
عيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم يخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق
جاهلون بعيوب انفسهم يرون القذي في عين غيرهم ولا يرون الجذع في عين انفسهم فمن اراد ان يقف
علي عيب نفسه فله اربع طرق الاولي ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع علي خفايا الآفات
ويحكمه علي نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه
استاذه وشيخه عيب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده الثانية ان يطلب
صديقا صدوقا بصيرا متدينا وينصبه رقيبا علي نفسه ليلاحظ احواله وافعاله فما يكرهه من اخلاقه
وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة فينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكابر من ائمة الدين كان عمر رضي الله عنه
يقول رحم الله امرءا او عبدا اهدي الي عيوبي وكان يسال سلمان عن عيوبه لما قدم عليه وقال ما الذي
بلغك عني مما تكرهه فاستعفي فالح عليه فقال سمعت انك قد جمعت بين ادامين علي مائدة واحدة وان
لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل فقال وهل بلغك غير هذا قال لا قال اما هذان فقد كفيتهما وكان رضي الله عنه
يسال حذيفة ويقول انت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل تري علي شيئا من آثار
النفاق فهو علي جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كان تهمته لنفسه وكل من كان اوفر عقلا واعلي منصبا
كان اقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا ايضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة
فيخبر بالعيب او يترك الحسد فلا يزيد علي قدر الواجب فلا تخلو في اصدقائك من حسود او صاحب غرض يري
ما ليس بعيب عيبا او عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي معتزلا عن الناس فقيل له
لم لا تخالطهم قال ماذا اصنع باقوام يخفون عني عيوبي فقد كانت شهوة ذوي الدين ان يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه
غيرهم وقد آل الامر في امثالنا الي ابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد ان يكون هذا مفصحا
عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا منبه علي ان تحت ثوبنا عقربا
لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بابعاد العقرب وقتلها وانما كان نكايتها علي البدن ويدوم المها
يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الرديئة علي صميم القلب ويخشي ان تدوم بعد الموت ابدا او الافا من السنين
ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها فلا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثله ونقول فانت ايضا
تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه فيشبه ان يكون هذا من قساوة القلب
التي اثمرتها كثرة الذنوب واصل كل ذلك ضعف الايمان فنسال الله تعالى ان يعرفنا رشدنا ويبصرنا بعيوب
انفسنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا علي مساوينا بمنه وفضله الطريق الثالث

ان يستفيد عيوب نفسه من لسان اعدائه فان عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن
يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على
تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لا بد
وان تنتشر على السنتهم **الطريق الرابع** ان يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فيطالب نفسه
به وينسب نفسه اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة
في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الآخر عن مثله او عن اعظم منه او عن شيء منه
فيتفقد نفسه ويطهرها من كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه
من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب وقيل لعيسى عليه السلام من ادبك قال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل
فجانبته وهذا كله من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ينصح له في الدين فارغا
عن تهذيب نفسه مشتغلا بتهذيب عباد الله نصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه
فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده. **بيان شواهد النقل من
ارباب البصاير وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة امراض القلوب ترك الشواهد
وان مادة امراضها هي اتباع الشهوات** اعلم ان ما ذكرناه ان تاملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك
وانكشف لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين وان عجزت عن ذلك فلا ينبغي ان
يفوتك التصديق والايمان به على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة
كما ان للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه. قال الله عز وجل يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله ولم يطلع على سببه وسره فهو من
الذين آمنوا بالغيب فاذا اطلع على ما ذكرناه من اعوان الشهوات واسرارها فهو من الذين اوتوا العلم
درجات وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر القرآن والسنة واقاويل العلماء اكثر من
ان يحصى قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وقال عز وجل اولئك الذين امتحن
الله قلوبهم للتقوى قيل نزع عنها محبة الشهوات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدايد
مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه بين ان النفس عدو منازع
يجب مجاهدتها ويروى ان الله تعالى اوحى الى داود يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان
القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة
لموعود غايب لم يره وقال النبي صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى

الجهاد الاكبر فقالوا يا رسول الله وما الجهاد الاكبر فقال الجهاد النفس وقال صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد
نفسه في الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم كف اذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله تعالى
اذا تخاصمك يوم القيمة فيلعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله ويستر وقال سفين الثوري ما عالجت شيا
اشد من نفسي مرة لي ومرة علي وكان ابو العباس الموصلي يقول يا نفس لا في الدنيا مع ابناء الملوك تتنعمين
ولا في طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كاني بك بين الجنة والنار تحبسين الا يا نفس الا تستحيين
وقال الحسن ما الدابة الجموح باحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد
النفس باسباب الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة
من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات
ومن قلة الكلام السلامة من الافات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شي اشد
من الحلم عند الجفاء والصبر على الاذى فاذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت
منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدي
الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع من الظلم والانتقام وتامن بوايقها في ساير الايام وتصفيها من ظلمة
شهواتها فتنجو من غوايل آفاتها فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورية خفيفة فتجول في ميدان
الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال
ايضا اعداء الانسان ثلثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان
بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا من
حيث شهواتها محصورا في سجن هواها ومنعت قلبه الفوايد وقال جعفر بن حميد اجمعت العلماء والحكماء
على ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في
قلبه شجر الندامات وقال وهيب ما زيد على الخبز فهو شهوة وقال وهيب بن الورد من اراد شهوات
الدنيا فليتهيا للذل ويروى ان امراة العزيز قالت ليوسف عليه السلم بعد ما ملك خزاين الارض
يا يوسف ان الحرص والشهوة صير الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صير العبيد ملوكا فقال يوسف
عليه السلم قال الله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال الجنيد ارقت ليلة فقمت
الى وردي فلم اجد الحلاوة التي كنت اجدها فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم اطق القعود
فخرجت فاذا رجل ملتف في عباية مطروح على الطريق فلما احس بي قال يا ابا القسم الى الساعة
فقلت يا سيدي من غير موعد فقال بلى سالت محرك القلوب ان تحرك لي قلبك فقلت فقد فعل فما

حاجتك فقال ميتي تصير دواء النفس دواها فقلت اذا خالفت النفس هواها فاقبل على نفسه وقال الا تسمعي
قد احتبستك بهذا سبع مرات فاست الان تستطعمه من الجنة قال فانصرفت وما عرفته وقال يزيد الرقاشي
السلام على الماء البارد في الدنيا لعلى لا احرمه في الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز متى اتكلم قال
اذا اشتهيت الصمت قال فمتى اصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال علي كرم الله وجهه من اشتاق الى
الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فاذا راى الشيء يشتهيه
قال لنفسه اصبري فوالله لا امنعك الا من كرامتك علي فاذا قد اتفق الحكماء والعلماء على ان لا طريق الى
سعادة الآخرة الا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب واما حكم تفصيل ما
يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف مما قدمناه وحاصل الرياضة وسرها ان لا يتمتع النفس بشيء مما لا
يوجد في القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر
اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشيء منه انس به والفه فاذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا ولا يتمنى
الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له في الآخرة بحال ولا خلاص عنه الا بان يكون القلب مشغولا بمعرفة الله
وحبه والتفكر فيه ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الفكر والذكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك
فليقرب منه فالناس فيه اربعة رجل استغرق ذكر الله قلبه فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضرورات المعيشة فهو من
الصديقين ولا ينتهي الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة والثاني من
استغرق الدنيا قلبه فلم يبق لله ذكر في قلبه الا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان فهذا من الهالكين
والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين لكن الغالب على قلبه هو الدين فلهذا لا بد له من ورود النار الا انه ينجو
منها سريعا بقدر قوة غلبة ذكر الله على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا تغلب على قلبه فلهذا
يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله في قوله وتمكنه من صميم فؤاده. وان كان ذكر الدنيا
اغلب عليه وربما يقول القائل ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون التنعم سبب البعد من الله وهذا خيال
ضعيف بل حب الدنيا راس كل خطيئة والمباح الخارج عن الحاجة من الدنيا ايضا وسيأتي ذلك في كتاب
ذم الدنيا وقد قال ابرهيم الخواص كنت في جبل اللكام فرايت رمانا فاشتهيته فاخذت منه واحدا فشققته
فوجدته حامضا فمضيت وتركت الرمان فرايت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك
فقال وعليك السلام يا ابرهيم فقلت كيف عرفتني قال من عرف الله تعالى لا يخفى عليه شيء منه فقلت ارى لك
حالا مع الله فلو سألته ان يحميك من هذه الزنابير فقال واري لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك شهوة الرمان
فان لدغ الرمان يجد الانسان المه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد المه في الدنيا فتركته ومضيت وقال السري

منذ اربعين سنة يطالبني نفسي ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها فاذا لا يمكن اصلاح القلب لسلوك طريق
الله تع ما لم يمنع النفس من التنعم بالمباح فان النفس اذا لم يمنع من بعض المباحات طمعت بالمحظورات فمن
اراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه ان يلزمه السكوت الا عن المهمات حتى يموت منه شهوة الكلام
فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر الي كل شي جميل
لم يتحفظ عن النظر الي ما لا يحل وكذلك ساير الشهوات لان الذي يشتهي به الحلال هو بعينه يشتهي
الحرام والشهوة واحدة وقد وجب علي العبد منعها من الحرام فان لم تعودها الاقتصار علي قدر الضرورة في الشهوات
غلبته الشهوة فهذا احدي آفات المباحات ووراء هذا آفة اعظم من هذه وهو ان النفس تفرح بالتنعم
بالدنيا وتركن اليها وتطمئن بها اشرا وبطرا حتى يصير مستليا به كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك الفرح
بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت واهوال القيمة وهذا هو موت
القلب قال عز وجل وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع وقال عز وجل اعلموا انما الحيوة
الدنيا لعب ولهو الي قوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور فاولوا الحزم من ارباب القلوب جربوا قلوبهم
في حالة الفرح بمواتاة الدنيا فوجدوها قاسية بطرة بعيدة من التاثر بذكر الله واليوم الآخر وجربوها في
حالة الحزن الدايم فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا ان النجاة في الحزن الدايم والتباعد من
اسباب البطر والفرح ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا ان حلالها
حساب وحرامها عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات القيمة فقد عذب فخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا
الي الحرية والملك في الدنيا والآخرة بالخلاص عن اسر الشهوات ورقها والانس بذكر الله تع والاشتغال بطاعته
وفعلوا به ما يفعل بالبازي اذا قصد تاديبه ونقله عن توثبه وتوحشه الي الانقياد والتاديب فانه يحبس
اولا في بيت فيخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران في جو الهواء وينسي ما قد كان الفه من طبع الاسترسال
ثم يرفق به باللحم حتى يانس بصاحبه ويالفه الفا اذا دعاه اجابه ومهما سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس لا تالف
ربها ولا تانس بذكره الا اذا فطمت عن عاداتها بالخلوة والعزلة اولا لتحفظ السمع والبصر عن المالوفات ثم
عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليه الانس بذكر الله عوضا عن الانس بالدنيا
وساير الشهوات وذلك يثقل عليه في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يفطم عن الثدي وهو شديد
عليه اذ كان لا يصبر عنه ساعة فكذلك يشتد بكاؤه وجزعه علي الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذي
يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن راسا يوما فيوما وعظم تعبه في الصبر وغلبة الجوع يتناول
الطعام تكلفا ثم يصير طبعا له فلو رد الي الثدي لم يرجع اليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويالف الطعام وكذلك

الدابة في الابتداء ينفر عن السرج واللجام والركوب ولكن يحمل عليه قهرا ويمنع عن الاسراج الذي الفته بالسلاسل
والقيود اولا ثم يانس به بحيث يترك في موضعها فيقف فيه من غير قيد وكذلك تؤدب النفس كما تؤدب الطيور
والدواب وتاديبها بان يمنع عن البطر والاشر والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايلها بالموت فيقال له احبب
ما احببت فانك مفارقه فاذا علم انه من احب شيا يلزمه فراقه ويشقى لا محالة لفراقه ويشغل قلبه بحب ما لا
يفارقه وهو ذكر الله عز وجل فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر اياما قلايل فالعمر
قليل بالاضافة الي مدة حياة الاخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة
وغيره شهرا ليتنعم به سنة وكل العمر بالاضافة الي الابد اقل من الشهر بالاضافة الي عمر الدنيا فلا بد من الصبر
والمجاهدة والرياضة لكل انسان فعند الصباح يحمد القوم السرى وطريق المجاهدة والرياضة يختلف لكل
انسان بحسب اختلاف احواله والاصل فيه ان يترك كل واحد ما به فرحه من اسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال
او بالجاه او بالقبول في الوعظ او بالعز في القضاء والولاية او بكثرة الاتباع في التدريس والافادة فينبغي ان يترك
اولا ما به فرحه فانه ان منع عن شي من ذلك وقيل له ثوابك في الاخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتالم به فهو
ممن فرح بالحياة الدنيا واطمان اليها وذلك مهلك في حقه ثم اذا ترك اسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد
بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله والفكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى
يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولا يزول الا بقطع السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر
فليس للجهاد آخر الا الموت والسلم بيان علامات حسن الخلق اعلم ان كل انسان فهو جاهل بعيب نفسه
فاذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما ظن بنفسه انه قد هذب نفسه وحسن خلقه
واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق
هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق
فنورد جملة من ذلك ليعلم به حسن الخلق فقد قال الله تع قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
الي قوله اولئك هم الوارثون وقال التائبون العابدون الي قوله وبشر المؤمنين وقال انما المؤمنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الي قوله اولئك هم المؤمنون حقا وكذلك قال وعباد الرحمن الذين يمشون
علي الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الي آخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه
علي هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود
بعضها دون بعض يدل علي البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده وقد وصف
رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة واشار بجميعها الي محاسن الاخلاق فقال المؤمن يحب لاخيه

ما يحب لنفسه وقال من كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال من كان يومن بالله واليوم الآخر
فليكرم جاره وقال صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر ان صفات
المومنين هي حسن الخلق فقال اكمل المومنين ايمانا احسنهم اخلاقا وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المومن
صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقي الحكمة وقال صلى الله عليه وسلم من سرته حسنته وساته سيئته فهو
مومن وقال لا يحل المومن ان يشير الي اخيه بنظرة توذيه وقال لا يحل المسلم ان يروع مسلما وقال انما يتجالس
المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي علي اخيه ما يكره وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال
ان يكون كثير الحيا قليل الاذي كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل
الفضول بر وصول وقور صبور رضي شكور حليم رفيق عفيف شفيق لا لعان ولا سباب ولا نمام ولا مغتاب
ولا عجول ولا حقود ولا بخيل ولا حسود هشاش بشاش يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب
في الله فهذا هو حسن الخلق وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المومن والمنافق فقال ان
المومن همته في الصلوة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم
الاصم المومن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمومن آيس من كل واحد الا
من الله والمنافق راج كل احد الا الله والمومن آمن من كل احد الا من الله والمنافق خايف من كل احد الا من الله والمومن
يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمومن يحسن ويبكي والمنافق يسي ويضحك والمومن
يحب الوحدة والخلاء والمنافق يحب الخلطة والملاء والمومن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقطع ويرجوا
الحصاد والمومن يامر وينهي للسياسة فيصلح والمنافق يامر وينهى للرياسة فيفسد واولى ما يمتحن به
حسن الخلق الصبر علي الاذى واحتمال الجفي ومن شكا من سو خلق غيره فيدل علي سو خلقه لان حسن الخلق
احتمال الاذي فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمشي ومعه انس فادركه اعرابي فجذبه جذبا
شديدا وكان عليه برد بحراني غليظ الحاشيه قال انس حتى نظرت الي عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه ثم قال يا محمد هب لي من مال الله الذي عليك فالتفت اليه
صلى الله عليه وسلم وضحك ثم امر بعطايه ولما اكثر اليهود ايذاه وضربه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
فلذلك قال الله تعالي وانك لعلي خلق عظيم وحكي عن ابرهيم بن ادهم انه خرج الي بعض البراري فاستقبله
رجل جندي فقال له انت عبد قال نعم قال اين العمران فاشار الي المقبرة فقال الرجل انما اردت العمران
فقال هي المقبرة فغاظه ذلك فضرب راسه بالسوط فشجه شجة موضحة ورده الي البلد فاستقبله اصحابه
فقالوا ما هذا فاخبرهم الجندي فقالوا هذا ابرهيم بن ادهم فنزل الجندي عن دابته فقبل يديه ورجليه

وجعل يعتذر اليه فقيل له لم قلت انا عبد فقال انه لم يسالني انت عبد من بل قال لي انت عبد قلت نعم لاني
عبد الله فلما ضرب راسي سالت الله تعالى له الجنة فقيل له لم وانه ظلمك فكيف سالت الله له بالجنة فقال
لاني علمت اني اوجر على هذا فلم احب ان يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر ودعي ابو عثمان الحيري
الى دعوة وكان الداعي يريد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه هذا فرجع ابو عثمان فلما ذهب غير بعيد
جاء ثانيا فقال ترجع على ما يوجب الوقت فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فرجع ابو عثمان ثم
جاءه الثالثة هو خلق كلب الكلب اذا دعي اجاب واذا زجر انزجر حتى عامله بذلك مرات وابو عثمان لم يتغير
فقال انما اردت ان اختبرك فما احسن خلقك فقال ابو عثمان الذي رايت مني هو خلق كلب الكلب اذا دعي
اجاب واذا زجر انزجر ويروى ان ابا عثمان اجتاز بسكة وطرحت عليه اجانة رماد فنزل عن دابته وجعل
ينفض ذلك عن ثيابه ولم يقل شيئا فقال الاخوتهم فقال ان من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز ان يغضب
ويروى ان علي بن موسى الرضى كان يميل لونه الى السواد اذ كانت امه سوداء وكان له بنيسابور على باب
دار حمام وكان اذا دخل الحمام فرغ له الحمام فدخل ذات يوم فاطبق باب الحمام فمر الحمامي الى بعض
حوايجه فتقدم انسان رستاقي الى باب الحمام ودخل ونزع ثيابه ودخل الحمام فراى علي بن موسى فظن
انه بعض خدم الحمام فقال له قم فاحمل الي الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يامره فرجع الحمامي
فراى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج علي بن موسى
وسال عن الحمامي فقيل انه هرب فقال لا ينبغي ان يهرب انما الذنب لمن وضع ماءه عند امة سوداء ويروى
ان عبد الله الخياط كان يقعد على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله في الخياطة وكان اذا خاط له ذلك
المجوسي حمل اليه دراهم زيوفا وكان عبد الله ياخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فقضى من القضاء ان
عبد الله قام من الحانوت لبعض حوايجه فتقدم المجوسي الى تلميذه واسترجع منه ما خاطه ودفع اليه درهما
زايفا فلما نظر فيه التلميذ رده عليه فلما عاد عبد الله اخبره بذلك فقال بئس ما عملت هو يعاملني بهذه
المعاملة منذ مدة وانا اصبر عليه واخذ الدرهم والقيه في البير كيلا يغر به مسلما وقال يوسف بن اسباط
علامة حسن الخلق عشرة اشياء قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو
من السيئات والتماس المعذرة واحتمال الاذى والرجوع بالملامة على نفسه والتفرد بمعرفة عيوب نفسه
دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه وفوقه وسئل سهل عن حسن
الخلق فقال ادناه احتمال الاذى وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقيل
الاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس

في دار اذ جاءت جارية له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن صغير له فمات فدهشت الجارية
فقال لا روع عليك انت حرة لوجه الله وقيل كان اويس القرني اذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة وهو يقول
ان كان ولا بد فارموني بالصغار كي لا تدموا ساقي فتمنعوني من الصلوة وشتم رجل الاحنف بن قيس
وكان يتبعه فلما قرب من الحي وقف وقال ان بقي في نفسك شيء فقله كيلا يسمع بعض سفهاء الحي
فيجيبونك وروي ان عليا كرم الله وجهه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه
فرآه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام فقال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك فتكاسلت
فقال امض فانت حر لوجه الله وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي
اضله اهل البصرة وقيل ليحيى بن زياد الحارثي وكان له غلام سوء لم تمسك هذا الغلام قال لاتعلم عليه
الحلم فهذه النفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت اخلاقها ونقي عن الغش والغل بواطنها فاثمرت
الرضا بكل ما قدره الله وهو منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهؤلاء
ظهرت هذه العلامات على ظواهرهم كما ذكرنا فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي ان يغتر
بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي ان يشتغل بالرياضة والمجاهدة الى ان يبلغ درجة حسن
الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون **بيان الطريق في رياضة
الصبيان في اول النشو ووجه تاديبهم وتحسين اخلاقهم** اعلم ان الصبي امانة عند
والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومايل
الى كل ما يمال اليه فان عود الخير والعلم نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه ابواه
وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر واهمل اهمال البهايم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه
والوالي عليه وقد قال عز وجل قوا انفسكم واهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه من نار الدنيا فبان يصونه
من نار الدنيا فبان يصونه من نار الآخرة اولى وصيانته بان يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق
ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة واسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها
اذا كبر ويهلك هلاك الابد بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امراة
صالحة متدينة تاكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته
من الخبيث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما رأى فيه مخايل التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته واول
ذلك ظهور اوائل الحياء فاذا كان يحتشم ويستحيي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه
حتى يرى بعض الاشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحيي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله

وبشارة على تدل اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحيي
لا ينبغي ان يهمل بل يستعان على تاديبه بحيائه وتمييزه واول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام
فينبغي ان يؤدب فيه مثل ان لا ياخذ الطعام الا بيمينه ويقول بسم الله عند اخذه وياكل مما يليه ولا يبادر
الى الطعام قبل غيره ولا يحدق الى الطعام ولا الى من ياكل ولا يسرع في اكل الطعام ويمضغ الطعام
مضغا جيدا ولا يوالي بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه ويعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير
بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه من يكثر الاكل بالبهائم وبان يذم بين يديه الصبي
الذي يكثر الاكل ويمدح بين يديه الصبي المتادب القليل الاكل ويحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة
به والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان ويحبب اليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم ويقرر
عنده ان ذلك لباس النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما راى على صبي ثوبا
من ابريسم او ملون فينبغي ان يستنكره ويذم ذلك ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفه
ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فان الصبي اذا اهمل في ابتداء نشوه خرج في الاكثر
ردي الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن
التاديب ثم ينبغي ان يشغل في المكتب بتعلم القران وباحاديث الاخبار وحكايات الابرار واحوالهم لينغرس
في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله ويحفظ عن مخالطة الادباء الذين
يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي
خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس فان خالف ذلك
في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل ولا يهتك ستره ولا يكاشف ولا يظهر انه يتصور ان يتجاسر احد
على مثله لا سيما اذا ستره الصبي واجتهد فان اظهار ذلك ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة بعد ذلك
فان عاد ثانيا فينبغي ان يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال اياك ان يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين
يدي الناس ولا يكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط
وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه لا يوبخه الا احيانا والام تخوفه بالاب وتزجره عن
القبائح وينبغي ان يمنع النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع النوم ليلا ولكن يمنع الفرش الوطية حتى تصلب
اعضاؤه ولا يستخف بدنه ولا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم وينبغي ان يمنع كل
ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار
المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ويعود ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل

يضمها الى صدره ويمنع من ان يفتخر على اقرانه بشيء مما يملكه والداه او بشيء من مطاعمه وملابسه او لوحه ودواته
ويعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف معهم في الكلام ويمنع من ان ياخذ من الصبيان شيئا بدا له
حشمة ان كان من اولاد المحتشمين بل يعلم ان الرفعة في الاعطاء لا في الاخذ وان الاخذ لوم وخسة وان كان
من اولاد الفقراء فيعلم ان الاخذ والطمع مهانة ومذلة وان ذلك من داب الكلاب فانه تبصبص في انتظار
اللقمة وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما اكثر مما يحذر من الحيات
والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما اكثر من آفة السموم على الصبيان بل على الاكابر
ايضا وينبغي ان يعود ان لا يبزق في مجلسه ولا يمتخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على
رجل ولا يضرب كفه تحت ذقنه ولا يعمد راسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس
ويمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على الوقاحة وان ذلك فعل ابناء اللئام ويمنع اليمين راسا صادقا
وكاذبا حتى لا يتعوده في الصغر ويمنع من ان يبتدئ بالكلام ويعود ان لا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال وان يحسن
الاستماع مهما تكلم من هو اكبر منه سنا وان يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام
وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فانه يسري لا محالة من قرناء السوء
واصل تاديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع باحد
بل يصبر ويذكر ان ذلك داب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ داب المماليك والنسوان وينبغي ان يؤذن له بعد الانصراف
من الكتاب ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب الادب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه
الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص العيش عليه حتى يطلب منه الخلاص راسا وينبغي ان يعلم طاعة
والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو اكبر سنا منه من قريب واجنبي وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك
اللعب بين ايديهم ومهما بلغ سن التمييز ينبغي ان لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض الايام
من رمضان ويجنب لبس الحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة واكل الحرام
ومن الكذب والخيانة والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوؤه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ
امكن ان يعرف اسرار هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة ادوية وانما المقصود منها ان يقوى الانسان على عبادة الله
بها وان الدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وان الموت منتظر في
كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان نعيمه فاذا
كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ نافعا مؤثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش على الحجر وان وقع
النشو بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر

بنا قلبه عن قبول الحق نبوة الحايط عن التراب اليابس فاوايل الامر هي التي ينبغي ان يراعي فان الصبي خلق جوهره
قابلا للخير والشر جميعا وانما ابواه يميلان به الي احد الجانبين قال صلي الله عليه وسلم كل مولود يولد علي الفطرة فابواه
يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقال سهل التستري كنت ابن ثلث سنين فكنت اقوم بالليل وانظر الي صلاة
خالي محمد بن سوار فقال لي خالي يوما الا تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف اذكره قال قل بقلبك عند تقلبك
في ثيابك ثلث مرات من غير ان تحرك به لسانك الله معي الله ناظر الي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته
فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة احد عشر مرة فقلت ذلك فوقع في
قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه الي ان تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا
والآخرة فلم ازل علي ذلك سنتين فوجدت لها حلاوة في سري فقال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه
وهو ناظر اليه وشاهده يعصيه اياك والمعصية فكنت اخلوا فبعثوني الي المكتب فقلت لاخشى ان يتفرق
علي همي ولكن شارطوا المعلم اني اذهب اليه ساعة فاتعلم ثم ارجع فمضيت الي الكتاب وحفظت القرآن
وانا ابن ست سنين او سبع سنين وكنت اصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنا عشر سنة فوقعت لي مسئلة
وانا ابن ثلثة عشر سنة فسالت ان يبعثوا بي الي البصرة اسال عنها فجئت البصرة وسالت علمايها فلم يشف
عني احد شيا فخرجت الي عبادان الي رجل يعرف بابي حبيب بن حمزة بن عبد الله العباداني فسالته عنها فاجابني
فاقمت عنده مدة انتفع بكلامه واتادب بادبه ثم رجعت الي تستر فجعلت قوتي اقتصارا علي ان يشتري لي بدرهم
من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فافطر عند السحر كل ليلة علي اوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا ادام فكان يكفيني
ذلك الدرهم سنة ثم عزمت علي ان اطوي ثلث ليال ثم افطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمس وعشرين ليلة وكنت علي
ذلك عشرين سنة ثم خرجت اسيح في الارض سنين ثم رجعت الي تستر وكنت اقوم بالليل كله

بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك الرياضة

اعلم ان من شاهد الآخرة
بقلبه مشاهدة يقين اصبح بالضرورة مريدا حرث الآخرة مشتاقا اليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا
ولذاتها فان من كان معه خرزة فراي جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة
ومن ليس مريدا حرث الآخرة وطالبا لها لله تع فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الآخر ولست اعني بالايمان حديث القلب
وحركة اللسان بكلمتي الشهادتين من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بان الجوهرة
خير من الخرزة الا انه لا يدري من الجوهر الا لفظها واما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا الف الخرزة قد لا يتركها
ولا يعظم اشتياقه الي الجوهرة فاذا المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من
الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله الهادين الي طريقه والمنبهين

على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدتهم
وليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من
العلماء وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق
العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله عز وجل عن السالكين ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى
غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فان تنبه متنبه من نفسه او من تنبيه غيره
وانبعثت له ارادة في حرث الآخرة وتجارتها فينبغي ان يعلم ان له شروطا لابد من تقديمها في بداية الارادة وله
معتصم لابد من التمسك به وله حصن لابد من التحصن به ليأمن من الاعداء القطاع لطريقه وله وظائف لابد من
ملازمتها في وقت سلوك الطريق فاما الشروط التي لابد من تقديمها في الارادة فهو رفع السد والحجاب
الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون والسد بين المريد والحق اربعة
المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرتفع حجاب المال بان يفرقه ويخرجه من ملكه حتى لا يبقى له الا قدر
ضرورته فما دام له درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله تعالى وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد
عن موضع الجاه وبالتواضع وايثار الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب الخلق وانما يرتفع حجاب
التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان يصدق بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويحرص
في تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود له سوى الله واعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة
الامر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب
عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في قلبه متسع لغيره صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد
الانتماء الى مذهب معين اصلا واما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها الا التوبة والخروج عن المظالم
وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم
يهجر المعاصي الظاهرة واراد ان يقف على اسرار القرآن وتفسيره وهو لا يتعلم لغة العرب بعد فان ترجمة عربية
القرآن لابد من تقديمه اولا ثم الترقي الى اسرار معانيه وكذلك لابد من تصحيح ظاهر الشريعة اولا وآخرا ثم الترقي
الى اغوارها واسرارها فاذا قدم هذه الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث
وصار صالحا للصلاة فيحتاج الى امام يقتدي به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه
الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده
الشيطان الى طرقه لا محالة فمن سلك البوادي المهلكة بنفسه من غير خفير فقد خاطر بنفسه واهلكها ويكون

المستقل بنفسه كالشجرة التي نبتت بنفسها فانها تجف عن القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر فمعتصم المريد
بعد تقديم الشروط التي ذكرناها شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شاطئ البحر بالقائد بحيث تفوض اليه امره
بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يبقي في متابعته شيئا ولا يذر وليعلم ان نفعه في خطاء شيخه لو اخطا
اكثر من نفعه في صواب نفسه لو اصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه ان يحميه ويعصمه بحصن حصين
يرفع عنه قواطع الطريق وهي اربعة امور الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود
المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه فاما الجوع فانه ينقص دم القلب فيبيضه وفي بياضه نوره ويذيب
شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما ان قسوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق
فيه مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتليه بالشهوات قال عيسى عليه السلم يا معشر الحواريين جوعوا
بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم قال سهل ما صار الابدال ابدالا الا باربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال
عن الناس ففائدة الجوع في تنوير القلب وطهارته وتشهد له التجربة وسياتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب
كسر الشهوتين واما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره وينضاف الى الصفاء الذي حصل من الجوع
فيصير القلب كالكوكب الدري والمراة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الاخرة
وحقارة الدنيا وآفاتها وآفاتها فيتم به رغبته عن الدنيا واقباله على الاخرة والسهر ايضا نتيجة الجوع فان
السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لاسرار
الغيب فقد قيل ان من صفة الابدال ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابرهيم الخواص اجمع
راي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء واما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو
عن مشاهدة من يقوم له بطعام وشراب وتدبير امر فينبغي ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل
القلب وشره القلوب للكلام عظيم فيستروح اليه ويستثقل التجرد للفكر ويستريح اليه فالصمت يلقح العقل
ويجلب الورع ويعلم التقوى واما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب
والقلب في حكم حوض تنصب اليه مياه كدرة قذرة من انهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك
المياه ومن الطين الحاصل منها ليتحفر اسفل الحوض فيتفجر منه الماء اللطيف الطاهر فكيف يصح ان ينزح الماء
من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد في كل حال اكثر مما ينقص ولا بد من ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة
وليس يتم ذلك الا بالخلوة في مكان مظلم فان لم يكن مكان مظلم فيلف راسه في الجيب او يتدثر بكساء او ازار
ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية اما ترى ان نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلغه وهو على هذه الصفة فقيل له يا ايها المزمل يا ايها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن تدفع عنه القواطع

ويمتنع منه العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات
ولا عقبة علي طريق الله الا صفات القلب التي سببها الالتفات الي الدنيا وبعض تلك العقبات اعظم من
بعض والترتيب في قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل وهي اعني تلك الصفات اسرار العلايق التي
قطعها اول الارادة وآثارها اعني آثار المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الي الخلق والتشوف الي
المعاصي فلابد ان يخلي الباطن عن آثارها كما اخلا الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة
ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص يكون قد كفي اكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا
ان طريق المجاهدة مضادة الشهوة ومخالفة الهوي في كل صفة غالبة علي نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفي
ذلك او ضعف بالمجاهدة ومضادة الهوى ولم يبق في قلبه علاقة تشغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه علي الدوام
ويمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر علي الفرايض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد
وثمرتها اعني ملازمة القلب لذكر الله تعالي بعد الخلو عن ذكر غيره ولا يشغله به ما دام قلبه ملتفتا الي علايقه
قال الشبلي للحصري ان كان يخطر علي قلبك من الجمعة الي الجمعة التي تاتيك شي غير الله فحرام عليك ان تاتيني
وهذا التجرد لا يحصل الا مع صدق الارادة واستيلاء حب الله علي القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر
الذي ليس له الا هم واحد فان كان كذلك الزمه الشيخ زاوية ينفرد به ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت
حلال فان اصل الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس
ويقول له مثلا الله الله الله سبحان الله او ما يراه الشيخ من الكلمات ولا يزال يواظب عليه حتى يسقط حركة لسانه
ويكون الكلمة كانها جارية علي اللسان من غير تحريك ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ
وصورته ويبقى حقيقة معناه للقلب لازما حاضرا معه غالبا عليه قد فرغ القلب عن كل ما سواه لان القلب
اذا اشتغل بشي خلا عن غيره اي شي كان فاذا اشتغل بذكر الله وهو المقصود خلا عن غيره لا محالة وعند ذلك
يلزمه ان يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه من احواله واحوال غيره فانه مهما
اشتغل بشي منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان ذلك نقصانا فليجتهد في دفع ذلك
برفع الوساوس كلها ورد النفس الي هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وانها ما هي وما معنى قولنا
الله ولاي معنى كان الها وكان معبودا ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس
الشيطان ما هو كفر او بدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة الي
ما يعلم قطعا ان الله تعالي منزه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه علي خاطره فشرطه ان لا يبالي به
ويفزع الي ذكر الله ويبتهل اليه ليدفع ذلك ويدفعه عنه كما قال عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ

بالله من الشيطان الرجيم وقال عز وجل ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون
والى ما يشكل فيه فينبغي ان يعرض ذلك على شيخه بل كلما يجده في قلبه من الاحوال من فترة او نشاط او التفات
الى علقة او صدق في ارادة فينبغي ان يظهر ذلك لشيخه ويستره عن غيره فلا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه
ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فان علم انه لو تركه وامره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق فينبغي
ان يحيله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وان علم ان ذلك
مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد الصحيح بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغي ان
يتانق الشيخ ويتلطف فان هذه مهالك الطريق ومواقع اخطارها فكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب
عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو
الهلاك العظيم ومن تجرد للفكر ودفع العلايق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن امثال هذه الافكار فانه قد ركب
سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان اخطا كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بدين
العجائز وهو تلقي اصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال باعمال الخير فان الخطر في العدول
عن ذلك كثير ولهذا يجب على الشيخ ان يتفرس في المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله
بالذكر والفكر بل رده الى الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة او يشغله بخدمة المتجردين للفكر ليشمله بركتهم
فان العاجز عن المجاهدة في صف القتال ينبغي ان يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيمة في زمرتهم
وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح
بما ينكشف من الاحوال وما يبدو من اوايل الكرامات ومهما التفت الى شيء من ذلك وشغل نفسه كان ذلك
فتورا في طريقه ووقوفا بل ينبغي ان يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا يرويه البحار ولو افيضت
عليه ويدوم عليه وراس ماله الانقطاع عن الخلق وقال بعض السايحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن
الخلق كيف الطريق الى التحقيق فقال مرة قلت له دلني على عمل اعمله اجد فيه قلبي مع الله تعالى في كل وقت
على الدوام فقال لي لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لابد لي قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة
قلت لابد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت انا بين اظهرهم لابد لي من معاملتهم قال
فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذه العلة قال يا هذا تنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين
وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله على الدوام هذا ما لا يكون ابدا فاذا منتهى الرياضة ان يجد
قلبه مع الله ابدا ولا يمكن ذلك الا بان يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره الا بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله
انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق فظهر له من لطايف رحمة الله ما لا يجوز ان يوصف بل لا يحيط الى صفة

اصلا واذا انكشف للمريد شي من ذلك واعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدي للتذكير فيجد النفس فيه
لذة ليس وراها لذة فيدعو تلك اللذة الي ان يتفكر في كيفية ايراد تلك المعني وتحسين الالفاظ عنه وترتيب
ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والاخبار وتحسين صورة الكلام ليميل اليه القلوب والاسماع والشيطان
ربما يخيل اليه ان هذا منك احيا لقلوب الموتي الغافلين عن الله وانما انت واسطة بين الله وبين الخلق
تدعوا عباده اليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بان يظهر في اقرانه من يكون
احسن منه كلاما واجزل لفظا واقدر علي جلب قلوب العوام فانه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة ان محركه
لذة القبول وان كان محركه هو الحق حرصا علي دعوة عباد الله الي صراط المستقيم فيعظم به فرحه ويقول الحمد لله
الذي عضدني وايدني بمن يوازرني علي اصلاح عباده كالذي وجب عليه ان يحمل ميتا ليدفنه اذ وجده ضايعا
وتعين عليه ذلك شرعا فجاء من اعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد معينه والغافلون موتي والوعاظ هم المنبهون
والمحيون ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي ان يعظم الفرح به وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي ان يكون المريد
علي حذر منه فانه اعظم حبايل الشيطان في قطع الطريق علي من انفتحت له اوايل الطريق فان ايثار الحياة
الدنيا طبع غالب علي الانسان ولذلك قال عز وجل بل تؤثرون الحياة الدنيا ثم بين ان الشر قديم في الطباع
وان ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال ان هذا لفي الصحف الاولي صحف ابرهيم وموسي فهذا منهاج رياضة
المريد وتربيته في التدريج الي لقاء الله تع اما تفصيل الرياضة في كل صفة فسياتي فان اغلب الصفات علي الانسان
بطنه وفرجه ولسانه اعني الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما احب
الانسان شهوة البطن والفرج وانس بها احب الدنيا ولم يتمكن منها الا بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه
حدث فيه العجب والكبر والرياسة واذا ظهر ذلك ولم يسمح نفسه بترك الدنيا راسا تمسك من الدنيا بما فيه الرياسة
وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا تقديم هذين الكتابين وانما يستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب
كتاب كسر الشهوتين البطن والفرج كتاب في كسر الغضب والحقد والحسد كتاب في كسر شره الكلام كتاب
في ذم الدنيا وتفصيل خدعها كتاب في كسر حب المال وذم البخل كتاب في ذم الريا وحب الجاه كتاب في الكبر
والعجب كتاب في مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات
انشاء الله تع فان ما ذكرناه في الكتاب الاول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات

وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الي طريق تهذيب
الاخلاق ومعالجة امراض القلوب اما تفصيلها فانما يأتي
في هذه الكتب ان شاء الله تم الكتاب والحمد لله رب العالمين

كتاب كسر الشهوتين البطن والفرج

وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله المتفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القايم بالعدل
فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم
عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي بامانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه واذا
مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ثم يرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه
ويحفظه عن الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت
ويقويه حتى يضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به سطوة النفس التي يعاديه فيدفع شرها ثم يعبد
ربه ويتقيه هذا بعد ان يوسع عليه ما كان يلذه ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويحرك دواعيه
كل ذلك يمتحنه به ويبتليه فينظر كيف يوثره على ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ اوامره وينتهي عن نواهيه
ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلوة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلاة تزلفه وتحظيه
وترفع منزلته وتعليه وعلى الابرار من عترته واقربيه والاخيار من صحابته وتابعيه اما بعد فاعظم
المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها اخرج آدم وحوا من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن
الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الآفات
اذ تتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم تتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال
والجاه الذان هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات
وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد بينهما آفة الريا وغايلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك
الى الحسد والحقد والعداوة والبغضاء ثم يفضي بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشا وكل ذلك ثمرة
اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان
لاذعنت لطاعة الله ولم يسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على
العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها
وآفاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة
الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله في فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوايد الجوع ثم طريق
الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتاخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف

احوال الناس ثم بيان الرياء في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله
ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين بيان فضيلة الجوع وذم الشبع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله فانه ليس من عمل احب
الى الله عز وجل من جوع وعطش وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السماء من ملا
بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال من قل طعامه وضحكه ورضي بما يستر به عورته وقال صلى الله عليه وسلم
سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم البسوا واشربوا
وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم الفكر نصف العبادة وقلة
الطعام هي العبادة وقال الحسن قال صلى الله عليه وسلم افضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم
عند الله كل نؤوم اكول شروب وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز اي مختارا له وقال صلى الله
عليه وسلم ان الله يباهي الملائكة من قل مطعمه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب
في الدنيا فتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها درجات في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم
لا تميتوا القلب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه وسلم ما ملا
ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه
وثلث لنفسه وفي حديث اسامة بن زيد وحديث ابي هريرة الطويل ذكر فضل الجوع اذ فيه ان اقرب الناس
من الله تعالى يوم القيمة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الاخفياء الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا
وان غابوا لم يفتقدوا يعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله
افترش الناس الفرش وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها تبكي الارض
اذا فقدتهم ويسخط الله على كل بلدة ليس فيها منهم لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف اكلوا العلق
ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم
وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى امر اذهب عنهم الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول
عقلوا حيث ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا اسامة اذا رايتهم في بلدة فاعلم انهم امان لتلك
البلدة لا يعذب الله قوما هم فيهم الارض بهم رحيمة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تنجوا
بهم فان استطعت ان ياتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع
النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار وروى الحسن عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في انصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء وقال عيسى عليه السلام اجيعوا

اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وروي ذلك عن نبينا صلى الله عليه وسلم ايضا رواه طاوس
وفي التورية مكتوب ان الله ليبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر
ولاجله قال ابن مسعود ان الله يبغض القاري السمين وفي خبر مرسل ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم
فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفي الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال صلى الله عليه وسلم المومن ياكل
في معاء واحد والمنافق ياكل في سبعة امعاء اي ياكل سبعة اضعاف المومن او تكون شهوته سبعة امثال
شهوته ويكون المعاء كناية عن الشهوات لان الشهوة هي التي تقبل الطعام وتاخذه كما ياخذه المعاء وليس المعنى
زيادة عدد معاء المنافق على معاء المومن وروي الحسن عن عايشه رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلعم
يقول اديموا قرع باب الجنة يفتح لكم قلت وكيف نديم قرع باب الجنة فقال بالجوع والظماء وروي ان ابا جحيفة
تجشا في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقصر من جشايك فان اطول الناس جوعا يوم القيمة اكثرهم
شبعا في الدنيا فكانت عايشه رضي الله عنها تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلي قط شبعا وربما
بكيت له رحمة له مما ارى من الجوع فامسح بطنه بيدي واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك
ويمنعك من الجوع فيقول يا عايشه اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا
على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي
دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شي احب الي من اللحوق باخواني واخلاي
قالت عايشه والله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله صلى الله عليه وعلى آله وازواجه وسلم كثيرا وعن انس
قال جاءت فاطمة عليها السلم بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته
ولم تطب نفسي حتى اتيك بهذه الكسرة قال اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلثة ايام وقال ابو هريرة ما اشبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم اهله ثلثة ايام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان اهل
الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الآخرة وان ابغض الناس الى الله المتخومون والملاء وما ترك عبد اكلة يشتهيها
الا كان له درجة في الجنة واما الآثار فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال اياك والبطنة فانها
ثقل في الحياة ونتن في الممات وقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلتها المجاعة وقال لقمن لابنه
يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال الفضيل
بن عياض لنفسه اي شي تخافين اتخافين ان تجوعي لا تخافي ذلك انت اهون على الله من ذلك انما يجوع محمد صلعم
واصحابه وكان كهمس يقول الهي اجعتني واعريتني وفي ظلم الليالي اجلستني فبأي وسيلة بلغتني
وكان فتح الموصلي اذا اشتد مرضه وجوعه يقول الهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل على اوليائك فبأي

عمل وحي شكر ما انعمت علي به وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا ابا عبد الله طوبي لمن كانت له غليلة تقوته
ويغنيه عن الناس فقال يا ابا يحيى طوبي لمن اصبح جايعا وامسى جايعا وهو عن الله راض وقال الفضيل يقول
اجعتني واجعت عيالي وتركتني في ظلم الليل بلا مصباح وانما تفعل هذا باوليايك فباي منزلة نلت
هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبه وجوع التايبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع
الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التورية مكتوب اتق الله واذا شبعت فاذكر الجايع وقال ابو سليمان
لان اترك لقمة من عشاي احب الي من قيام ليلة الي الصبح وقال ايضا الجوع عند الله في خزانته لا يعطيه
الا لمن احبه وكان سهل التستري يطوي نيف وعشرين يوما لا ياكل وكان سهل التستري يطوي نيف
وعشرين يوما لا ياكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافي
القيمة عمل بر افضل من ترك الفضول الطعام والاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم في اكله وقال لم ير الاكياس
شيا انفع من الجوع للدنيا والدين وقال لا اعلم شيا اضر لكل طلاب الاخرة من الاكل وقال وضع الحكمة والعلم
في الجوع وجعل المعصية والجهل في الشبع وقال ما عند الله بشي افضل من مخالفة الهوى في ترك
الحلال فقد قال في الحديث ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما ياكل من حسناته وسيل عن الزيادة فقال لا
يجد الزيادة حتى يكون الترك احب اليه من الاخذ ويكون اذا جاع ليلة سال الله ان يجعلها ليلتين فاذا
كان كذلك وجد الزيادة وقال انما صار الابدال ابدالا الا باخماص البطون والصمت والسهر والخلوة وقال راس
كل بر بين السماء والارض الجوع وراس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس
وقال اقبال الله على العبد بالجوع والسقم والبلا الا من شا الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال فيه
احد النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والصبر والجهد وقال ما بشر على وجه الارض شرب من هذا الما
حتى روي فسلم من المعصية وان شكر الله فكيف الشبع من الطعام وسيل حكيم باي قيد اقيد النفس فقال
بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت ارجل ابناء الاخرة واكسرها
بترك زي القرا عن ظاهرها وانج من آفاتها بدوام سو الظن عليها واصحبها بخلاف هواها وكان
عبد الواحد بن زيد يقسم بالله ان الله تعالى ما صافى احدا الا بالجوع ولا مشوا على وجه الما الا بالجوع
ولا طويت لهم الارض الا بالجوع ولا والاهم الله تعالى الا بالجوع وقال ابو طالب المكي مثل البطن مثل
المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلي فكذلك الجوف
اذا خلا كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل للمنام وقال بكر بن عبد الله ثلثة يحبهم الله رجل قليل
النوم قليل الاكل قليل الراحة ويروى ان عيسى عليه السلم مكث يناجي ربه عز وجل ستين صباحا لم

ماكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة واذا برغيف موضوع فقعد يبكي لفقد المناجاة فاذا شيخ اظله فقال له عيسى عليه السلم ياولي الله ادع الله لي فاني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني فقال الشيخ اللهم ان كان الخبز خطر ببالي مذ عرفتك فلا تغفر لي وروي ان موسى عليه السلم لما قربه الله نجيا كان قد ترك الاكل اربعين يوما

بيان فوايد الجوع وآفات الشبع

تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي ان يعظم الفضل الآخر في كل ما يتاذى به الانسان من ضربه نفسه وقطعه لحمه وتناوله الاشياء الكريهة وما يجري مجراه. فاعلم ان هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به وظن ان منفعته لمرارة الدواء وكراهته فاخذ كل ما هو مكروه مر المذاق وهو غلط بل نفعه في خاصية من الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطباء فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع وان لم يعرف علة المنفعة كما ان من شرب الدواء انتفع وان لم يعلم وجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان اردت ان ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم يرفع الله الذين منكم والذين اوتوا العلم درجات ونقول في الجوع عشر فوايد **الفايدة الاولى** صفاء القلب وانقاد القريحة ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ كشبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا اكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والادراك وقال ابو سليمان عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب ويورث العلم السماوي وقال صلى الله عليه وسلم احيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترق ويقال مثل الجوع مثل الرعد والقناعة كالسحاب والحكمة كالمطر وقال صلى الله عليه وسلم من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم من شبع ونام قسا قلبه ثم قال ان لكل شيء زكوة وزكوة البدن الجوع وقال الشبلي ما جعت لله يوما الا رايت في قلبي بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقايق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من ابواب الجنة فبالحري ان يكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمن لابنه يابني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال ابو يزيد الجوع سحاب واذا جاع العبد مطر القلب بالحكمة وقال صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع والقربة الى الله حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فتطفي نور المعرفة من قلوبكم ومن بات يصلي ليس في جوفه من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح **الفايدة الثانية**

رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيا لادراك لذة المناجاة والتاثر بالذكر وكم من ذكر يجري علي اللسان مع حضور
القلب لا يلتذ به ولا يتاثر حتي كان بينه وبينه حجابا من قساوة القلب وقد يرق في بعض الاحوال فيعظم
تاثرها بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه قال ابو سليمان احلي ما يكون العبادة
الي اذا التصق ظهري ببطني وقال الجنيد يجعل احدكم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام ويريد ان يجد
حلاوة المناجاة وقال ابو سليمن القلب اذا جاع وعطش صفا ورق واذا شبع عمي وغلظ فاذا تاثر القلب
بلذة المناجاة امر ورا تيسر الفكر واقتناص المعرفة به فهو فايدة ثانية الفايدة الثالثة الانكسار
والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدا الطغيان والغفلة عن الله ولا تنكسر النفس ولا تذل لشي
كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف علي عجزها وذلها واذا ضعفت منتها وضاقت حيلتها
بلقمة الطعام التي فاتتها واظلمت عليها الدنيا لشربة ما تاخرت عنه لم يشاهد ذل نفسه وعجزه لا يري عزة
مولاه وقهره وانما سعادته ان يكون دايما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة
والقهر فليكن دايما جايعا مضطرا الي مولاه مشاهدا للاضطراب بالذوق ولذلك لما عرض علي رسول
الله صلي الله عليه وسلم الدنيا وخزاينها فقال لا اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت
واذا شبعت شكرت او كما قال فالبطن والفرج باب من ابواب النار واصله الشبع والذل والانكسار
باب من ابواب الجنة واصله الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما
متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من احدهما بعد من الاخري الفايدة الرابعة ان لا ينسي بلا
الله وعذابه ولا ينسي اهل البلا فان الشبعان ينسي الجايعين وينسي الجوع والعبد الفطن لا يشاهد
بلا الا ويتذكر بلا الاخرة فيتذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيمة ومن جوعه جوع اهل
النار حين يجوعون ويطعمون الزقوم والضريع ويسقون الغساق والمهل ولا ينبغي ان يغيب عن العبد
عذاب الاخرة والامها فانه الذي يهيج الخوف ومن لم يكن في ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلا نسي عذاب الاخرة
ولا يتمثل في نفسه ولم يغلب علي قلبه فينبغي ان يكون العبد في بلا او مشاهدة بلا فاولي ما يقاسي
من البلا بلا الجوع فان فيه فوايد جمة سوي تذكر عذاب الاخرة وهذا احد الاسباب الذي اقتضي اختصاص
البلا بالانبيا والاوليا والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلم لم تجوع وفي يديك خزاين
الارض فقال اخاف ان اشبع فانسي الجايع فذكر الجايعين والمحتاجين احد فوايد الجوع فان ذلك يدعو
الي الرحمة والاطعام والشفقة علي خلق الله تع والشبعان في غفلة عن الم الجايع الفايدة الخامسة
وهي من كبار الفوايد كسر شهوات المعاصي عليها والاستيلا علي النفس الامارة بالسو فان منشا

المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة
وانما السعادة كلها في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة في ان يملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح
الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس وقيل لبعضهم ما بالك مع كبرك
لا تتعهد بدنك وقد انهدم فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجمح فيورطني ولان احمله على
الشدايد احب الي من ان يحملني على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا وقد عصيت او هممت
بمعصية وقالت عائشة رضي الله عنها اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان
القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا فهذه ليست فايدة واحدة بل هي خزاين الفوايد
ولذلك قيل الجوع خزانة من خزاين الله فاول ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجايع
لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة
وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك فاذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب
الناس في النار على مناخرهم الا حصايد السنتهم واما شهوة الفرج فلا يخفى غايلتها والجوع يكفي شرها
واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعه التقوى لم يملك عينه والعين تزني كما ان الفرج يزني فان
ملك عينه بغطاء التقوى فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الردية وحديث النفس باسباب الشهوة
ما يتشوش به مناجاته وربما عرض في اثناء الصلوة وانما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا والا فجميع
معاصي الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على
الخبز البحت سنة لا يخالط معه شيء من الشهوات وياكل بنصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء
الفايدة السادسة دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولذلك
كان يقول بعض الشيوخ على راس السفرة معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا
كثيرا واجمع سبعون صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد
وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره
ينقص من العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواته ومهما غلب النوم وان تهجد لم يجد حلاوة العبادة
ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد
فيتاذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد اخره للتهجد ثم يحتاج
الى مؤنة الحمام وربما يقع عينه على عورة في دخول الحمام فان فيه ايضا اخطارا ذكرناها في الطهارة وكل
ذلك اثر الشبع وقد قال ابو سليمان الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر

الفسد في كل حال فالنوم منبع الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له **الفايدة السابعة**
تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه
بالاكل وربما يحتاج الى زمان في شري الطعام او طبخه ثم يحتاج الى غسل آلته والخلال ثم يكثر
تردده الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذه لو صرفها الى الذكر والمناجاة وساير
العبادات لكثر ربحه قال السري رايت مع الجرجاني سويقا يسف منه فقلت ما دعاك الى هذا فقال
اني حسبت بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة فانظر
كيف اشفق على وقته فلم يضيعه في المضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها فينبغي ان يستوفي
منه خزانة ما فيه في الآخرة لا اخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله تعالى وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة
الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لشرب الماء واراقته ومن جملته الصوم
فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف اوقات شغل الاكل
واسبابه الى العبادة ارباح عظيمة انما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا
بالحيوة الدنيا واطمانوا بها ويعرفون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقد اشار
ابو سليمان الداراني الى ست آفات ومن قال شبع بطنه دخل عليه ست آفات فقد حلاوة العبادة
وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباعا وثقل العبادة
وزيادة الشهوات وان ساير المومنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل
الفايدة الثامنة من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول
فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر
والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن
وتبعات لا يخلو الانسان فيها بعد التعب عن انواع من المعاصي واقتحام الشبهات وفي الجوع ما يدفع
عنه كل ذلك حكي ان الرشيد جمع اربعة اطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي فقال ليصف
كل واحد منهم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الاهليلج الاسود
وقال الرومي هو حب الرشاد الابيض وقال العراقي عندي هو الماء الحار وقال السوادي وكان اعلمهم
الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يرق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة
وهو داء فقال فما عندك قال الدواء الذي لا داء فيه عندي ان لا تاكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع
يدك عنه وانت تشتهيه فقال صدق وذكر لبعض الفلاسفة من اطباء اهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم

ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الاكل احكم من هذا فانه لكلام
حكيم وقال صلى الله عليه وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاد وانا اظن ان
تعجب الطبيب من هذا الخبر لا من ذاك وقال ابن سلام من اكل خبز الحنطة معا بادب لم يسله الا علة الموت قيل
له وما حكم الادب قال تاكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع وقال بعض افاضل الاطبا في ذم الاستكثار ان
انفع ما ادخل الانسان معدته الرمان واضر ما ادخل معدته المالح ولان يتقلل من المالح خير له من ان يستكثر
من الرمان وفي الخبر المشهور صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع وتقليل الاكل صحة الاجسام من الاسقام
وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما الفائدة التاسعة خفة المونة فان من تعود
قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له ياخذ بمخنقه كل يوم فيقول
ماذا اكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي او من الحلال فيذل ويتعب وربما يحتاج
الى ان يمد عين الطمع الى الخلق وهو غاية الذل والمهانة والمؤمن خفيف المونة وقال بعض الحكما اني
لاقضي عامة حوائجي بالترك فيكون اروح لنفسي وقال اخر اذا اردت ان استقرض من غيري لشهوة او زيادة
استقرض من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان ابرهيم بن ادهم يسال اصحابه عن اثمن المأكول
فيقال انه غال فيقول ارخصوا بالترك وقال بعض الادبا في معناه اذا ما غلا شي على تركته فيكون ارخص
ما يكون اذا غلا شعر اذا شئت ان تستقرض المال منفقا على شهوات النفس في زمن العسر فسل نفسك
الانفاق من كنز صبرها عليك وارفاقا الى زمن اليسر وقال سهل الاكول مذموم في ثلثة احوال ان كان
من اهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا لا يسلم من الافات وان كان ممن يدخل عليه شي فلا ينصف
الله من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن والفرج وسبب
شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الابواب كلها وهي ابواب النار وفي حسمها
فتح ابواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم اديموا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع
في ساير الشهوات ايضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله تعالى
وتجارة الاخرة فيكون من الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فانه انما لا تلهيهم لاستغنائهم
عنها بالقناعة فاما المحتاج فيلهيه لا محالة الفائدة العاشرة ان يتمكن به من الايثار
والتصدق بما فضل من الاطعمة على الايتام والمساكين ويكون يوم القيمة في ظل صدقته كما ورد في الخبر
فما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل الله فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل
فافنى او لبس فابلى والتصدق بفضلات الطعام اولى من التخمة والشبع كان الحسن اذا تلا قوله

انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما
جهولا قال عرضها على السموات السبع الطباق الطرائق اللاتي زينت بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال
لها هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها قيل ان احسنت جزيت وان اسات عوقبت قالت لا ثم
عرضها على الارض كذلك فابت ثم عرضها على الجبال الصم الشوامخ البواذخ الصعاب الصلاب فقيل لها
هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها قيل الجزاء والعقوبة قالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها
انه كان ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه فقد رايناهم والله اشتروا الامانة باموالهم فاصابوا آلافا فاذا
صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا قبورهم واسمنوا براذينهم واهزلوا دينهم واتعبوا انفسهم بالغدو والرواح
الى باب هذا السلطان يتعرضون للبلاء وهم من الله في عافية تقول قائلهم تبيعني ارض كذا وكذا وازيدك
كذا وكذا يتكي احدهم على شماله وياكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام حتى اذا ابلغت به الكظة ونزلت
به البطنة قال يا غلام ايتني بشيء يهضم طعامي يا لكع اطعامك تهضم انما دينك تهضم اين الفقير اين الارملة
اين اليتيم اين المسكين الذي امرك الله تعالى به وهذه اشارة الى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام الى
الفقراء ليدخر به الاجر فذلك خير من ان ياكله حتى يتضاعف عليه الوزر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل
سمين البطن فاومى الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك اي لو قدمته لآخرتك
وآثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد ادركنا رجالا كان رجل منهم يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء
لاكله كله فيقول والله لا اجعل هذا كله في بطني حتى اجعل بعضه لله فهذه عشر فوائد للجوع يتشعب عن كل
واحدة منها فوائد لا تنحصر درره ولا تتناهى فوائده والجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة ولهذا قال بعض
السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الاخبار
التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد يدرك معاني تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة واذا لم تعرف
هذا وصدقت بفضل الجوع كان لك رتبة المقلدين في الايمان بيان طريق الرياضة في كسر شهوة
البطن اعلم ان على المريد في بطنه وماكوله اربع وظائف الاول ان لا ياكل الا حلالا فان العبادة مع اكل الحرام
كالبناء على امواج البحر وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلاث وظائف
خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين الجنس
الماكول بتناول المشتهيات اما الوظيفة الاولى في تقليل الطعام فسبيل الرياضة فيه التدريج فمن تعود
الاكل الكثير فانتقل دفعة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه
قليلا قليلا وذلك ان ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان ياكل في كل يوم رغيفين مثلا

فاراد ان يرد الي واحد فينقص في كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص منه جزوا من ثمانيه وعشرين جزء
او جزا من ثلثين جزا فيرجع الي رغيف في شهر ولا يتضرر به ولا يظهر اثره فان شاء فعل ذلك وزنا وان شاء
بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما اكله بالامس ثم هذا فيه اربع درجات اقصاها ان يرد
نفسه الي قدر القوام الذي لا يبقي دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري اذ قال ان الله سبحانه
تعبد الخلق بثلث بالحياة والقوة والعقل فان خاف العبد علي اثنين منها وهما الحيوة والعقل اكل وافطر
ان كان صايما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل علي القوة قال ينبغي ان لا يبالي ولو ضعف
حتي يصلي قاعدا وراي ان صلاته قاعدا مع ضعف الجوع افضل من صلوته قايما مع قوة الاكل وسيل
سهل رحمه الله عن بدايته وما كان يقوت به فقال كان قوتي في كل سنة ثلث دراهم وكنت آخذ
بدرهم دبسا وبدرهم سمنا وبدرهم دقيقا من دقيق الارز واسويه مخلطا ثلثماية وستين اكرة آخذ كل ليلة
اكرة افطر عليها فقيل له فالساعة كيف فقال اكل بلا حد وتوقيت ويحكي علي الرهابين انهم قد يردون انفسهم
الي مقدار درهم من الطعام الدرجة الثانية ان يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الي نصف
مد وهو رغيف وشي مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا ثلث البطن في حق الاكثر كما ذكره
النبي صلي الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة وهو لما دون العشرة وكان
ذلك عادة عمر بن الخطاب رضه اذ كان ياكل سبع لقم او تسع لقم الدرجة الثالثة ان يردها الي مقدار
المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد علي ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الي ثلثي البطن ويبقي
ثلث للشراب ولا يبقي شي للذكر وفي بعض الالفاظ ثلث للذكر بدل عليه قوله للنفس والرابع ان يزيد علي
المد الي المن ويشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا لقوله ولا تسرفوا اعني في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة
الي الطعام يختلف بالشخص والسن والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا تقدير فيه لكنه
موضع غلط وهو ان ياكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو علي شهوة صادقة بعد ولكن الغالب ان
من لم يقدر مع نفسه رغيفا او رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشبه ذلك بالشهوة الكاذبة
وقد ذكر للجوع الصادق علامات احدها ان لا تطلب النفس الادم بل ياكل الخبز وحده اي خبز كان
فمهما طلب خبزا بعينه او طلب ادما فليس ذلك بجوع وقيل ان يبزق فلا يقع الذباب عليه اي لا يبقي
فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك علي خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد ان يقدر مع نفسه
القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهي اليه وقف وان بقيت شهوته وعلي الجملة
فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص نعم كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة

في كل جمعة واذا اكلوا التمر اقتاتوا صاعا ونصف صاع وصاع الحنطة اربعة امداد فيكون كل يوم قريبا من نصف
مد وهو ما ذكرناه انه قدر ثلث البطن وفي التمر احتيج الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان ابو ذر يقول طعامي
في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ازيد عليه حتى القاه فاني سمعته يقول
اقربكم مني مجلسا يوم القيمة واحبكم الي من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم
نخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادمين واختلف عليكم الوان الطعام وغدا احدكم
في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان اهل الصفة قوتهم مدا
من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن يقول المومن مثل الغنيمة
يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا
وشربا شربا لا يطوى بطنه لجاره ولا يوثر اخاه بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم وقال سهل لو كانت الدنيا
دما عبيطا كان قوت المومن منها حلالا لان اكل المومن عند الضرورة بقدر القوام فقط به الوظيفة الثانية
في وقت الاكل ومقدار تاخيره وفيه ايضا درجات الدرجة العليا ان يطوى ثلثة ايام فما فوقها وفي المريدين
من يرد الرياضة الى الطي لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلثين واربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلماء
يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرني وعبد الرحمن بن ابرهيم دحيم وابرهيم التيمي وحجاج بن فرافصة وحفص
العابد المصيصي والمسلم بن سعيد وزهير وسليم الخواص وسهل بن عبد الله وابرهيم بن احمد الخواص وقد
كان ابو بكر الصديق رضه يطوى ستة ايام وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة ايام وكان ابو الجوزاء صاحب
ابن عباس يطوي سبعا وروي ان الثوري وابرهيم بن ادهم كانا يطويان ثلثا ثلثا كل ذلك كانوا يستعينون
بالجوع على طريق الآخرة قال بعض العلماء من طوي اربعين يوما من الطعام ظهرت له قدرة في الملكوت
اي كوشف ببعض الاسرار الالهية وقد وقف بعض هذه الطايفة على راهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه
وترك ما هو عليه من الغرور وكلمه في ذلك بكلام كثير الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوى اربعين يوما وانه
معجزة لا يكون الا لنبي او صادق فقال له الصوفي فان طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل في دين الاسلام
وتعلم انه حق وانك على باطل فقال نعم فقعد لا يبرح الا حيث يراه حتى طوي خمسين يوما فقال ازيدك ايضا
وطوي الى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن ان احدا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب اسلامه
فهذه درجة عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى
نفسه في لذته وانساه جوعه وحاجته الدرجة الثانية ان يطوي يومين الى ثلث وليس ذلك خارجا
عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد والمجاهدة الدرجة الثالثة وهي ادناها ان يقتصر في اليوم

واللیلة علی اکلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلک اسراف ومداومة الشبع حتی لا یکون له حالة جوع
وذلک فعل المسرفین وهو بعید من السنة روی ابو سعید الخدری انه صلی الله علیه وسلم کان اذا تغدی لم
یتعش واذا تعشی لم یتغد وکان السلف یاکلون فی کل یوم اکلة وقال صلعم لعایشه رضی الله عنها ایاک والاسراف
فان اکلتین فی کل یوم من السرف واکله واحدة فی کل یومین اقتار واکلة فی کل یوم قوام بین ذلک وهو محمود
فی کتاب الله تعالی ومن اقتصر فی کل یوم علی اکلة واحدة فیستحب ان یاکلها سحرا قبل طلوع الصبح فیکون
اکله بعد التهجد وقبل الصبح ویحصل له جوع النهار للصیام وجوع اللیل للقیام وخلو القلب لفراغ المعدة
ورقة الفکر واجتماع الهم وسکون النفس الی المعلوم فلا ینازعه قبل وقته ومن حدیث عاصم بن کلیب عن
ابیه عن ابی هریرة قال ما قام رسول الله صلی الله علیه وسلم قیامکم هذا قط وان کان لیقوم حتی تورم قدماه
وما واصل وصالکم هذا قط غیر انه قد اخر الفطر الی السحر وفی حدیث عایشه رضی الله عنها کان رسول الله صلعم
یواصل الی السحر فان کان یلتفت قلب الصایم بعد المغرب الی الطعام وکان یشغله عن حضور القلب فی التهجد
فالاولی ان یقسم طعامه نصفین ان کان رغیفین مثلا اکل رغیفا عند الفطر ورغیفا عند السحر لیسکن
نفسه ویخف عند التهجد بدنه ولا یشتد بالنهار جوعه لاجل سحوره فیستعین بالرغیف الاول علی التهجد وبالثانی
علی الصوم ومن کان یصوم یوما ویفطر یوما فلا باس ان یاکل یوم فطره وقت الظهر ویوم صومه وقت السحر
فهذه هی الطرق فی مواقیت الاکل وتقاربه وتباعده قاعدة الوظیفه الثالثه فی نوع الطعام وترک الادام
واعلی الطعام مخ البر فان اکل فهو غاية الترفه واوسطه شعیر منخول وادناه شعیر لم ینخل واعلی الادام اللحم
والحلاوة وادناه الملح والخل واوسطه المزورات بالادهان من غیر لحم وعادة سالکی طریق الآخرة الامتناع
عن الادام علی الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان کل لذیذ تشتهیه الانسان واکله اقتضی ذلک بطرا فی
نفسه وقسوة فی قلبه وانسا لقلبه بلذات الدنیا حتی یالفها ویکره الموت ولقاء الله ویصیر الدنیا جنة فی
حقه ویکون الموت سجنا واذا منع نفسه شهواتها وضیق علیها وحرمها لذاتها صارت الدنیا سجنا علیه
ومضیقا اشتهت النفس الانفلات منها فیکون الموت اطلاقها والیه اشار یحیی بن معاذ حیث قال معاشر الصدیقین
جوعوا انفسکم لولیمة الفردوس فان شهوة الطعام علی قدر تجویع النفس وکل ما ذکرناه من آفات الشبع فانها تجری
فی اکل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول باعادته فکذلک یعظم الثواب فی ترک الشهوات من المباحات
ویعظم الخطر فی تناولها حتی قال رسول الله صلی الله علیه وسلم شرار امتی الذین یاکلون مخ الطعام وهذا لیس
بحرام بل هو مباح علی معنی ان من اکله مرة او مرتین لم یعص ومن داوم علیه ایضا فلا یعصی بتناوله ولکن یربی
نفسه بالنعیم فیانس بالدنیا ویالف اللذات ویسعی فی طلبها فیجره ذلک الی المعاصی فهم شرار الامة لان مخ

الحنطة يقودهم الى اقتحام امور تلك الامور معاصي وقال صلعم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم
وانما همتهم انواع الطعام والوان اللباس يتشدقون في الكلام واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلم اذكر
انك ساكن القبر فليمنعك ذلك عن كثير من الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذايذ الاطعمة وتمرين
النفس عليها وراوا ان ذلك علامة الشقاوة وراوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روي ان وهب بن
منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال احدهما للآخر من اين قال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاها
فلان اليهودي لعنه الله وقال الآخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وهذا تنبيه على ان تيسير
اسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه من شرب ماء بارد بعسل وقال
اعزلوا عني حسابها فلا عبادة اعظم من مخالفة الشهوات وترك اللذات كما اوردناه في كتاب رياضة النفس
وقد روى نافع ان ابن عمر رضي الله عنهما كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد
ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فشويت وحملت اليه على رغيف فقام سائل على الباب
فقال للغلام لفها برغيفها وادفعها اليه فقال اصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا ولم نجدها حتى
وجدتها واشتريتها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها فقال لفها اليه قال الغلام بها اليه وقال للسائل
هل لك ان تاخذ درهما فاخذها ووضعها بين يديه وقال قد اعطيته درهما واخذتها منه قال لفها
وادفعها اليه ولا تاخذ منه الدرهم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرئ اشتهى شهوة
فرد شهوته وآثر على نفسه غفر الله له وقال عليه السلم اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من القراح فعلى
الدنيا واهلها الدمار اشارة الى ان المقصود رد الم الجوع ودفع ضرره دون التنعم بلذات النعيم وبلغ
عمر رضي الله عنه ان يزيد بن ابي سفيان ياكل انواع الطعام فقال عمر لمولى له اذا علمت انه حضر عشاؤه فاعلمني
فاعلمه فدخل عليه فقرب عشاؤه فجاؤوا بثريد ولحم فاكل معه عمر ثم قربوا الشهوات وبسط يزيد يده وكف عمر
يده فقال الله الله يا يزيد بن ابي سفيان اطعام بعد طعام والذي نفسي بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن
بكم عن طريقتهم وعن يسار بن نمير قال ما نخلت لعمر دقيقا قط الا وانا له عاص وروي ان عتبة الغلام
كان يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم ياكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيا في الدار الآخرة الشراب والطعام
الطيب وكان ياخذ الكوز فيغرف من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لو اعطيتني دقيقك
فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول يا ام فلان قد سددت عني كلب الجوع وعن شقيق بن ابرهيم قال لقيت
ابرهيم بن ادهم بمكة في سوق الليل عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس ناحية من الطريق يبكي فملت
اليه فقعدت عنده فقلت اي شي هذا البكا يا ابا اسحق فقال خير فعاودته مرة واثنتين وثلثا فلما اكثرت

عليه قال يا شقيق استر علي فقلت يا اخي ما نسيت فقال اشتهت نفسي سكباجا فمنعتها جهدي فلما كانت البارحة
كنت جالسا وقد غلبني النعاس فاذا انا بفتى شاب بيده قدح اخضر يعلو منه بخار ورايحة سكباج قال فجمعت
همتي عنه فقربه الي وقال يا ابرهيم كل فقلت ما اكل شيا قد تركته لله فقال لي فان اطعمك الله فكل فما كان
لي جواب الا بكيت فقال كل رحمك الله فقال قد امرنا ان لا نطرح في وعاينا الا من حيث نعلم فقال لي كل عافاك
الله فانما اعطيت وقيل لي يا خضر اذهب واطعم نفس ابرهيم بن ادهم فقد رحمها الله من طول صبرها على
ما يحملها من منعها اعلم يا ابرهيم ان من اعطي فلم ياخذ طلب فلم يعط فقلت فان كان كذلك فها انا بين
يديك لاني حللت العقد مع الله ثم التفت فاذا انا بفتى اخر ناوله شيا فقال يا خضر لقمه انت فلم يزل يلقمني حتى
نعست فانتبهت وحلاوته في فمي قال شقيق فقلت ارني كفك فاخذت كفه وقبلتها وقلت يا من يطعم
الجياع الشهوات اذا صححوا المنع يا من يقدح في الضمير اليقين يا من يشفي قلوبهم من محبته اترى لشقيق
عندك حالا ثم رفعت يد ابرهيم الى السما وقلت بقدر هذه اليد عندك وبقدر صاحبها وبالجود الذي وجد
منك جد على عبدك الفقير بفضلك واحسانك ورحمتك وان لم يستحق ذلك قال فقام ابرهيم ومشى حتى دخلنا
المسجد روي عن مالك بن دينار انه بقي اربعين سنة يشتهي لبنا فلم ياكله واهدي اليه يوما رطبا فقال
لاصحابه كلوا فما ذقته منذ اربعين سنة وقال احمد بن ابي الحواري اشتهى ابو سليمان الداراني رغيفا
حارا بملح فجيت به اليه فعض منه عضة ثم طرحه واقبل يبكي فقال عجلت الي شهوتي بعد اطالة جهدي
وشقوتي قد عزمت علي التوبة فاقبلني قال احمد فما رايته اكل الملح حتى لقي الله عز وجل وقال مالك
بن ضيغم مررت علي سوق بالبصرة فنظرت الي النقل فقالت نفسي لو اطعمتني الليلة من هذا فاقسمت
ان لا اطعمها اياه اربعين ليلة ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما اكل رطبة لاهل البصرة
ولا بسرة قط وقال يا اهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة فما اكلت لكم رطبة ولا تمرة فما زاد فيكم ما نقص
مني ولا نقص مني ما زاد فيكم وقال مالك بن دينار طلقت الدنيا فيه خمسين سنة اشتهت شيا لبنا
منذ اربعين سنة فلا والله لا اطعمها حتى الحق بالله وقال حماد بن ابي حنيفة اتيت داود الطايي
والباب عليه مغلق فسمعته يقول نشتهت جزرا فاطعمتك جزرا ثم اشتهت تمرا فاليت لا تاكلينه
ابدا فسلمت ودخلت فاذا هو وحده ومر ابو حازم بالسوق فرآى فيها من الفاكهة فاشتهاها
فقال لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الي الفاكهة التي لا مقطوعة
ولا ممنوعة فلما اشتراها واتي بها قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشتهت وغلبتني حتى اشتريت
والله لا ذقته فبعث بها الي يتامي من الفقرا وعن موسى الاشج انه قال نفسي تشتهي ملحا جريشا منذ عشرين سنة

وعن احمد بن خليفة قال نفسي منذ عشرين سنة ما يطلب مني الا الماء حتى تروى ما اروتيها وروي ان
عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين سنة فلما ان كان بعد ذلك قد استحييت من نفسي ان ادافعها منذ
سبع سنين سنة فاشترى قطعة لحم على خبز وسواها فلقي صبيا فقال الست انت ابن فلان وقد مات ابوك
قال بلى فناوله اياه واقبل يبكي ويقول ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ولم يذقه بعد
ومكث عتبة الغلام يشتهي تمرا سنين فلما ان كان ذات ليلة اشترى بقيراط ورفعه حتى يفطر عليه
قال فهبت ريح واظلمت الدنيا ففزع قال عتبة هذا لجراتي عليك وشراي التمر بالقيراط وقال لنفسه
ما اظن الناس اخذوا الا بذنبك علي ان لا اذوقه فترك التمر واشترى داود الطائي بنصف فلس بقلا
وبفلس خلا قال فاقبل ليلته يقول ويلك يا داود ما اطول حسابك يوم القيمة ولم يكن ولم يكن ياكل الا القفار
وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من قلبه منزلة ما اعرفها من قلبي قال لانك تاكل مع خبزك
تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا فقال انا ان تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكي فقال
له بعض السلف ابكى الله عينك اعلى التمر تبكي قال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في
الترك وهو اذا ترك شيئا لم يعاوده ابدا وقال حفص بن نصر امرني الجنيد ان اشتري له التين الوزيري
فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة ووضعها في فمه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال
هتف في قلبي هاتف اما تستحيي تركتها من اجلي ثم تعود اليها وقال صالح المري قلت لعطاء السلمي اني
متكلف لك شيئا فلا ترد علي كرامتي قال افعل ما تريد قال فبعثت اليه مع ولدي بشربة من سويق قد لتته
بسمن وعسل وقلت له لا تبرح حتى يشربها فلما كان من الغد سار نحوها فردها ولم يشربها فاتيته ولمته
وقلت سبحان الله رددت علي كرامتي فلما راى وجدي لذلك قال لا يسوءك هذا اني قد شربتها اول مرة
وقد راودت نفسي في مرة الثانية على شربها فلم اقدر على ذلك كلما ذكرت قول الله تعالى يتجرعه ولا يكاد
يسيغه وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ وقال صالح السدي ان
نفسي يطالبني منذ ثلثين سنة ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها وقال ابو بكر الجلا اعرف انسانا يقول
لنفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام واطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوي
عشرة ايام ولكن اترك هذه الشهوة وروي ان عابدا دعي بعض اخوانه فقرب اليه رغيفا فجعل
اخوه يقلب بعض الارغفة ليختار اجودها فقال له العابد مه اي شي تصنع اما علمت في الرغيف الذي
رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانعا حتى استدار من السحاب الذي يحمل الماء والماء
الذي يسقي الارض والرياح والارض والبهائم وبنو آدم حتى صار اليك ثم انت بعد هذا تقلبه لا ترضى به

وفي الخبز لا تشتري الرغيف وتوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثماية وستون صانع اولهم ميكائيل الذي
يكيل الماء من خزاين الرحمة ثم الملايكة التي تزجر السحاب والشمس والقمر والافلاك وملايكة الهوى ودواب
الارض واخس ذلك الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال بعضهم اتيت قاسما الجوعي فسألته
عن الزهد اي شي هو فقال اي شي سمعت فيه فعددت اقوالا فسكت فقلت وانت اي شي تقول اعلم
ان البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد وبقدر ما يملكه البطن يملكه الدنيا
وكان بشر بن الحارث قد اعتل قال عبد الرحمن بن ابي المتطبب اساله عن شي يوافقه من الماكولات
قال تسلني فاذا وصفت لك لا تقبل مني قال البشر نصف لي حتى اسمع قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا
وتاكل بعد ذلك اسفيدباجا فقال له بشر تعلم شيا اقل من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال فانا
اعرف قال ما هو قال الهندبا بالخل ثم قال تعرف شيا اقل ثمنا من السفرجل قال لا قال انا اعرف شيا الخرنوب
الشامي قال فتعرف شيا اقل ثمنا من الاسفيدباج ويقوم مقامه قال لا قال انا اعرف ماء الحمص بسمن
البقر في معناه فقال عبد الرحمن فانه اعلم منا بالطب فلم تسألنا فقد عرفت ان هؤلاء كانوا امتنعوا
عن الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوايد التي ذكرناها وفي بعض الاوقات
لانه كان لا يصفو لهم حلال فلم يرخصوا لانفسهم في قدر الضرورة والشهوات ليس من الضرورات حتى قال
ابو سليمان الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذه هي النهاية فمن لم يقدر على ذلك
فينبغي ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات وكفى بالمرء اسرافا ان ياكل كل ما يشتهيه ويفعل
كل ما يهواه فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي كرم الله وجهه من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه
ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وقيل ان المداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جايعا
وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان ياكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فيقوى عليه وربما طلبت
النفس الاكل لينشط في الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور
ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصلي او يجلس فيذكر الله تعالى فانه اقرب الى الشكر وفي الحديث
اذيبوا طعامكم بالصلوة والذكر ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم واقل ذلك ان يصلي اربع ركعات او
يسبح ماية تسبيحة او يقرا جزوا من القران عقيب كل اكلة وكان سفين الثوري اذا شبع ليلة احياها
واذا شبع في يوم واصله بالصلوة والذكر وكان يقول اشبع الزنجي وكده ومرة يقول اشبع الحمار وكده
ومهما اشتهى شيا من طيبات الفواكه فينبغي ان يترك الخبز وياكله بدلا عنه ليكون قوتا ولا يكون تفكها
لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة ونظر سهل الى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابتدي بالتمر فان

قامت كفايتك به والا اخذت من الخبز بعد حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه
لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطافته وكان بعضهم يقول لاصحابه لا تاكلوا
الشهوات فان اكلتم فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض انواع الخبز شهوة قال ابن عمر
ما يأتينا من العراقين فاكهة احب الينا من الخبز فراى ذلك الخبز فاكهة وعلى الجملة لا سبيل الى استعمال
الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال وبقدر على ما يستوفي العبد من شهوته خشي ان يقال له قد
اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الآخرة بشهواته قال بعض
اهل البصرة نازعتني نفسي خبز ارز وسمكا فمنعتها وقويت مطالبتها فاشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة
فلما مات قال بعضهم رايته في المنام فقلت ماذا فعل الله بك فقال لا احسن اصف لك ما تلقاني به ربي
تعالى من النعيم والكرامة وكان اول شيئا استقبلني به خبز ارز وسمك وقال كل شهوتك اليوم هنيئا بغير حساب
وقد قال عز وجل كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وكانوا اسلفوا ترك الشهوات ولهذا
قال ابو سليمان ترك شهوة من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلة باختلاف احوال الناس

اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الاحوال
والاختلاف الوسط اذ خير الامور اوساطها وكلي طرفي قصد الامور ذميم وما اوردناه في فضايل الجوع
ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من اسرار حكم الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه
الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل الى ان
المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود الوسط لان الطبع اذا طلب
غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاوما ويحصل
الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية فان اسرف مسرف
في مضادة الطبع كان في الشرع ايضا ما يدل على اسائته كما ان الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل
وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله
نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس ثقل
المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه ولا يوثر فيه اصلا فان مقصود الاكل بقاء الحيوة وقوة العبادة وثقل
الطعام يمنع من العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منه فالمقصود ان ياكل اكلا لا يبقى للاكل
فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وعن الم الجوع وغاية الانسان الاقتداء
بهم واذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال

ومثال طلب الآدمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة فالجوع الي الوسط مثال نملة القيت في وسط
حلقة محمية علي النار مطروحة علي الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر
علي الخروج فلا تزال تهرب حتى تستقر علي المركز الذي هو الوسط ولو ماتت ماتت علي الوسط لان
الوسط هو ابعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان
احاطة تلك الحلقة والملائكة خارجون عن الحلقة ولا مطمع لانسان في الخروج وهو يريد ان يتشبه
بالملائكة بالخلاص فاشبه احواله بهم البعد فابعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا
في جميع هذه الاخلاق المتقابلة وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها واليه اشار
قوله عز وجل كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر
وخف في نفسه وقوي علي العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال في الطبع اما في بداية الامر اذا كانت
النفس جموحا متشوقة الي الشهوات مايلة الي الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لابد من المبالغة في ايلامها
بالجوع كما يبالغ في ايلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الي ان تعتدل فاذا ارتاضت
واستوت رجع الي الاعتدال فترك تعذيبها وايلامها وعن هذا السر يامر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه في نفسه
فيامره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه من الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع منها لانه قد فرغ عن تاديب نفسه
فاستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب احوال النفس الشره والشهوة والجماح عن العبادة كان الاصلح
له الجوع الذي يحس بالمه في اكثر الاحوال لينكسر والمقصود ان ينكسر حتى يعتدل فيه وبعد ذلك في الغذاء
ايضا الي الاعتدال وانما يمتنع عن ملازمة الجوع من سالكي طريق الآخرة اما صديق واما مغرور
احمق اما الصديق فلاستقامة نفسه علي الصراط المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع
الي الحق واما المغرور فلظنه بنفسه انه الصديق المستغني عن تاديب نفسه الظان بنفسه خيرا وهذا
غرور عظيم وهو الغالب فان النفس قلما تتادب تادبا كاملا وكثيرا ما تغتر فتنظر الي الصديق ومسامحته
نفسه في ذلك فتسامح نفسه كالمريض ينظر الي من صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة
حتى يهلك والذي يدل علي ان تقدير الطعام بمقدار يسير ووقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا
في نفسه وانما هو مجاهدة نفس متباعدة عن الحق غير بالغة رتبة الكمال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم
يكن له تقدير وتاقيت لطعامه قالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر
ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يدخل علي اهله فيقول هل عندكم من شيء فان قالوا نعم اكل وان قالوا
لا قال اني اذا صائم وقد كان يقدم اليه الشيء فيقول اما اني كنت اردت الصوم ثم ياكل وخرج صلعم

وقال اني صايم فقالت عائشة قد اهدي الينا حيس فقال كنت اردت الصوم ولكن قربيه ولذلك حكي
ان سهلا رحمه الله قيل له كيف كنت في بدايتك فاخبر بضروب من الرياضات منها انه كان يقتات ورق
النبق مدة ومنها انه اكل دقاق التبن ثلث سنين ثم ذكر انه اقتات بثلثة دراهم في ثلث سنين فقيل
له فكيف انت في وقتك فقال آكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد اني آكل كثيرا اي لا اقدر بقدر
واحد ما اكله وكان معروف الكرخي يهدي اليه طيبات الطعام فيقال له ان اخاك بشرا لا ياكل من هذا
فيقول اخي بشر قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم قال انما انا ضيف في دار مولاي اذا اطعمني اكلت
واذا جوعني صبرت ما لي وللاعتراض والتمييز ودفع ابرهيم بن ادهم الي بعض اخوانه دراهم فقال خذ لنا بهذه
زبدا وعسلا وخبزا حواريا فقال يا ابا اسحق بهذا كله قال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا
صبرنا صبر الرجال واصلح ذات يوم طعاما فاكثر ودعا نفرا يسيرا فيهم الاوزاعي والثوري فقال له الثوري اما
تخاف ان تكون قد اسرفت فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في اللباس والاثاث فالذي
ياخذ العلم من السماع والتقليد يري هذا من ابرهيم بن ادهم ويسمع من مالك بن دينار انه قال ما دخل
الملح بيتي منذ عشرين سنة وعن سري السقطي اني منذ اربعين سنة اشتهي ان اغمس جزرة في دبس
فلم افعل فيراه متناقضا فيتحير او يقطع بان احدهما مخطئ والبصير باسرار العلم يعلم ان كل ذلك
حق ولكن بالاضافة الي اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط وغبي مغرور
فيقول المحتاط ما انا من جملة العارفين حتي اسامح نفسي فليس نفسي اطوع من نفس سري السقطي
ومالك بن دينار وهولاء من الممتنعين من الشهوات فيقتدي بهم والمغرور يقول وما نفسي باعصي
علي من نفس معروف الكرخي وابرهيم بن ادهم فاقتدي بهم وارفع التقدير عن ماكولي فانا ايضا
ضيف في دار مولاي فما لي والاعتراض ثم انه لو قصر احد في حقه وتوقيره او في ماله وجاهه بشطرة
اقام القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقي بل ترك التقدير
في الطعام والصيام واكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه
وبين الله علامة في استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن داعية الهوي والعادة
بالكلية حتي يكون اكله اذا اكل علي نية كما يكون امساكه بنية فيكون عاملا لله في اكله وافطاره وينبغي
ان يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فانه كان يري رسول الله صلي الله عليه وسلم يحب العسل وياكله ثم لم
يقس نفسه عليه بل لما عرض عليه ماء مبرد بالعسل جعل يدير الاناء في كفه ويقول اشربها فتذهب
حلاوتها وتبقي تبعتها اعزلوا عني حسابها وتركها وهذه اسرار لا ينبغي ان يكاشف الشيخ بها مريده بل

يقتصر على مدح الجوع فينطحق ينكسر له الاعتدال ولا يذكر له ان العارف الكامل يستغني عن الرياضة فان
الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقي اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة
والكمال بل كان من عادة ابرهيم الخواص ان يخوض مع المريد في كل رياضة حتى يامن بها كيلا يخطر
بباله ان الشيخ لم يامن بما لا ينعله ويغيره ذلك في رياضته والقوي اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير لزمه
النزول الى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا في سياقهم الى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبياء والاولياء
واذا كان حد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم الاحتياط ينبغي ان لا يترك في كل حال ولذلك ادب
عمر رضي الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده ياكل لحما مادوما بسمن فعلاه بالدرة وقال لا ام لك كل
يوما خبزا ولحما ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا
هو الاعتدال فاما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم اقتار وهذا قوام بين ذلك
بيان آفة الرياء المتطرق الى من ترك اكل الشهوات وقلل الاكل اعلم انه يدخل على
تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما اعظم من اكل الشهوات احدهما ان لا يقدر النفس على ترك بعض
الشهوات فيشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف بانه يشتهيها فيخفي الشهوة وياكل في الخلوة ما لا ياكله
في الملاء وهو الشرك الخفي سيل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت فقيل له هل تعلم به باسا قال ياكل
في الخلوة ما لا ياكله في الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوات وحبها ان يظهرها
فان هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدة بالاعمال فان اخفاء النقص فاظهار ضده
من الكمال هو نقصانان متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى
منه الا بتوبتين ولذلك شدد امر المنافقين فقيل ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لان الكافر
كفر واظهر وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا آخر لانه استخف بنظر الله الى قلبه وعظم عين المخلوقين
فمحا الكفر عن ظاهره فالعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء
بل كمال العارف ان يترك الشهوات لله ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا لمنزلته عن قلوب الخلق وقد
كان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في بيته وهو فيها من الزاهدين ولكن ينبغي به تلبيس حاله ليصرف
عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشون عليه حالته فنهاية الزهد الزهد في الزهد باظهار ضده
وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين فهذا قد حمل على النفس ثقلين
وجرعها كاس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة بتفرقه فلا جرم اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وهذا
يشابه طريق من ياخذ ما يعطى جهرا ويرده سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا

فلا ينبغي ان ينويه اظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه فلا ينبغي ان يغتر بقول الشيطان انك اذا اظهرت
شهوتك اقتدى بك غيرك فاستر اصلاحا لغيرك لانه لو قصد اصلاح غيره لكان اصلاح نفسه اهم له من غيره
فهو انما يقصد الرياء المجرد ويروجه الشيطان في معرض اصلاح غيره ولذلك يثقل عليه ظهور ذلك منه
وان علم ان من اطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل ولا يترجر باعتقاده انه تارك للشهوات
الآفة الثانية ان يقدر على ترك الشهوة ولكن يفرح ان يعرف به ويشتهر بالتعفف عن الشهوات
فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الاكل واطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وذلك هي الشهوة
الخفية فمهما احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة اهم من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو اولى له
قال ابو سليمان اذا قربت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فاصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها
فتكون قد اسقطت عن نفسك الشهوة وقد نغصت على نفسك اذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد
الصادق اذا اقدمت الي شهوة نظرت الي نفسي فان اظهرت شهوتها اطعمتها منها وكان ذلك افضل
من منعها وان خفت شهوتها واظهرت العزوب عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيئا وهذا طريق
في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء
كان كمن هرب من عقرب وفزع الي حية لان شهوة الرياء اضر كثيرا من شهوة الطعام **القول في شهوة
الفرج** اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين احديهما ان يدرك لذته فيقيس به لذات
الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان النار والمها اعظم الام الجسد
والترغيب والترهيب يسوق الخلق الي سعادتهم وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة مدركة فان ما لا
يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فايدتها ولكن
فيها من الآفة ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الي حد الاعتدال وقد قيل في قوله تع
لا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن ابن عباس في قوله ومن شر غاسق اذا وقب قال هو قيام الذكر
وقد اسنده بعض الرواة الي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه قال الوقاع في تفسيره الذكر اذا دخل
وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وسلم يقول اعوذ بك من شر سمعي
وبصري وقلبي ومنيي وقال النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على
الرجال وروي ان موسى عليه السلام كان جالسا في بعض المجالس اذ اقبل ابليس وعليه برنس
يتلون فيه الوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم اتاه فقال السلام عليك قال موسى من انت قال
انا ابليس قال فلا حياك الله ما جاء بك قال جئت لاسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانك منه قال فما الذي

رايت عليك قال به اختطف قلوب بني آدم قال فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا اعجبته
نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذرك ثلثا لا تخل بامرأة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل
له الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى افتنه بها ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا
امضيتها فانه ما اخرج احد صدقة لم يمضها الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى اكون احول بينه وبين
الوفاء بها ثم ولي وهو يقول يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بني آدم وعن سعيد بن المسيب قال
ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم ييأس ابليس ان يهلكه بالنساء ولا شي اخوف عندي منهن وما بالمدينة
بيت ادخله الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم اروح وقال بعضهم ان الشيطان قال
للمرأة انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطي وانت موضع سري وانت رسولي في حاجتي
فنصف جنده الشهوة ونصفه الغضب واعظم الشهوة شهوة النساء وهذه الشهوة ايضا لها
افراط وتفريط واعتدال فاما الافراط فهو ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجل الى التمتع بالنسا
والجواري فيخرج عن سلوك طريق الآخرة ويقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي افراطها
بطايفة الى امرين شنيعين احدهما ان يتناولوا ما يقوي شهوتهم لاستكثار الوقاع كما قد يتناول
بعض الناس ادوية تقوي المعدة ليعظم شهوتها للطعام وما مثال ذلك الا كمن ابتلي بسباع ضارية
وبهايم عادية فينام عنه في بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها
فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص
فان قلت فقد روي في غرايب الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال شكوت الى جبرئيل عليه السلم
ضعف الوقاع فامرني باكل الهريسة فاعلم انه كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالاستمتاع
وحرم على غيره نكاحهن وان طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا للتنعم والامر الثاني انه قد ينتهي
هذه الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في
البهيمية لحد البهايم لان المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع وهي اقبح الشهوات واجدرها
بان يستحيى منه حتى اعتقد ان الشهوة لا تنقضي الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة اين اتفق
فتكتفي به وهذا لا يكتفي الا بواحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذله وعبودية الى عبوديته وحتى يستسخر
العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة محتالا لاجلها وما العشق
الا سعة افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا همة له وانما يجب الاحتراز من اوايله بترك معاودة
النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وكذلك الجاه والمال والعقار والاولاد حتى حب اللعب

بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الامور قد يستولي على طايفة بحيث ينغص عليهم الدين والدنيا
ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر العشق في اول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند
توجهها الي باب ليدخله وما اهون منعها بصرف عنانها ومثال علاجها بعد استحكامها ان يترك
الدابة حتى يدخل ويجاوز الباب ثم ياخذ بذنبها ويجرها الي ورايها وما اعظم التفاوت بين الامرين
في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الامور فاما اواخرها فلا تقبل العلاج الا بجهد شديد
يكاد يوازي نزع الروح فاذن افراط الشهوة ان تغلب العقل الي هذا الحد وهو مذموم جدا
وتفريطها بالعنة او بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان يكون معتدلة
ومطيعة للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها ومهما افرطت فكسرها بالجوع وبالنكاح
وقال صلى الله عليه وسلم معاشر الشباب عليكم بالباه فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء

بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله اعلم ان المريد في ابتداء امره لا ينبغي ان يشغل
نفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه عن السلوك ويستجره الي الانس بالزوجة ومن انس
بغير الله شغل عن الله ولا يغرن كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع
ما في الدنيا عن الله تعالى فلا يقاس الملايكة بالحدادين ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج فقد
ركن الى الدنيا وقال ما رايت مريدا تزوج فثبت على ما كان عليه وقيل له ما احوجك الي امراة تستانس
بها فقال لا انسني الله بها اي ان الانس بها يمنع الانس بالله وقال ايضا ما شغلك عن الله من اهل
ومال وولد فهو عليك شوم وكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم برسول الله وكان استغراقه
بحب الله بحيث كان يخاف احتراقه فيه الي حد كان يخشي في بعض الاحوال ان يسري ذلك الي
قلبه فيهدمه فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عايشه احيانا ويقول كلميني يا عايشه ليشغله
بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه فقد كان طبعه الانس بالله وكان انسه بالخلق
عارضا رفقا ببدنه ثم كان لا يطيق الصبر مع الخلق اذا جالسهم واذا ضاق صدره قال ارحنا
يا بلال حتى يعود الي ما هو قرة عينه فالضعيف اذا لاحظ احواله في مثل هذا فهو مغرور لان
الافهام تقصر عن الوقوف على اسرار افعاله فشرط المريد العزوبة في الابتداء الى ان يقوى في المعرفة
وهذا اذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدايم فان لم تنقمع
الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ النفس مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له
اولي لتسكن الشهوة والا فهما لم يحفظ عنه لم يحفظ فكره ويتفرق همه وربما وقع في قلبه لا يطيقها وزنا

العيون عن كبائر الصغائر وهي يؤدي الي القرب الي الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر علي
غض بصره لم يقدر علي حفظ دينه قال عيسي عليه السلم اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفي
بها فتنة وقال سعيد بن جبير انما جاءت فتنة داود من اجل النظر وقال داود لابنه يا بني امش خلف الاسد والاسود
ولا تمش خلف المراة وقيل ليحيي بن زكريا ما بدء الزنا قال النظر والتمني وقال الفضيل يقول ابليس هي
قوسي القديمة وسهمي الذي لا اخطي فيه يعني النظرة وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام
ابليس فمن تركها خوفا من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال صلي الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة اضر
علي الرجال من النساء وقال اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء
وقال الله عز وجل قل للمومنين يغضوا من ابصارهم الآية قال صلي الله عليه وسلم لكل بن آدم حظه من الزنا فالعينان
تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه
القبل والقلب يهم او يتمني ويصدق ذلك الفرج ويكذبه وقالت ام سلمة استاذن ابن ام مكتوم الاعمي
وانا وميمونة جالستان فقال صلعم احتجبا فقلنا اليس هو باعمي لا يبصرنا فقال وانتما لا تبصرانه وهذا
يدل علي انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت العادات به في المائم والولائم فيحرم علي الاعمي الخلوة
بالنساء ويحرم علي المراة مجالسة الاعمي وتحديق النظر اليه بغير حاجة وانما جوز للنساء محادثة الرجال
والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة وان قدر علي حفظ عينه عن النساء ولم يقدر علي حفظه عن الصبيان
فالنكاح اولي به فان الشر في الصبيان اكثر فانه لو مال قلبه الي امراة امكنه الوصول اليها بالنكاح والنظر
الي وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتاثر قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي
لم يحل له النظر فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم يزل وجوه الصبيان
مكشوفة لا محالة فلستا اعني تفرقة العين فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقة كادراكه التفرقة بين شجرة خضراء
وشجرة يابسة وماء صافي وماء كدر وشجرة عليها ازهارها وانوارها وشجرة تساقط اوراقها فانه يميل
الي احدهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولذلك لا يشتهي ملامسة الازهار والانوار وتقبيلها
ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها ويدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح
ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس الي القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه
وادرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والاثواب المنقشة او السقوف المزخرفة فنظره نظر
شهوة وهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الي المعاطب وهم لا يشعرون قال بعض التابعين
ما انا باخوف علي الشاب الناسك من سبع ضار منه من غلام امرد يجلس اليه وقال سفين لو ان رجلا

عبث بغلام بين اصبعين من اصابع رجليه يريد الشهوة لكان لواطا وعن بعض السلف قال سيكون
في هذه الامة ثلثة اصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون فآفة النظر
الي الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له ان يكسر شهوته بالنكاح فرب
نفس لا يسكن توقانها بالجوع قال بعضهم غلبت علي شهوتي في بدو ارادتي بما لم اطق فاكثرت الضجيج
الي الله تعالي فرايت شخصا في المنام فقال ما لك فشكوت اليه فقال تقدم الي فتقدمت اليه فوضع
يده علي صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال ما بي وبقيت معافا سنة
ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة فجاءني شخص في المنام فقال اتحب ان يذهب ما تجده واضرب
عنقك قلت نعم فقال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور وضرب به عنقي فاصبحت وقد زال ما بي
فبقيت معافا سنة ثم عاودني ذلك واشتد فرايت شخصا يخاطبني فيما بين صدري وجنبي ويقول ويحك
لم تسال الله تعالي رفع ما لا يحب رفعه قال فتزوجت فانقطع عني وولد لي ومهما احتاج الي النكاح
فلا ينبغي ان يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه اما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن
الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك في آداب النكاح فلا نطول باعادته
وامارة صدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة ولا تطلب الغنية قال بعض السلف من تزوج غنية كان له
منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا اراد طلاقها
لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقال بعضهم ينبغي ان تكون المراة دون الرجل في اربع
والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وان يكون فوقه باربع بالجمال والادب والخلق والورع
وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح الخلق تزوج بعض المريدين امراة فلم يزل يخدمها حتي استحيت المراة
وشكت الي الاب وقالت قد تحيرت في هذا الرجل انا في منزله منذ سنين ما ذهبت الي الخلاء قط الا وحمل
الماء قبلي اليه وتزوج بعضهم امراة ذات جمال فلما قرب الزفاف اصاب المراة الجدري فاشتد حزنهم لذلك خوفا
من ان يستقبحها فاراهم الرجل ان به رمدا ثم اراهم ان بصره ذهب حتي زفت المراة اليه وزال عن اهل بيتها
ذلك الحزن فبقيت معه عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه فقيل له في ذلك فقال تعمدته لاجل اهلها حتي لا
يحزنوا فقيل له قد سبقت اخوانك بهذا الخلق وتزوج بعض الصوفية امراة سيئة الخلق فكان يصبر عليها
فقيل له لم لا تطلقها فقال اخشي ان يتزوجها من لا يصبر علي خلقها فيتاذي بها فان نكح المريد فهكذا
ينبغي ان يكون وان قدر علي الترك فهو له اولي اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك
يشغله عن حاله كما روي ان محمد بن سليمان الهاشمي ملك غلة ثمانين الف درهم في كل يوم ثم كتب الي اهل

البصرة وعلمايهم في امراة يتزوجها فاجمعوا كلهم علي رابعة العدوية فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد فان الله عز وجل ملكني من غلة الدنيا ثمانين الف درهم وليس يمضي الايام والليالي حتى اتمها مائة الف واني
اصير لك مثلها ومثلها فاجيبيني فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الزهد في الدنيا راحة
البدن والرغبة فيها يورث الغم والحزن فاذا اتاك كتابي هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك
ولا تجعل الرجال اوصيائك فيقتسموا تراثك وصم الدهر واجعل فطرك الموت واما انا فلو ان الله عز وجل خولني
امثال الذي خولك واضعافه ما سرني اني اشتغل عن الله طرفة عين وهذه اشارة الي ان كل ما شغل عن الله
فهو نقصان فلينظر المريد الي حاله وقلبه فان وجده في العزوبة فهو الاقرب وان عجز فالنكاح اولي به حدود
هذه الشهوة ثلث الجوع والسهر والاشتغال بشغل يستولي القلب فان لم ينفع هذه الثلثة فالنكاح هو
الذي يستاصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون الي النكاح والي تزويج البنات قال سعيد بن
المسيب ما ايس الشيطان من شي الا اتاه من قبل النساء وقال سعيد وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت
احدي عينيه وهو يعشو بالاخري ما شي اخوف عندي من النساء وعن ابي وداعة قال كنت اجالس سعيد بن
المسيب فتفقدني اياما فلما جيته قال اين كنت قلت توفيت اهلي فاشتغلت بها فقال الا اخبرتنا فشهدناها
قال ثم اردت ان اقوم فقال هل استحدثت امراة فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما املك الا درهمين او ثلثة
فقال انا فقلت وتفعل قال نعم ثم حمد وصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني علي درهمين او قال ثلثة قال
فقمت وما ادري ما اصنع من الفرح فصرت الي منزلي وجعلت اتفكر ممن اخذ وممن استدين فصليت
المغرب وانصرفت الي منزلي واسرجت وكنت وحدي صايما فقدمت عشائي افطر وكان خبزا وزيتا فاذا
بابي يقرع فقلت من هذا قال سعيد قال فافكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب فانه لم
ير اربعين سنة الا بين بيته والمسجد فقمت وخرجت فاذا سعيد بن المسيب فظننت انه قد بدا له فقلت
له يا ابا محمد الا ارسلت الي فاتيك قال لا انت احق ان تؤتي قلت فما تامر قال انك رجل عزب فكرهت ان ابيتك
الليلة وحدك وهذه امراتك فاذا هي قايمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها الي الباب ورد الباب
فسقطت المراة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الي القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها
في ظل السراج لكي لا تراه ثم صعدت الي السطح فرميت الجيران فجاوني فقالوا ما شانك فقلت ويحكم
زوجني سعيد بن المسيب بنته اليوم وقد جاء بها الليلة علي غفلة فقالوا سعيد زوجك قلت نعم
وهي ذي في الدار فنزلوا اليها وبلغ امي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل ان
اصلحها الي ثلثة ايام قال فاقمت ثلثا ثم دخلت بها فاذا هي من اجمل الناس واذا هي احفظ الناس

لكتاب الله عز وجل واعلمهم بسنة رسول الله واعرفهم بحق الله وحق الزوج قال فمكثت شهرا لا ياتيني سعيد ولا آتيه
فلما كان قرب الشهر اتيته وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق اهل المجلس فقال
ما حال ذلك الانسان فقلت خيرا يا ابا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو فقال ان رابك شي فالعصا فانصرفت
الى منزلي فوجه الي بعشرين الف درهم قال عبد الله بن سلمان وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها
عبد الملك بن مروان لابنه الوليد بن عبد الملك حين ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد
الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء والبسه جبة صوف فاستعجال
سعيد في الزفاف تلك الليلة يعرفك غايلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين الى تطفية نارها بالنكاح
بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على الانسان
واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيا منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر
الناس عن مقتضاها اما لعجز او لخوف او لحياء او لمحافظة على جسمه وليس في شي من ذلك ثواب فانه
ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر نعم من العصمة ان لا يقدر ففي هذه العوايق فايدة وهو دفع
الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه
خوفا لله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسير الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة
الصديقين ولذلك قال عليه السلم من عشق وعف وكتم فمات فهو شهيد وقال صلى الله عليه وسلم
سبعة يظلهم الله يوم القيمة يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجل دعته امراة ذات حسب وجمال الى نفسها فقال
اني اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف وامتناعه عن زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروف وقد
اثنى الله عليه بذلك في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة روي عن
سليمان بن يسار انه كان من احسن الناس وجها فدخلت عليه امراة تساله نفسها فامتنع عليها
وخرج هاربا عن منزله وتركها فيه قال سليمان فرايت في المنام يوسف عليه السلم وكاني اقول له انت يوسف
قال نعم انا يوسف الذي هممت وانت سليمان الذي لم تهم اشارة الى قوله ولقد همت به وهم بها لولا
ان رآى برهان ربه وعن سليمان ايضا ما هو اعجب منه وهو انه خرج حاجا من المدينة ومعه رفيق له حتى
نزلوا بالابواء فقام رفيقه واخذ السفرة وانطلق الى السوق يبتاع شيا وقعد سليمان في الخيمة وكان
من اجمل الناس وجها واورع الناس فبصرت به اعرابية من قلة الجبل فلما رات جماله وحسنه انحدرت
وعليها البرقع والقفازان فجاءت ووقفت بين يديه فاسفرت عن وجهها كانها فلقة قمر فقالت
اهنئني فظن انها تريد طعاما فقام الى فضل السفرة ليعطيها فقالت لست اريد هذا انما اريد ما يكون من

الرجل الى اهله فقال الجهنى كى الى ابليس ثم وضع راسه بين كميته واخذ فى النحيب فلم يزل يبكى فلما رات ذلك سدلت
البرقع على وجهها ورفعت رجليها حتى رجعت الى خيمتها فجاء رفيقه وراء قد اشخصت عيناه من البكاء وانقطع
حلقه قال ما يبكيك قال الخير ذكرت صبيتى فقال لا الا ان لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلث او نحوها
فلم يزل به رفيقه حتى اخبره شان الاعرابية فوضع السفرة وجعل يبكى بكاء شديدا قال له سليمان وانت ما
يبكيك قال انا احق بالبكاء منك اخشى انى لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان
الى مكة وطاف وسعى اتى الحجر واحتبى بثوبه فاذا رجل شيخ جميل طوال شرحت له سامة حسنة ورائحة
طيبة فقال له سليمان من انت رحمك الله قال انا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال ان فى شانك
وشان امراة العزيز لشانا عجيبا فقال له يوسف شانك وشان صاحبة الابواء اعجب وروى عن عبد الله
بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم المبيت
الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان
تدعوا الله بصالح اعمالكم قال رجل منهم اللهم كان لى ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا مالا
فنأى بى فى طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت ان اغبق قبلهما
اهلا او مالا فلبثت والقدح فى يدى انتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون عند قدمى
فاستيقظا وشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه
الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج وقال الآخر اللهم انك تعلم انه كانت لى ابنة عم كانت من
احب الناس الى فاردتها عن نفسها فامتنعت منى حتى المت بها سنة من السنين فجاءتنى فاعطيتها
مائة وعشرين دينارا على ان تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا احل لك ان
تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها وانصرفت عنها وهى احب الناس الى وتركت الذهب
عليها اللهم ان كنت تعلم انى فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لم
يستطيعوا الخروج منها وقال الثالث اللهم انى استاجرت اجراء فاعطيتهم اجرهم غير رجل منهم ترك الذى كان
له وذهب فثمرت اجرته حتى كثرت منه الاموال فجاءنى بعد حين فقال يا عبد الله هات اجرى فقلت كل
ما ترى من اجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بى فقلت انى لا استهزئ
بك فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت
الصخرة فخرجوا يمشون فهذا فضل من يمكن من قضاء الشهوة فعف ويقرب منه من تمكن من قضاء شهوة العين
فان النظر هذا الزنا فحفظه مهم وهو عسير من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف فيه بالآفات كلها

تنشا منه والنظرة الاولي اذا لم يقصدها لا يواخذ بها والمعاودة يواخذ بها قال صلي الله عليه وسلم الاولي لك والثانية عليك اي النظرة وقال العلا بن زياد لا تتبع بصرك ردف امراة فان النظر يجعل في القلب شهوة وقل ما يخلو الانسان في ترددانه عن وقوع البصر علي النسا والصبيان ومهما تخايل اليه الحسن تقاضي الطبع المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر علي نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل لانه ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يتلذذ به ويتالم لانه قصد التلذذ فقد قدر ما اليه فلا يخلو في كل حالته عن معصية وعن تالم وتحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات وان اخطا عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق روي عن بكر بن عبد الله المزني ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها الي حاجة لهم الي قرية اخري فتبعها فراودها عن نفسها فقالت لا تفعل لانا اشد حبا لك منك لي ولكني اخاف الله قال فانت تخافيه وانا لا اخافه فرجع تائبا فاصابه العطش حتي كاد ان ينقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبيا بني اسرائيل فقال ما لك قال العطش قال تع حتي ندعو حتي تظلنا سحابة حتي ندخل القرية قال ما لي من عمل فادعو قال فانا ادعو وامن انت فدعا الرسول وامن هو فاظلتهما سحابة حتي انتهيا الي القرية فاخذ القصاب الي مكانه ومالت السحابة معه فقالت له زعمت ان ليس لك عمل وانا الذي دعوت وانت الذي امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بامرك فاخبره فقال الرسول ان التايب من الله بمكان ليس احد من الناس بمكانه وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم لمسجد الجامع لا يكاد يخلو منه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه امراة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال ذلك عليها فلما كان ذات يوم وقفت له علي طريقه وهو يريد المسجد فقالت له يا فتي اسمع مني كلمات اكلمك بها ثم اعمل ما شيت فمضي ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك علي طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتي اسمع مني كلمات اكلمك بها قال فاطرق مليا وقال لها هذا موقف تهمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت له والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بامرك ولكن معاذ الله ان يتشرف العباد الي مثل هذا مني والذي حملني علي ان لقيتك في هذا الامر بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا عند الناس كثير وانتم معاشر العباد في مثال القوارير ادني شي يعيبه وجملة ما اكلمك به ان جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله في امري وامرك قال فمضي الشاب الي منزله فاراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله فاذا بالمراة واقفة في موضعها فالقي اليها الكتاب فرجع الي منزله وكان في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي ايتها المراة ان الله تعالي اذا

عصى حلم واذا عاد العبد في المعصية ستر فاذا لبس منها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تصعق
منها السموات والارض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني
اذكرك يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن وتجثو الامم لصولة الجبار العظيم فاني والله
قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقا فاني ادلك على طبيب هذا
وولي الكلوم الممرضة والاوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصدي على صدق المسئلة فاني
متشاغل عنك بقوله تعالى وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من
حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فاين المهرب من هذه الآية ثم جاءت
بعد ذلك بايام ووقفت له على طريقه فلما رآها من بعيد اراد الرجوع الى منزله لئلا يراها فقالت يا فتى
لا ترجع فما تكون الملتقى بعد هذا الا بين يدي الله عز وجل وبكت بكاء كثيرا وقالت اسئل الله تعالى
الذي بيده مفاتيح قلبك ان يسهل ما قد عسر من امرك ثم قالت امنن علي بموعظة احملها واوصني
بوصية اعمل عليها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك قوله عز وجل وهو الذي
يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت بكاء شديدا اشد من بكائها الاول
ثم انها لزمت بيتها واخذت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت جهدا فكان الفتى يذكرها
بعد موتها ثم يبكي عليها فيقال له مم بكاؤك وانت قد ايستها فيقول اني ذبحت طمعها في اول

امرها وجعلت قطعها ذخيرة لي عند الله فانا انا
استحيي من الله ان استرد ذخيرا ذخرتها عند الله
تم الكتاب والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا وباطنا

كتاب آفات اللسان

وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدله والهمه نور الايمان فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه به
وفضله وافاض علي قلبه خزاين العلوم فاكمله ثم ارسل عليه سترا من رحمته واسبله ثم امده بلسان
يترجم عما حواه القلب وعقله ويكشف عن ستره الذي ارسله فاطلق بالحمد مقوله وافصح بالشكر
عما اولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده الذي اكرمه وبجله ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله وبيان فصله ودين سهله صلى الله عليه
وعلى آله واصحابه ومن قبله ما كبر عبد وهلله اما بعد فان اللسان من نعم الله
العظيمة ولطايف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر والايمان
الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود ومعدوم وخالق او مخلوق
ومتخيل ومعلوم ومظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما
يتناوله العلم يعرب عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شي الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في
ساير الاعضاء فان العين لا تصل الي غير الالوان والصور والاذن لا تصل الي غير الاصوات واليد
لا تصل الي غير الاجسام وكذا ساير الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى
وله في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخي العنان سلك به
الشيطان في كل ميدان وساقه الي شفا جرف هار الي ان يضطره الي البوار ولا يكب الناس في
جهنم علي مناخرهم الا حصايد السنتهم ولا ينجو من شر اللسان الا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه
الا فيما ينفع في الدنيا والآخرة ويكف عن كل ما يخشى غايلته في عاجله وآجله وعلم ما يحمد اطلاق
اللسان فيه او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه علي من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء علي
الانسان اللسان فانه لا تعب في اطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته
وغوايله والحذر من مصايده وحبايله فانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان ونحن
بتوفيق الله وحسن تيسيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها واسبابها
وغوايلها ونعرف طريق الاحتراز منها ونورد ما ورد من الاخبار والآثار في ذمها فنذكر اولا فضل
الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعنيك ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم

آفة المراء والمجادلة ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة
والترصيع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة
اللسان ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة
الكذب في القول واليمين ثم آفة الغيبة ثم آفة النميمة ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين
ويكلم كل واحد منهم بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطاء في فحوى الكلام لا
سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين ثم آفة سوال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن
الحروف وانها قديمة وهي آخر الآفات وتمة العشرين

بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت

اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث
عليه فقال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا وقال ايضا الصمت حكمة وقليل فاعله اي هو حكمة وحزم وروى
عبد الله بن سفيان عن ابيه سفيان قال قلت يا رسول الله اخبرني عن الاسلام بامر لا اسأل عنه احدا
بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قلت فما اتقي فاومى بيده الى لسانه وقال عقبة بن عامر قلت
يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد
الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتوكل لي بما بين لحييه اتوكل له بالجنة وقال صلى الله عليه
وسلم من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان
فهذه الشهوات الثلث بها يهلك اكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر
آفة الشهوتين البطن والفرج وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الجنة فقال تقوى
الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل النار فقال الاجوفان الفم والفرج فيحتمل ان يكون المراد
بالفم آفة اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون المراد البطن لانه منفذه وقال معاذ قلت يا رسول الله انؤاخذ
بما نقول فقال ثكلتك امك يا ابن جبل وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم وقال عبد
الله الثقفي قلت يا رسول الله ما اخوف ما يخاف علي فاخذ بلسانه ثم قال هذا وروي ان معاذا
قال يا رسول الله اي الاعمال افضل فقال لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم
لسانه ولا يدخل الرجل الجنة لا يأمن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان يسلم فيلزم الصمت
وعن سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اصبح ابن آدم اصبحت الاعضاء
كلها تكفر اللسان اي تقول اتق الله فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وروي ان
عمر اطلع على ابي بكر رضي الله عنهما وهو يمد لسانه فقال له ما تصنع يا خليفة رسول الله ان هذا اوردني

الموارد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شي من الجسد الا يشكو الى الله اللسان على حدته وعن ابن
مسعود انه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم او انصت تسلم من قبل ان تندم قيل له يا ابا عبد
الرحمن هذا شي تقوله او شي سمعته قال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اكثر خطايا ابن
آدم في لسانه وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله
عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره وروي ان معاذ بن جبل قال سال رسول الله اوصني قال اعبد الله
كانك تراه واعدد نفسك في الموتى وان شئت انباتك بما هو املك لك من هذا كله واشار بيده الى
لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن
الصمت وحسن الخلق وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل
خيرا او ليسكت وقال الحسن ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم
وقال سفين قالوا لعيسى عليه السلم دلنا على عمل ندخل به الجنة فقال لا تنطقوا الا بخير وقال سليمان
بن داود عليهما السلم ان كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب وعن البرا قال جاء اعرابي الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة فقال اطعم الجايع واسق الظمآن وامر بالمعروف وانه
عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير وقال عليه السلم اخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب
الشيطان وقال عليه السلم ان الله عند لسان كل قايل فاتق الله امر على ما يقول وقال عليه السلم اذا رايتم
المومن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقي الحكمة وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس
ثلثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله والسالم الساكت والشاجب الذي يخوض في الباطل وقال
عليه السلم ان لسان المومن وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشي تدبره ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق
امام قلبه فاذا هم بالشي امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى عليه السلم العبادة عشرة اجزاء تسعة
منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس وقال نبينا عليه السلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر
سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به **الآثار** كان الصديق رضي الله عنه
يضع حجرا في فيه يمنع بها نفسه من الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا اوردني الموارد وقال ابن
مسعود والله الذي لا اله الا هو ما من شي احوج الى طول سجن من لسان وقال طاوس لساني سبع ان اطلقته
اكلني وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حقا على العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا
على شانه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز اما بعد
فان من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما ينفعه وقال بعضهم الصمت

يجمع للرجل خصلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن سفين يا ابا يحيى
حفظ اللسان اشد على الناس من حفظ الدنانير والدراهم وقال يونس بن عبيد ما من الناس احد يكون
لسانه منه على بال الا رايت صلاح ذلك في سائر عمله وقال الحسن كانوا يتكلمون عند معوية والاحنف ساكت
فقالوا ما لك لا تتكلم يا ابا بحر فقال اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت وقال ابو بكر بن عباس اجتمع
اربع ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال احدهم انا اندم على ما قلت ولا اندم على ما لم اقل
وقال الآخر اني اذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم
ان رجعت عليه كلمته ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت
وقيل ان منصور بن المعتمر لم يتكلم بعد العشاء الآخرة اربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خثيم بكلام
الدنيا عشرين سنة وكان اذا اصبح وضع قرطاسا وقلما فكلما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء فان قلت
فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة آفات اللسان من الخطاء والكذب والنميمة
والغيبة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف
والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة سياقة اللسان لا يثقل عليه ولها
حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان والخائض فيه قل ما يقدر على ان يلزم اللسان
فيطلق بما يحب ويكفه عما لا يحب فان ذلك من غوامض العلم كما سياتي تفصيله ففي الخوض خطر وفي الصمت
سلامة فلذلك عظم فضله هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغة للفكر والعبادة والذكر والسلامة
من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة وقد قال عز وجل ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
ويدلك على لزوم الصمت امر وهو ان الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر
ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة اما القسم الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر
ومنفعة لا تفي بالضرر واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران
فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلثة ارباع الكلام وبقي الربع وهذا الربع فيه خطر اذ يمتزج به ما فيه اثم من
دقايق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى مدركه فيكون الانسان به مخاطرا
ومن عرف دقايق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعا ان ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب
حيث قال من صمت نجا ولقد اوتي والله جواهر الحكم وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني
الا خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله ونحن الآن
نعد آفات اللسان فنبتدي باخفها ونترقى الى الاغلظ قليلا قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب

فان النظر فيها اطول وهي عشرون آفة **الآفة الاولى الكلام فيما لا يعنيك** اعلم ان احسن احوالك
ان تحفظ الفاظك عن جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والكذب والمراء والنفاق وغير ذلك وتتكلم بما هو
مباح لا ضرر فيه عليك وعلى مسلم اصلا الا انك تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك مضيع به
زمانك ومحاسب على عمل لسانك وتستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير لانك لو صرفت الكلام الى الفكر ربما
كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه ولو هللت الله وسبحته وذكرته لكان خيرا لك
فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على ان يأخذ كنزا من الكنوز فاخذ بدله مدرة لا ينتفع بها كان
خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم يأثم فقد خسر حيث فاته
الربح العظيم بذكر الله تعالى فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا وهكذا قال النبي
صلى الله عليه وسلم بل راس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من هذا قال انس
بن مالك استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه
وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع
ما لا يضره وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسال عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى اتاه
فلما دخل عليه قال ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال من هذه المتألية على الله قال هي امي
يا رسول الله قال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع ما لا يغنيه ومعناه انه انما تتهيأ الجنة
لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا ولا تتهيأ له الجنة مع المناقشة في
الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من يدخل
من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل عليه عبد الله بن سلام فقال له ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم واخبروه بذلك وقالوا اخبرنا باوثق عملك في نفسك ترجو به فقال اني لضعيف فان اوثق ما ارجو الله به
سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني وقال ابو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك عملا خفيفا
على البدن ثقيلا في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وقال
مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن احسن من الدرهم الموقفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضل
ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في امر يعنيه قد وضعه
في غير موضعه فعيب ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك وان السفيه يؤذيك واذكر اخاك اذا
تغيب عنك بما تحب ان يذكرك به اذا غبت منه واعفه مما تحب ان يعفوك منه واعمل عمل رجل يعلم انه
مجازى بالاحسان ماخوذ بالاجترام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا اسال عما كفيت ولا اتكلف ما لا

تعنيني وقال مورق العجلي امر انا في طلبه منذ عشر سنين لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو ذاك
قال الصمت عما لا يعنيني وقال رضي الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من
القوم الا الامين ولا امين الا من خشي الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر
في امرك الذين يخشون الله تعالى وحدّ ما لا يعنيك ان تتكلم بكل ما لو سكت عنه لم تاثم ولم تتضرر في حال
او مال مثاله ان تجلس مع قوم فتحكي معهم اسفارك وما رايت فيها من جبال وانهار وما وقع لك في الوقايع
وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقايعهم فهذه امور لو سكت
عنها لم تاثم ولم تتضرر فاذا بالغت في الاجتهاد حتى لم تمتزج بحكايتك زيادة ونقصان ولا تزكية نفس من
حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشي مما خلقه الله فانك مضيع زمانك
واني تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملته ان تسال غيرك عما لا يعنيك فانت بالسوال مضيع وقتك
وقد الجات صاحبك ايضا الى الجواب والتضييع هذا اذا كان الشي مما لا يتطرق الى السوال فيه آفة واكثر
الاسولة فيها آفات فانك تسال غيرك عن عبادته فتقول هل انت صايم فان قال نعم كان مظهرا
عبادته فيدخل عليه الريا وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة
الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان كان سكت كان مستحقرا اياك وتاذيت به وان احتال لمدافعة
الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسوال اما الريا والكذب او الاستحقار او التعب في حيلة
الدفع وكذلك سوالك عن ساير عباداته وكذلك سوالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحي منه وسوالك
عما يحدث به غيرك فتقول ماذا تقول وفيم انتم وكذلك ترى انسانا في الطريق فتقول من اين انت فربما يمنعه
مانع من ذكره فان ذكره تاذى واستحيا وان لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسال عن
مسيلة لا حاجة بك اليها والمسول ربما لا يسمح نفسه بان يقول لا ادري فيجيب عن غير بصيرة ولست اعني بالتكلم
فيما لا يعني هذه الاجناس فان هذا يتطرق اليه اثم او ضرر وانما مثال ما لا يعني ما روي ان لقمن دخل على
داود عليه السلم وهو يسرد الدرع فجعل يتعجب مما يرى فاراد ان يساله عن ذلك فمنعته حكمته فامسك
نفسه ولم يسله فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمن الصمت حكم وقليل فاعله
اي حصل العلم به من غير سوال فاستغنى عن السوال وقيل كان يتردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم ذلك
ولم يسال فهذا وامثاله من الاسولة التي لا تفي اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في ريا وكذب فهو
ما لا يعني وتركه من حسن الاسلام فهذا حده واما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه او المباسطة
بالكلام على سبيل التودد او تزجية الوقت بحكايات احوال لا فايدة فيها وعلاج ذلك كله ان تعلم ان الموت

بين يديه وانه مسؤول عن كل كلمة وان انفاسه راس ماله وان لسانه شبكة يقدر علي ان يقتنص بها الحور
العين فاهماله وتضييعه خسران هذا علاجه من حيث العلم واما من حيث العمل فالعزلة او ان يضع حجرا
في فيه وان يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في
هذا علي غير المعتزل شديد جدا **الآفة الثانية فضول الكلام** وهو ايضا مذموم وهو
يتناول الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني علي قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر
ويمكنه ان يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تادي مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثاني فضول اي
فضل علي الحاجة وهو ايضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر قال عطاء بن ابي رباح ان من كان
قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله او امرا بمعروف ونهيا عن منكر
او تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها اتنكرون ان عليكم حافظين كراما كاتبين وعن اليمين وعن
الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحي احدكم ان لو نشرت صحيفته التي املاء صدر
نهاره كان اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة قال ان الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه
اشهي الي من الماء البارد الي الظمآن فاترك جوابه خيفة ان يكون فضلا وقال مطرف ليعظم جلال الله
في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول احدكم للكلب والحمار اللهم اخزه واعلم ان فضول الكلام لا ينحصر
بل المهم محصور في كتاب الله عز وجل لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس
وقد قال صلي الله عليه وسلم طوبي لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب
الناس ذلك فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل الالسنة وعن مطرف بن عبد الله عن ابيه قال قدمت
علي رسول الله صلي الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا انت والدنا وانت سيدنا وانت افضلنا
علينا فضلا وانت اطولنا علينا طولا وانت الجفنة الغراء وانت وانت فقال قولوا بقولكم ولا يستهوينكم
الشيطان اشارة الي ان اللسان اذا اطلق في الثناء ولو بالصدق فيخشي ان يستهويه الشيطان
الي الزيادة المستغني عنها وقال ابن مسعود انذركم فضول الكلام حسب امرئ ما بلغ به حاجته وقال مجاهد
ان الكلام ليكتب حتي ان الرجل ليسكت فيقول ابتاع لك كذا او كذا فيكتب له كذبا قال الحسن يا ابن آدم
بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان عملك فاعمل ما شئت واكثر او اقل وروي ان
سليمان بن داود عليهما السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه قال فاخبروه
انه مر علي السوق فرفع راسه الي السماء ثم نظر الي الناس وهز راسه فساله سليمان فقال عجبت من الملائكة
علي رؤوس الناس ما اسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما اسرع ما يملون وقال ابراهيم التيمي المؤمن اذا

اراد ان يتكلم نظر فان كان له تكلم والا امسك والفاجر انما لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر
كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلعم
فاكثر فقال عليه السلام كم دون لسانك من باب فقال شفتاى واسنانى قال اما كان في ذلك ما يرد كلامك
وفي رواية انه قال ذلك في رجل اثنى عليه فاستخفه في الكلام ثم قال ما اوتي رجل شرا من فضل في لسان
وقال عمر بن عبد العزيز انه ليمنعني من كثرة الكلام مخافة المباهاة وقال بعض الحكماء اذا كان المرء في مجلس
فاعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا فاعجبه السكوت فليتحدث وقال يزيد بن ابي حبيب من
فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وان وجد ما يكفيه وان في السماع سلامة وفي الكلام
تزين وزيادة ونقصان وقال ابن عمر ان احق ما طهر الرجل لسانه ورأى ابو الدرداء امراة سليطة فقال
لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها وقال ابرهيم يهلك الناس في كلمتين فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة
كثرة الكلام وفضوله وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام ما لا يعني **الآفة الثالثة**
الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي كحكاية احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق
وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه
فهو حرام واما الكلام فيما لا يعني او اكثر مما يعني فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا
يعني لا بد من غلبة الخوض في الباطل واكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه
باعراض الناس والخوض في الباطل وانواع الباطل لا يمكن ان يحصى لكثرتها فلذلك لا مخلص منه الا بالاقتصار
على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع من الكلمات ما تهلك صاحبها وهو مستحقرها
وقد قال بلال بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن
ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه الى يوم القيمة وان الرجل يتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان
تبلغ ما بلغت يكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيمة قال فكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث
بلال بن الحارث وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد
من الثريا وقال ابو هريرة ان الرجل ليتكلم بالكلمة وان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي بها بالا يرفعه الله
بها في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اعظم الناس خطايا يوم القيمة اكثرهم خوضا في الباطل واليه
الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره
انكم اذا مثلهم وقال سلمان اكثر الناس ذنوبا يوم القيمة اكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن سيرين كان
رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول توضؤوا فان بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل

وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيره بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها
او تدبر في الوصول اليها من غير حاجة دينية الى ذكرها ويدخل فيه ايضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب
الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والحديث
فيه خوض في الباطل الآفة الرابعة المراء والمجادلة وذلك منهي عنه فقد قال صلى الله عليه وسلم
من ترك المراء وهو محق بنى له بيت في اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة وقد قال
صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وعن ام سلمة قالت قال رسول الله صلعم
ان اول ما عهد الي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال عليه السلم
ما ضل قوم الا اوتوا الجدل وقال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان
محقا وقال عليه السلم ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وضرب اعداء الله بالسيف
وتعجيل الصلوة في يوم الدجن والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق
وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فانه لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز
من جعل دينه غرضا للخصومات اكثر التنقل وقال سليمان بن يسار اياكم والمراء فانها ساعة جهل العالم
وعندها يبتغي الشيطان زلته وقيل ما ضل قوم بعد اذ هداهم الله الا بالجدال وقال مالك بن انس ليس
هذا الجدال من الدين شيء وقال ايضا المراء تقسي القلب وتورث الضغاين وقال لقمان لابنه يا بني
لا تجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال بن سعد اذا رأيت الرجل لجوجا مماريا معجبا برأيه فقد تمت خسارته
وقال سفين لو خالفت اخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي الى السلطان وقال سفين
صاف من شئت ثم اغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك من العيش وقال ابن ابي ليلى لا امارى صاحبي
فاما ان اكذبه واما ان اغضبه وقال ابو الدرداء كفى بك اثما ان لا تزال مماريا وقال صلى الله عليه وسلم
تكفير كل لحاج ركعتين وقال لا تتعلم العلم لثلث ولا تتركه لثلث لا تتعلم لتماري به ولا تباهي به ولا ترائي
ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه وقال عيسى عليه السلم من كثر كذبه ذهب جماله
ومن لاحى الرجال سقطت مروته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن
مهران ما لك لا يفارقك اخ لك فقال لاني لا اشاريه ولا اماريه وما ورد في ذم المراء والجدال كثير وحد المراء
كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المراء
بترك الانكار والاعتراض وكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا ولم يكن متعلقا
بامور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل من جهة النحو او من جهة

اللغة والعربية او من جهة النظم والترتيب لسوء تقديم وتاخير وذلك تارة يكون من قصور المعرفة وتارة
يكون بطغيان اللسان وكيفما كان فلا وجه لاظهار خلله واما في المعنى بان يقول ليس كما تقول وقد اخطات
فيه لكذا وكذا واما في قصده مثل ان يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما انت فيه صاحب
غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس ان جرى في مسئلة علمية ربما خص باسم الجدل وهو ايضا مذموم بل
الواجب السكوت او السوال في معرض الاستفادة لا على صفة العناد والنكارة والتلطف في التعريف لا في
معرض الطعن واما المجادلة فعبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته الى
القصور والجهل فيه وآية ذلك ان يكون تنبهه للحق من جهة اخرى مكروها عند المجادلة بل يحب ان يكون
هو المظهر له خطاؤه ليبين به فضل نفسه ونقصان صاحبه ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا
ياثم به لو سكت واما الباعث على هذا هو الترفع باظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان
باطنتان للنفس قويتان اما اظهار الفضل من قبيل تزكية النفس فهي من مقتضى ما في العبد من طغيان
دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية واما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي
ان يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما المراء
والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهية بل هو معصية
مهما حصل فيه ايذاء الغير فلا ينفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على ان
يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور فيثور التشاجر بين المتمارين
كما يثور التهارش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية واقوى في افحامه
واخجاله واما علاجه فهو بان يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية الباعثة على تنقيص غيره
كما سياتي ذلك في كتاب الكبر وكتاب الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب المراء ما ذكرنا
ثم المواظبة عليه يجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه روي ان ابا حنيفة قال
لداود الطائي لم آثرت الانزواء قال لاجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا
تتكلم قال ففعلت ذلك فما رايت مجاهدة اشد علي منه وهو كما قال لان من يسمع من غيره خطاء وهو قادر
على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت
في اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس واكثر ما يغلب ذلك فيه المذاهب والعقائد فان المراء طبع فاذا
ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطاء محض بل ينبغي للانسان
ان يكف لسانه عن اهل القبلة واذا راى مبتدعا تلطف في نصحه على خلوة لا بطريق المجادلة فان المجادلة

يخيل اليه انه حيلة منه في التلبيس وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من اهل مذهبه على امثالها لو ارادوا فينشر
البدعة في قلبه بالجدل ويتاكد فاذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه قال هشام بن عروة وكان يردد قوله هذا
سبع مرات وكل من يعود المجادلة مدة واثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا انبعث فيه هذه
المهلكات فلا يستطيع عنها نزوعا اذا اجتمع عليه سلطان الكبر والغضب والريا وحب الجاه والتعزز بالفضل
وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها **الآفة الخامسة** الخصومة وهي ايضا مذمومة
وهي وراء المراء والجدل فالمراء طعن في كلام الغير لاظهار خلل من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير
واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن مراء يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام
ليستوفي به مال او حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا باعتراض
على كلام سبق فقد قالت عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى الله
الالد الخصام وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط
الله حتى ينزع وقال بعضهم اياكم والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ما خاصم قط ورع في الدين وقال ابن
قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن ابي بكرة فقال ما يجلسك قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي قال ان لابيك
عندي يدا واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رايت شيا اذهب للدين ولا انقص للمروة ولا اضيع للذة
ولا اشغل للقلب من خصومة قال فقمت لارجع فقال لي خصمي ما لك قلت لا اخاصمك قال عرفت انه حقي قلت
لا ولكني اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب منه شيا هو لك فان قلت اذا كان للانسان حق فلا
بد له من الخصومة في طلبه او في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان
هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل ان
يتعرف ان الحق في اي جانب يتوكل في الخصومة من اي جانب يكون فيخاصم من غير علم ويتناول الذي
يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط او على قصد
الايذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات موذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول
الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي الناس
من يصرح ويقول انما قصدي عناده وكسر عرضه واني ان اخذت منه هذا المال ربما رميت به في بير
ولا ابالي فهذا مقصوده اللدد واللجاج وهو مذموم جدا اما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع
من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على الحاجة ومن غير قصد عناد وايذاء ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه

ما تجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر
الصدور وتهيج الغضب واذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل
واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن ابتدا بالخصومة فقد تعرض
لهذه المحظورات واقل ما فيه تشويش خاطره حتى انه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد
الواجب والخصومة مبدا كل شر وكذا الجدل والمراء فينبغي ان لا يفتح بابه الا لضرورة وعند
الضرورة ينبغي ان يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على
الواجب في خصومته فيسلم عن الاثم ولا يذم خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة
فيه لان معه ما يكفيه فيكون تاركا للاولى ولا يكون اثما نعم اقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدل
طيب الكلام وما ورد عليه من الثواب اذ اقل درجات طيبة الكلام وما ورد عليه من الثواب اذا
قل درجات طيبة الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام اعظم من الطعن والاعتراض
الذي حاصله اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او خاصمه فقد جهله او كذبه
فيفوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام
وقد قال الله عز وجل وقولوا للناس حسنا وقال ابن عباس من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه
وان كان مجوسيا لان الله تعالى قال واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال ايضا
لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة
لغرفا يرى ظاهرها من باطنها اعدها الله تعالى لمن اطعم الطعام واطاب الكلام وروي ان
عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام فقال يا روح الله تقول هذا للخنزير فقال اكره ان
اعود لساني الشر وقال نبينا عليه الصلوة والسلام الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا النار ولو
بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال عمر رضي الله عنه البر شيء هين وجه طليق وكلام لين
وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك الا انك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فلعله
يعوضك منه ثواب المحسنين وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغاين المستكنة في
الجوارح فهذا كله في فضل الكلام الطيب ويضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج فانه
الكلام المستنكر الموحش المؤذي للقلب المنغص العيش المهيج للغضب الموغر للصدر الافة
السادسة التقعر بالكلام والتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات
والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة فكل ذلك من التصنع المذموم

ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والاتقيا من امتي برا من التكلف
وقال عليه السلم ان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا الثرثارون والمتفيقهون المتشدقون وقالت
فاطمة عليها السلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ياكلون الوان
الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله عليه وسلم الا هلك المتنطعون
ثلث مرات فالتنطع التعمق والاستقصا وقال عمر رضي الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق
الشيطان وجاء عمر بن سعد الي ابيه يسال له حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد
ما كنت من حاجتك قط ابعد منك اليوم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياتي على الناس
زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما يتخلل البقر الكلا بالسنتها فكانه انكر عليه ما قدمه علي الكلام من
التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا ايضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف
وكذلك التفاصح الخارج عن العادة وكذلك تكلف السجع في المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بغرة الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل
ذلك بطل فقال صلى الله عليه وسلم اسجعا كسجع الاعراب وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه
بل ينبغي ان يقتصر في كل شي علي مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض فما وراء ذلك تصنع مذموم
ولا يدخل في هذا تحسين الفاظ الخطابة والتذكير من غير افراط واغراب لان المقصود منها
تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ولرشاقة اللفظ تاثير فيه لايق به فاما المحاورات التي
تجري في قضاء الحاجات فلا يليق بها التسجيع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم ولا
باعث عليه الا الريا واظهار الفصاحة والتميز بالبلاغة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه
الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان وهو منهي عنه مذموم ومصدره الخبث واللوم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى صلى الله عليه وسلم
عن سب قتلى بدر من المشركين فقال لا تسبوا هولاء فانه لا يخلص اليهم شي مما تقولون وتوذون الا
حياء الا ان البذاء لوم وقال صلى الله عليه وسلم الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال صلى الله عليه وسلم
اربعة يوذون اهل النار علي ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور
رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد اذانا علي ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد
كان ينظر الي كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال عليه السلام يا عايشة لو كان
الفحش رجلا لكان رجل سو وقال صلى الله عليه وسلم البذا والبيان شعبتان من النفاق ويحتمل

ان يكون المراد بالبيان هو كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا المبالغة في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف
ويحتمل ايضا البيان في امور الدين وفي صفات الله تعالى فان القاء ذلك مجملا الى سماع العوام اولى من
المبالغة في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس فاذا اجملت بادرت القلوب الى
القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه ان يكون المراد به المجاهرة بما يستحيي الانسان من بيانه
فان الاولى في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا يحب الفاحش
المتفحش الصياح في الاسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي امامي فقال
صلى الله عليه وسلم ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شيء وان احسن الناس اسلاما احسنهم اخلاقا وقال
ابرهيم بن ميسرة يقال الفاحش المتفحش يوم القيمة في صورة كلب او في جوف كلب وقال الاحنف بن قيس
الا اخبركم بادوا الداء اللسان البذي والخلق الدني فهذه مذمة الفحش فاما حده وحقيقته فهو التعبير
عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة ويجري اكثر ذلك في الفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل
الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيها واهل الصلاح يتحاشون عن التعرض لها بل يكنون
عنها ويدلون عليها بالرموز ويذكرون ما يقاربها ويتعلق بها قال ابن عباس ان الله حيي كريم يعفو ويكني
باللمس عن الجماع وبالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الجماع والوقاع وليست بفاحشة وعنها
عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش
وبعضها افحش من بعض وربما اختلف بعادة البلاد واوائلها مكروهة واواخرها محظورة وبينهما
درجات تتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط اولى من
التلفظ بالتغوط والخراء وغيرهما فان هذا ايضا مما يخفى فكل ما يخفى ويستحيي منه فلا ينبغي ان يذكر
الفاظه الصريحة فانه فحش فلذلك يستحسن في العادة الكناية في النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل
يقال قيل في الحجرة او قيل من وراء الستر او قالت ام الاولاد فالتلطف في هذه الالفاظ محمود والتصريح فيها يفضي
الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيي منها فلا ينبغي ان يعبر عنه بصريح لفظه كالبرص والقرع والبواسير بل يقال
العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان قال
العلاء بن هرون كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج خرج في ابطه فقلنا لنسألنه ماذا يقول
فقلنا من اين خرج فقال من باطن اليد والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد الحاصل من
مخالطة الفساق واهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب وقال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني
فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه واجره لك ولا تسبن